# مجمع البيان

## في تفسير القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

# مجمع البيان

## في

# تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء السادس

دار المعرفة

للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing

مستديرة المطار ـ خلف غدير ـ ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت ـ لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# (١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبي ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها.

**[ عدد آيها ]** اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

**[ اختلا فها ]**

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي.

**[فضلها ]** أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى وقال أبو عبد الله ( ع ) من اكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابداً وإن كان مؤمناً أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه.

**[ تفسيرها ]** لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

ولم يعد أحد آلمرآية وعدّ الكوفيون طه وحم آيـة لأن طه مشـاكلة لرؤوس الآي التي بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صاد وقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح .

[ اللغة ] العُمُد والعَمَد جميعاً بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عُمُداً جمع عمود وعماد وعمداً اسم للجمع ومثله اديم وادم واهاب وأهب وافيق وأفق .

[ الإعراب ] الذي أنزل يجوز أن يكون موضعه رفعاً على الابتداء ويجوز أن يكـون موضعه[1] بالعطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعاً على اضمار هو ويجوز ان يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب وتقديره تلك ايات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعاً على الأضمار ويجوز أن يكون الحق مجروراً صفة للذي إذا جعلته عطفاً على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء .

[ المعنى ] ﴿آلمر﴾ قد فسّرناه في اول البقرة وبيّنا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وأرى ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقـدّم الوعـد بها ليست بمفتريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل عن مجاهد وقتادة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة والآيـات الدلالات العجيبـة المؤدية إلى المعـرفة بـالله سبحانه وانه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه ﴿والـذي أنزل اليـك من ربك الحق﴾ يعني وهـذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احداهما بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل ﴿ولكن اكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون بأنه منزل وانه حق مع وضوحه ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد

(١) [ رفعاً ] .

السواري والدعائم وقيل فيه قولان (أحدهما) ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدر والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالأرض متبرية منها بغير عمد (والآخر) ان يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد مضى تفسيره وإذا حملنا الإستواء على معنى الملك والاقتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصريفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده ﴿وكل يجري لأجل مسمى﴾ اي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس اراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلاً تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى أول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلاً حتى ينتهي إلى آخر منازله ﴿يدبر الأمر﴾ أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والأرض وأمور الخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة ﴿يفصل الآيات﴾ اي يأتي بآية في اثر آية فصلاً فصلاً مميزاً بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكر وقيل معناه يبيّن الدلائل بما يحدثه في السماوات والأرض ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ اي لكي توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا أن القادر على هذه الاشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدّي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرࣰاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتࣲ لِّقَوۡمࣲ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعࣱ مُّتَجَٰوِرَٰتࣱ وَجَنَّٰتࣱ

مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

[ القراءة ] قد ذكرنا الاختلاف في قوله يغشي الليل والنهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وأبو عمر ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد وكذلك رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقون بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ يسقي بالياء ابن عامر وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقون تسقى بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب ويفضل بالياء والباقون بالنون.

[ الحجة ] قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الارض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولاً على قوله وفي الأرض قطع ولم يجعله محمولاً على ما في الجنات من الأعناب والجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعناب والنخيل دون غيرهما ويقوي ذلك قول زهير.

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا[1]

فالمعنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجرّ فإنه حمل النخيل والزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من اعناب من زرع ونخيل والدليل على ان الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله ﴿**جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً**﴾ فكما سميت الأرض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك يكون النخيل والزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله.

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[2]

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في اكثر الأمر قال والصنوان فيما يذهب إليه ابو عبيدة

(١) الغرب : الدلو العظمية . والناضحة : الناقة التي تسقي الماء . والمقتلة : المذللة لعمل من الأعمال . والسحق جمع السحوق : النخلة الطويلة .

(٢) قائله الراجز وفي اللسان : يريد : يقصد قصدها .

صفة للنخيل والمعنى ان يكون من اصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلاً ونخلين قال وقال يسقي بماء واحد لأنها تشرب من أصل واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره ان يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة واما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنو كما ان الكسرة التي في قنو ليست في قنوان لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي في ظراف إذا جمعت عليه ظريفاً واما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فِعلان وفُعلان على البناء الواحد نحو حش وحُشان وحِشان واما صَنوان بفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن صحّ ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالاً له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسامر ومثله قولهم السعدان والضمران في الجمع ومن قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حمله على الزرع وحده.

[ المعنى ] لمّا ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمائه وآلائه على عباده في رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر ودلّ بذلك على وحدانيته عقّبه بذكر الأرض وما فيها من الآيات فقال ﴿وهو الذي مدَّ الارض﴾ اي بسطها طولاً وعرضاً ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ اي جبالاً ثوابت لتمسك الأرض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا انه امسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب الى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر ﴿وانهاراً﴾ اي وشقّ فيها انهاراً تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ اي وجعل في الأرض من كل الثمرات لمأكولهم ومطعومهم صنفين اسود وابيض وحلواً وحامضاً وصيفياً وشتوياً ورطباً ويابساً عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل وزوج نعلين عن أبي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والأنثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأُنثى كفحول النخل واناثها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض أو عذب ومالح أو أبيض واسود أو أحمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع ﴿يغشي الليل والنهار﴾ اي يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل

ليذهب بضياء النهار ويستره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما سبق ذكره ﴿لآيات﴾ أي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيها فيستدلون منها على ان لهم صانعاً ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب ولا ينبت شيئاً ومنها سهل حر ينبته ومنها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بيَّن الله سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والمنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والمؤتلفة ﴿وقيل﴾ انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج ﴿جنات﴾ أي بساتين ﴿من اعناب وزرع ونخيل صنوان﴾ أي نخلات من أصل واحد ﴿وغير صنوان﴾ أي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الأصل يقال هذا صنوه أي اصله عن ابن الانباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بن جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله ﷺ عمُّ الرجل صنو أبيه عن الجبائي ﴿يسقى بماء واحد﴾ أي يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء الأنهار أو بماء السماء ﴿ويفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ أي ويفضّل الله ومن قرأ بالنون فالمعنى نفضّل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضاً وبعضها حلواً وبعضها مراً فلو كانت بالطبع لما اختلف الوانها وطعومها مع كون الأرض والماء والهواء واحداً وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صانعاً قادراً أحدثها وأبدعها ودبَّرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل ﴿إن في ذلك﴾ أي في اختلاف الوانها وطعومها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره ﴿لآيات﴾ أي حججاً ودلالات ﴿لقوم يعقلون﴾ دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول لعلي (ع) الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرأ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب الآية.

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام إنّا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول الا في سورة الصافات والواقعة واما نافع ويعقوب وسهل فإنهم يستفهمون بالاول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيداً عن يعقوب يمدان الهمزة مثل ابي جعفر والكسائي ايضاً يستفهم بالاول ولايستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير انه يهمز بهمزتين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أئذا وأئنا جميعاً بهمزتين همزتين بينهما مد آإنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم أإذا بهمزتين أئننا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وأبو عمرو يستفهم فيهما جميعاً وفي جميع اشباههما بهمزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمزة وخلف يستفهمون فيهما بهمزتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله .

[ الحجة ] قال أبو علي من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمر يدل على قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر فكأنه قال انبعث إذا كنا تراباً ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا أيضاً نصباً بما دلَّ عليه قوله﴿أإنا لفي خلق جديد﴾ فكأنه قال انبعث إذا كنا تراباً وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضاً لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أئنا ينبغي ان يكون على مضمر كما حل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع مما قبله .

[ اللغة ] العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والغل طوق تشدُّ به

اليد إلى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس ونقيضها الحسنة وهي خصلة تسرُّ النفس والمثلات العقوبات واحدها مَثُلة بفتح الميم وضم الثاء ومن قال في الواحد مُثْله بضم الميم وسكون الثاء قال في الجمع مُثُلات بضمتين نحو غُرْفة وغُرُفات وقيل في جمعها مُثَلات ومُثْلات أيضاً قال الشاعر :

وَلَـمَّـا رَأَوْنَـا بَـادِيـاً رُكَـبَـاتِـنَـا عَلَىٰ مَـوْطِنٍ لا يُخْلَطُ الْجِدُّ بِـالْهَـزْلِ

رووه بفتح الكاف في ركبات.

[ المعنى ] لما تقدَّم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقَّبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال **﴿وان تعجب﴾** يا محمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ان يشتبه عليه سر أمره فيستطرفه **﴿فعجب قولهم﴾** أي فقولهم عجب **﴿أإذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾** أي انبعث ونعاد بعدما صرنا تراباً هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الأعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحال علقة ثم مضغة ثم لحماً فإذا مات ودفن استحال تراباً فإذا جاز ان يتعلق الإنشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمَّى الله تعالى الاعادة خلقاً جديداً واختلف المتكلمون فيما يصح عليه الاعادة فقال بعضهم كلما يكون مقدوراً للقديم سبحانه خاصة ويصحُّ عليه البقاء يصحُّ عليه الإعادة ولا يصح الإعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول أبي علي الجبائي وقال آخرون كلما كان مقدوراً له وهو مما يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح إعادة أجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب إعادته من الحي فقال أبو القسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال أبو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي أبو الحسن تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح **﴿اولئك﴾** المنكرون للبعث **﴿الذين كفروا بربهم﴾** اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث **﴿وأولئك الاغلال في اعناقهم﴾** في الآخرة وقيل أراد به اغلال الكفر أي كفرهم اغلال في اعناقهم **﴿واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾** مضى تفسيره **﴿ويستعجلونك﴾** أي يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون **﴿بالسيئة قبل الحسنة﴾** أي بالعذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من

السماء وقيل يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الإحسان بالانظار فإن انظار من وجب عليه العقاب احسان اليه كانذار من وجب عليه الدّين وسمّاها سيئة لانها جزاء السيئة ﴿وقد خلت من قبلهم﴾ أي مضت من قبلهم ﴿المثلات﴾ أي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حلّ بهم من المسخ والخسف والغرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلات باقوام أو خلا اصحاب المثلات فحذف المضاف ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلّنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اودُّ فلاناً على غدره وأصله على هجره ﴿وان ربك لشديد العقاب﴾ لمن استحقّه وروي عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله ونقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرت اعينهم بشيء ﴿ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه﴾ مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بيّن سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أولّئك لاقترح قوم آخرون آية أخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدّي إلى غير نهاية ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فيه أقوال (أحدها) ان معناه إنما انت منذر اي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس إليك انزال الآيات عن الحسن وابي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون انت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصّل بين الواو والمعطوف بالظرف (والثاني) ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد (والثالث) أن معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة والزجاج وابن زيد (والرابع) ان المراد بالهادي كل داع إلى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعليٌّ الهادي من بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن أبيه

عن حكم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة الأنام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك انك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش.

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ (٨) عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ (٩) سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ (١٠) لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ (١١)

[ القراءة ] في الشواذ قراءة ابي البرهسم[١] له معاقيب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن أبي عبد الله ( ع ) له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروي عن علي ( ع ) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله.

[ الحجة ] يجب أن يكون معاقيب تكسير مُعَقِّبَه غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف

(١) أبي البرهسم كقرجل عنوان بن عثمان الزبيدي الشامي صاحب القرآت الشاذة كما عن القاموس.

قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من أمر الله فتقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه مما يخافه فمِن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هذا على معنى يحفظونه من أمر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيداً من الاسد والذي ذكرته رأي ابي الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من أمر الله بأمر الله ويستدل على ارادة الباء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز ان يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكَّل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً.

[ اللغة ] الغيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه نقصت وغِيْضْتُه نقصته قال:

غِيْضْنَ مِنَ عَبَراتِهِنَّ وَقُلْنَ لي ماذا لَقَيْتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينا

المتعالي والعالي واحد وتعالى اي جلَّ عن كل ثناء وقيل المتعالي المقتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسَرَب بفتح السين والراء الماء السائل من المزادة قال ذو الرمة.

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنَ كُلي مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ[1]

وقيل السارب الذاهب في الأرض ومنه قول قيس بن الحطيم ﴿اني سربت وكنت غير سروب﴾ ويقال خلّ سربه أي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلاً منه وأصل التعقيب ان يكون الشيء عقيب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر:

حَتّى تَهَجَّرِ في الرَّوَاحِ وَهَاجَها طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّه المَظْلُومُ[2]

---

(١) كلية الاداوة: الرقعة التي تحت عروتها وجمعها الكلى. والمفرية: المنشقة.

(٢) هذا بيت من قصيدة للبيد بن ربيعة في وصف حمار وحش واتانه شبه به ناقته. وتهجر أي سار في الهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر. والرواح من زوال الشمس الى الليل. وهاجها اي اثارها وازعجها. يعني هذا الحمار يسوق اتانه امامه سوقاً عنيفاً وهو ملازم لها من خلفها كطالب دين مظلوم. والمظلوم نعت للمعقب ومرفوع باعتبار محله الذي هو الرفع بالفاعلية.

ومنه العِقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعُقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء.

[ الاعراب ] ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه ايّ شيء تحمل والجملة معلقة بيعلم قال الزجاج سواء منكم من اسرَّ القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز ان يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست باسماء الفاعلين وإنما ترفع الاسماء أوصافها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء .

تَـرْتَـعُ مَـا رَتَعَتْ حَـتّى إذا ادَّكَـرَتْ ... فَـإنَّـمـا هِـيَ إقْـبَـالٌ وَإدْبـارٌ(1)

أي ذات اقبال وادبار وكذلك زيد اقبال وادبار وهذا مما كثر استعماله اعني سواء فجرى مجرى اسماء الفاعلين ويجوز ان يرتفع على أن يكون في موضع مستوى الا ان سيبويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن اسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجريها مجرى الفعل.

[ المعنى ] ﴿الله يعلم ما تحمل كل أُنثى﴾ أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أُنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته ﴿وما تغيض الارحام﴾ أي يعلم الوقت الذي تنقصه الارحام من المدة التي هي تسعة اشهر ﴿وما تزداد﴾ على ذلك عن اكثر المفسرين وقال الضحاك الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك ان النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تغيض الارحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة اشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن لحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد ﴿وكل شيء﴾ أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل ﴿عنده بمقدار﴾ أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجبه الحكمة ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم بما غاب عن حسّ العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه

---

(1) مر البيت في الجزء الخامس

شيء وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلانية عن الحسن والأولى أن يحمل على العموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبّه سبحانه بذلك على انه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها ﴿**الكبير**﴾ وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكمال صفاته ولكونه عالماً لذاته قادراً لذاته حياً لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين ﴿**المتعال**﴾ وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون ﴿**سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به**﴾ معناه سواء عند الله وفي علمه من أسرَّ القول في نفسه وأخفاه ومن اعلنه وأبداه ولم يضمره في نفسه ﴿**ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾ أي ومن هو مستتر متوار بالليل ومن هو سالك في سربه أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه انه يرى ما اخفته ظلمة الليل كما يرى ما اظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل احوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وصحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه ﴿**له معقبات**﴾ اختلف في الضمير الذي في له على وجوه (أحدها) انه يعود إلى مَنْ في قوله مَنْ أسرَّ القول ومَنْ جهر به (والآخر) انه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة (وثالثها) انه يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله إنما انت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على اقوال (أحدها) انها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهوداً وقد روي ذلك عن أئمتنا (ع) أيضاً (والثاني) انهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي (ع) وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه (والثالث) انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي أيضاً عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالنهار له احراس وأعوان قدر انهم يحرسونه ولم يتجه احراسه من الله ﴿**من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ أي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب ومن الجن والانس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ وقيل من أمر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن

ابن عباس وهذا كما يقال هذا الأمر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عَنْ كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب: لولا ان الله وكّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفنكم الجن ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم**﴾ من النعمة والحال الجميلة ﴿**حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضاً قال ابن عباس إذا أنعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفروها سلبهم اياها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر ﴿**وإذا أراد الله بقوم سوء**﴾ أي عذاباً وإنما سماه سوءاً لأنه يسوء ﴿**فلا مردَّ له**﴾ أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه ﴿**وما لهم من دونه من وال**﴾ يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم .

[ النظم ] اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الأمور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في انزال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظه يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل أو يعقب مؤمناً لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب بمعنى انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والعموم .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ
ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ
خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ
فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ
لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿١٥﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والايصال.

[ الحجة ] قال ابن جني المحال مفعل من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر آصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون.

[ اللغة ] يقال اراه يريه اراءة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له أو يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقيل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناهما في اول البقرة والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ماحله مماحلة ومحالاً إذا قاواه حتى يتبين ايهما أشد ومحلت به محلا قال الأعشى:

فَـرْعُ نَبْـعٍ يَهْتَـزُّ في غُصْنِ الْمَجْـدِ غَـزِيرِ النَّـدىَ شَـدِيـدِ المِحَـالِ[١]

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فَلَم يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجِيبُ)[٢] والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما الفيء فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والأصال جمع أصُل وأصُل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤيب.

لَـعَمْـري لأنْتَ الْبَيْـتُ أكْـرِمُ أهْـلِهِ وَأقْـعُـدُ في أفْـنـائِـهِ بِـالأَصَـائِـلِ

(١) النبع شجر تتخذ من أغصانه القسي والسهام.

(٢) قائله كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبي المغوار. وقبله «وداع دعا يا من يجيب الى الندى».

[ الاعراب ] خوفاً وطمعاً لا ينتصبان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحداً وهاهنا الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ينتصبان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمه فإنه جيد مفيد والمعنى هاهنا يخوّفكم بما يريكم خوفاً ويطمعكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد ممّ ربك أمن نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهب بقِحْفِه[1] وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز ان يكون لما تمم الله أوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه اليه واللام في قوله ليبلغ فاه يتعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه أي ما الماء ببالغ فاه وقيل ما فوه ببالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ أي تخويفاً واطماعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطماع وذكر فيه وجوه ( أحدها ) أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعاً في الغيث الذي يزيل القحط عن الحسن وأبي مسلم ( والثاني ) خوفاً للمسافر من أن يضل الطريق فلا يمكنه المسير وطمعاً للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي ( الثالث ) خوفاً لمن يخاف ضرُّ المطر لأنه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج ﴿وينشيء السحاب الثقال﴾ أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجريها في الجو ﴿ويسبح الرد بحمده﴾ تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبح وقيل إن الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي ﷺ انه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبِّح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول

(١) القحف ـ بالكسر ـ ما انفلق من الجمجمة.

سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي دينه ﴿والملائكة من خيفته﴾ أي ويسبِّح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ ويصرفها عمن يشاء إلا أنه حذف وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذاكراً ﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني ان هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد ويحاولون فتلهم[1] عن مذاهبهم بجدالهم لأن معنى الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انه عني بذلك أربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لأمّه وعامر بن طفيل وذلك أنهما أتيا النبي ﷺ يجادلانه ويريدان الفتك به وكان عامر اوصى إلى أربد إذا رأيتني أكلّمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه الكلام فدار أربد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سلّه وجعل عامر يومي إليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربداً وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صاح صائف فأحرقته وولى عامر هارباً وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربداً والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً فقال ﷺ الله يمنعك من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية حتى قتلته وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثي أخاه أربداً .

أَخْشَىٰ عَلَى أَرْبَدِ الْحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدَ
فَجَّعَنِي الْبَرْقُ والصَّوَاعِقُ بِالْـ فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجِدِ[2]

﴿وهو شديد المحال﴾ أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد النقمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى

(١) أي صرفهم .
(٢) النوء النجم والسماك: كوكب . والاسد: برج معروف. ورجل نجد: شجاع ماض في الأمور .

دعوة الحق على أقوال ( أحدها ) انها كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ( والثاني ) أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق ومن دعاه دعا الحق عن الحسن ( والثالث ) انها الدعوة التي يدعى بها الله على اخلاص التوحيد عن الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق ﴿**والذين يدعون من دونه**﴾ أي والذين يدعوهم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الاوثان وغيرها ﴿**لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه**﴾ هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاءه رجاء أن ينفعه يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فمات قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن أبي عبيدة والبلخي وأبي مسلم قال الشاعر

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وبَيْنَهَا ... مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ بِاليَدِ

وقال الآخر

فَإِنِّي وإِيَّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمْ ... كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسَعْهُ أَنَامِلُهُ

﴿**وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾ أي ليس دعاؤهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصواب وقيل في ضلال عن طريق الإجابة والنفع ثم بيّن سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال ﴿**ولله يسجد من في السماوات والأرض**﴾ يعني الملائكة وسائر المكلفين ﴿**طوعاً وكرهاً**﴾ اختلف في معناه على قولين ( أحدهما ) ان معناه أنه يجب السجود لله تعالى إلا أن المؤمن يسجد له طوعاً والكافر يسجد له كرهاً بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد ( والثاني ) ان المعنى ولله يخضع من في السماوات والأرض إلا أن المؤمن يخضع له طوعاً والكافر يخضع له كرهاً لأنه لا يمكنه ان يمتنع من الخضوع لله لما يحلّ به من الآلام والاسقام عن الجبائي ﴿**وظلالهم**﴾ أي ويسجد ظلالهم لله ﴿**بالغدو والآصال**﴾ أي العشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فإن من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند أهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سجودها تمايلها من جانب الى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] من قرأ بالتاء فإنه مسند إلى مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله بشيء كقوله وقالت اليهودوقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فإنه مؤنث غير حقيقي .

[ **المعنى** ] لما بيّن سبحانه في الآية الأولى أنه المستحق للعبادة وان له من في السماوات والأرض عقّبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿**من رب السماوات والأرض**﴾ أي من مدبّرهما ومصرّفهما على ما فيهما من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم ان يقولوا الأصنام ﴿**فقل**﴾ انت لهم رب السماوات والأرض وما بينهما من انواع الحيوان والنباتات والجماد ﴿**الله**﴾ فإذا أقرّوا بذلك ﴿**قل**﴾ لهم على وجه التبكيت والتوبيخ لفعلهم ﴿**أفاتخذتم من دونه اولياء**﴾ توجهون عبادتكم إليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقريع ثم بيّن ان هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه اولياء ﴿**لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً**﴾ ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى ان لا يملك لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله ﴿**قل أفاتخذتم من دونه أولياء**﴾ فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما يُبيّنه من بعدُ من بعد لم يمتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلماذا اتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر

الظاهر الذي لا يجيب الخصم إلا به لا يمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفادياً من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلاً بعد الزام الحجة فقال ﴿**قل هل يستوي الأعمى والبصير**﴾ أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضر والكافر يعمل على عمى ويعبد من لا يملك النفع والضر ثم زاد في الايضاح فقال ﴿**أم هل تستوي الظلمات والنور**﴾ أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى أو الجهل والعلم ﴿**أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه**﴾ أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والأراييح والقدرة والحياة وبغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها ﴿**فتشابه الخلق عليهم**﴾ أي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا ان الأوثان تستحق العبادة لأن افعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة أنه الإلّه لا يستحق العبادة سواه ﴿**فقل**﴾ لهم ﴿**الله خالق كل شيء**﴾ يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها ﴿**وهو الواحد**﴾ ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حيّ لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلّهية لا ثاني له في القدم ﴿**القهار**﴾ الذي يقهر كل قادر سواه ولا يمتنع عليه شيء واستدلت المجبرة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على أن افعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول افعال العباد فيه وبقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وأيضاً فإن اكثر اصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه انه يخلق أصلاً فضلاً عن أن يقولوا أنه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوّز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد فإنه يقول انه سبحانه إنما نفى أن يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وافعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشراً او متولداً في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابدع السماوات والأرض

وما فيهما وينشيء الأجناس من الاعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل الله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول ان أحدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادراً لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلمنا أن المراد بقوله خالق كل شيء ما قدّمناه من أنه خالق كل شيء يستحق لخلقه العبادة .

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء .

[ الحجة ] قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله ﴿قل أفاتخذتم﴾ ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة كأن المعنى ومما توقدون عليه ايها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدّم في قوله أم جعلوا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس فكما ان الناس يعمّ المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقال ومما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقاً بيوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ايقاد يقال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها ولهبها .

[ اللغة ] الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدّى عن القتيل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساوياً فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لغتان يقال اعطى قدر شبر وقَدْر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يختصمون في القَدْر معاً بالسكون والحركة قال

أَلا يَا لَقَوْمِ لِلنَّوائِبِ وَالْقَدْرِ وَلِلأَمْرِ يَأْتي المرْءَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْري

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء ممدود مثل الغثاء وأصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال أبو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرعته واجفأت القدر بزبدها إذا القيت زبدها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجيء على فعال مثل الحطام والقماش والغثاء والجفاء والإيقاد القاء الحطب في النار واستوقدت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتعت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكُث وتمكث أي تلبث .

[ الإعراب ] قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي ومما توقدون عليه ثابتاً في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يهتد اليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعت له والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الأخفش وموضع جفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكَلْتُ سَمَكاً وَفَرْضاً ذَهَبْتُ طُولاً وَذَهَبْتُ عَرْضاً

أي ذهبت على هذه الحالة والفرض نوع من التمر .

[ المعنى ] ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل ( أحدهما ) الماء وما يعلوه من الزبد ( والآخر ) ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرهما وما يعلوه من الزبد على ما رتَّبه فقال ﴿أنزل من السماء ماء﴾ أي مطراً ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ يعني فاحتمل الانهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن

الحسن وقتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ أي طافياً عالياً فوق الماء شبّه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلاً وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالماء مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره مما يذاب ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة ﴿أو متاع﴾ معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها ﴿زبد مثله﴾ أي مثل زبد الماء فإن هذه الاشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار ليتميز الخالص من الخبيث لها أيضاً زبد وهو خبثها ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أي باطلاً متفرقاً بحيث لا ينتفع به ﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾ هو الماء الصافي والاعيان التي ينتفع لها ﴿فيمكث في الأرض ﴾ فينتفع به الناس فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال﴾ للناس في أمر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبّه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبّه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه اخذ حظاً عظيماً منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها اداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل حظاً منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبّه الخطوات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين ا لماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلاً ويبقى الحق فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله ومما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتمّ الكلام عند قوله يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ عن الحسن والبلخي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة ايضاً عن أبي مسلم ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ أي لله فلم يؤمنوا به ﴿لو

**أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به** أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم **﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾** قيل فيه أقوال ( أحدها ) ان سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شيء منها عن إبراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة ( والثاني ) هو ان يحاسبوا للتقريع والتوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسرّ بما اعدّ الله تعالى له عن الجبائي ( والثالث ) هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة عن الزجاج وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) ( والرابع ) ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمي الجزاء حساباً لأن فيه اعطاء المستحق حقه **﴿ومأواهم جهنم﴾** أي مصيرهم الى جهنم **﴿وبئس المهاد﴾** أي وبئس ما مهّدوا لأنفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهاداً لأنها موضع المهاد لهم .

﴿ * أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

[ اللغة ] الألباب العقول ولب الشيء اجل ما فيه وأخلصه وأجوده ولب الانسان عقله لأنه اجل ما فيه ولب النخلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى

الأول من غير فاصلة والخوف والخشية والفزع نظائر وهو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر والسوء وورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل وله وهو هـا هنا احصاء ما على المجازي وله والسر هو اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصل للنفس ومنه السرير لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والعـدن الاقامة الطويلة وعَدَن بالمكان يَعْدُن عدنا ومنه المعدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعو اليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحـال في نفسه والعقبى فعلى من العـاقبة وهـو الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير أو شر .

[ الإعراب ] موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله ﴿أولوا الألباب﴾ وقيل انه صفة لمن يعلم وابتغاء نصب لأنه مفعول له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعـه رفع عطفاً على الّواو في قوله يدخلونها وجائز أن يكون نصباً بأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيد والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الـذي كأنـه قال بـالذي صبـرتم على فعل طاعاته وتجنب معاصيه .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر فقال ﴿ أفمن يعلم إنمـا أنزل إليك ﴾ يا محمد ﴿ من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ عنه أخـرج الكلام مخـرج الاستفهام والمراد به الانكار أي لا يكونان مستويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الأعمى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه والكافر يتعامى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه ﴿ إنما يتـذكر أولوا الألباب ﴾ أي إنما يتفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة قال علي بن عيسى وفي هذا حثٌ على طلب العلم وإلزام له لأنه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى وحال العالم كحال البصير وأمكن هذا الأعمى أن يستفيد بصراً فما الـذي يقعده عن طلب العلم الـذي يخرجه عن حـال العمى بالجهـل إلى حال البصيـر ﴿ الذين يـوفون بعهـد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ أي يؤدّون ما عهد الله إليه وألزمهم إياه عقلاً وسمعاً فـالعهد العقلي مـا جعله في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور أخر كاقتضاء الفعل للفاعل وإن الصنائع لا بدَّ أن ترجع إلى صانع غير مصنوع وإلا أدّى إلى ما لا يتناهى وإن للعالم مدبِّراً لا يشبهه والعهـد الشرعي ما أخذه النبي ﷺ على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين أن يطيعوه ولا يعصـوه ولا يرجعوا عما الْتزموه من أوامر شرعه ونواهيه وإنما كرَّر ذكر الميثاق وإن دخل جميع الأوامر والنواهي في لفظ العهد لئلا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد وربه فأخبر أن ما بينه وبين العباد من المواثيق كذلك في الوجوب واللزوم وقيل أنه كرَّره تأكيداً ﴿ والذين يصلون ما

**أمر الله به أن يوصل ﴾** قيل المراد به الإيمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله **﴿ لا نفرق بين أحد من رسله﴾** وقيل هو صلة محمد وموازرته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى أصحابنا أن أبا عبد الله ( ع ) لما حضرته الوفاة قال أعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً فقالت له أم ولد له أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرئين قوله تعالى **﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾** الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولوهم وينصروهم ويذبُّوا عنهم ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك عن الجبائي وأبي مسلم وروى جابر عن أبي جعفر ( ع ) قال قال رسول الله ﷺ برُّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم ( ع ) في هذه الآية قال صلة آل محمد ﷺ معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كل رحم وروى الوليد بن أبان عن أبي الحسن الرضا ( ع ) قال قلت له هل على الرجل في ماله سوى الزكاة قال نعم أين ما قال الله والذين يصلون الآية **﴿ ويخشون ربهم ﴾** أي ويخافون عقاب ربهم في قطعها **﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾** قد بينًا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله ( ع ) قال سوء الحساب أن يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال لرجل يا فلان مالك ولأخيك قلت جعلت فداك لي عليه شيء فاستقصيت حقي عنه قال أبو عبد الله ( ع ) أخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستقصاء والمداقة **﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾** أي الذين صبروا على القيام بما أوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الأمراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله وابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء أعظم منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل أن ذكر الوجه هنا عبارة عن الإخلاص وترك الرياء **﴿ وأقاموا الصلاة ﴾** أي أدُّوها بحدودها وقيل داموا على فعلها **﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾** أي ظاهراً وباطناً **﴿ ويدرؤن بالحسنة السيئة ﴾** أي يدفعون بفعل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيء من العمل كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون إساءة من أساء إليهم بالإحسان والعفو ولا يكافئون كقوله سبحانه **﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾** عن قتادة وابن زيد والقتيبي قال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا

ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وقيل معناه يدفعون بالتوبة معرة الذنب عن ابن كيسان ﴿ أولئك ﴾ يعني أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ أي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقباها التي هي العاقبة المحمودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال ﴿ جنات عدن ﴾ أي بساتين إقامة تدوم ولا تفنى وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون عن ابن عباس وقيل هي مدينة في الجنة فيها الأنبياء والأئمة والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل عن الحسن وعبد الله بن عمر ثم بيّن سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال ﴿ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي أولادهم يعني من آمن منهم وصدّق بما صدّقوا به وذلك أن الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال ألحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس ومجاهد ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من أبواب الجنة الثمانية وقيل من كل باب من أبواب البرّ كالصلاة والزكاة والصوم وقيل من أبواب قصورهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه والتحف والهدايا عن ابن عباس ويقولون ﴿ سلام عليكم بما صبرتم ﴾ والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبشارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل أمر تشوبه مضرة أي سلمكم الله من الأهوال والمكاره بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها في طاعة الله تعالى ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ أي نعم عاقبة الدار ما أنتم فيه من الكرامة .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ
مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٣٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٣٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ
مَنْ أَنَابَ ﴿٣٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ

ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾

[ اللغة ] الانابة الرجوع إلى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم أتاهم مرة بعد مرة ويقال ناب ينوب نوبة إذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طِيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء والضمة كسرة لأن طوبى اسم وضيزى صفة فرّقوا بين الاسم والصفة .

[ الإعراب ] ﴿ الذين آمنوا ﴾ في موضع نصب رداً على مَنْ. المعنى يهدي إليه الذين آمنوا وألا حرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى في موضع رفع .

[ المعنى ] لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقّبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به أن يوصل ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ بالدعاء إلى غير الله عن ابن عباس وقيل بقتال النبي ﷺ والمؤمنين عن الحسن وقيل بالعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده واخراب بلاده وهذا أعم ﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾ وهي الابعاد من رحمة الله والتبعيد من جنته ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ أي عذاب النار والخلود فيها ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسف الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾ أي فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء أمر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾ أي ليست هذه الحياة الدنيا بالإضافة إلى الحياة الآخرة إلا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل أنه مذكور على وجه التعجب أي عجباً لهم أن فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي هلا أنزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوز أنهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن الله يضل من يشاء ﴾ عن طريق الجنة بسوء

أفعاله وعظم معاصيه وقد مضى القول في وجوه الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ أي رجع إليه بالطاعة ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكراً والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس أيضاً يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وهذا حثٌّ للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة إليه فإن وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس إليه أبلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين إذا كان قوله ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ في موضع رفع بالابتداء ويكون قوله ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصَّـٰلحـٰت ﴾ بدلاً منه وقوله ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ جملة في موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ وإذا كان الذين آمنوا الأول في موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ مبتدأ مستأنفاً وطوبى لهم خبره ومعناه أن الذين يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات ﴿ طوبى لهم ﴾ وفيه أقوال ( أحدها ) أن معناه فرح لهم وقرة عين عن ابن عباس ( والثاني ) غبطة لهم عن الضحاك ( والثالث ) خير لهم وكرامة عن إبراهيم النخعي ( والرابع ) الجنة لهم عن مجاهد ( والخامس ) معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الأنباري لأنه فعلى من الطيب وقيل أطيب الأشياء لهم وهو الجنة عن الجبائي ( والسادس ) هنيئاً بطيب العيش لهم ( السابع ) حسنى لهم عن قتادة ( الثامن ) نعم ما لهم عن عكرمة ( التاسع ) طوبى لهم دوام الخير لهم ( العاشر ) أن طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي ﷺ وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وأبي هريرة وشهر بن حوشب ورواه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) قال لو أن راكباً مجداً سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو أن غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هرما ألا في هذا فارغبوا إن المؤمن نفسه منه في شغل والناس منه في راحة إذا جنَّ عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته إلا فهكذا فكونوا وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله ( ع ) كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة ( ع ) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ﷺ إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة

وأدناني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها فحوَّل الله ذلك في ظهري ماء فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها وما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء أنسية وروى الثعلبي بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة أصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غصن ورواه أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال سئل رسول الله ﷺ عن طوبى قال شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة ثم سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال أن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد ﴿ وحسن مآب ﴾ أي ولهم حسن مآب أي مرجع .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ الآية بما قبله أنه بيَّن أن نقضهم للعهد إنما كان لحب الرئاسة والمنافسة في الدنيا وزهدهم في المنافسة و أخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم أن صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقَّب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكرهم فيما أنزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بيَّن سبحانه أنه يضل من يشاء أي يهلك من يشاء معجلاً ويؤخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل أنهم لما اقترحوا الآيات بيَّن أنهم إنما لم يجابوا إلى ذلك لأن في المعلوم أنهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ
ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ
ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا

صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

[ **القراءة** ] قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وأبو يزيد المزني أفلم يتبين[1] والقراءة المشهورة بيائس .

[ **الحجة** ] قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا** ﴾ وروي عن علي بن عياش أنها لغة فخذ من النَّخَع قال :

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوامُ أَنّي أَنا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نائِيا

وقال سحيم بن وثيل :

أَقُولُ لِأَهْلِ الشِّعْبِ إذْ يَاْسِرُونَني أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنّي ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ[2]

وروي إذ ييسرونني أي يقسمونني أي ألم يعلموا قال ويشبه عندي أن يكون هذا أيضاً راجعاً إلى معنى اليأس وذلك أن المتأمل للشيء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شيء اعتقده وأضرب عما سواه فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليائس عن الشيء عنه ولا يلتفت إليه هذا طريق الصنعة فيها .

[ **اللغة** ] المتاب التوبة تاب يتوب توباً ومتاباً والتوبة الفعلة الواحدة والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيراً وسيَّره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني مشبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومنه سميت القيامة قارعة وأصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الابطال ضرب بعضهم بعضاً وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين إذا قرئت .

[ **النزول** ] نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول

---

(١) وحكى عن أبي عباس أنه قال: كتب الكاتب « أفلم ييأس الذين آمنوا » وهو ناعس .

(٢) زهدم اسم فرس وقيل اسم فرس سحيم وقائل البيت ولده جابر بن سحيم وروى « أني ابن قاتل زهدم » وزهدم رجل من عبس فعليه يصح أن يكون الشعر لسحيم. وفي رواية أخرى « أني ابن فارس لازم » .

الله ﷺ لعلي (ع) اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركوا قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله ﷺ دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل ﴿ كذلك أرسلناك في أمة ﴾ الآية عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنها أرض ضيقة واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت أهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست أهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصياً أو من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ﴿ ولو أن قرآنا ﴾ الآية .

[ المعنى ] لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدَّم ذكره بالثواب وحسن المآب عقَّبه بذكر النعمة على من أرسل إليه النبي ﷺ فقال ﴿ كذلك أرسلناك ﴾ أي كما أنعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة أنعمنا على المرسل إليهم بإرسالك وقيل أن معنى التشبيه أنا كما أرسلنا الأنبياء في الأمم قبلك أرسلناك ﴿ في أمة قد خلت من قبلها أمم ﴾ أي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات ﴿ لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك ﴾ بيَّن الغرض في إرساله وهو أن يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته ويتّعظوا بها ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ أي وقريش يكفرون بالرحمن أي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما أخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا عن الحسن وقتادة وقيل معناه أنهم يجحدون بالوحدانية ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هو ربي ﴾ أي الرحمن الذي أنكرتموه ربي أي خالقي ومدبري ﴿ لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ أي إليه فوضت أمري متمسكاً بطاعته راضياً بحكمه ﴿ وإليه متاب ﴾ أي مرجعي وقيل معناه إلى الرحمن توبتي ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال ﴾ أي تجعل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أماكنها ﴿ أو قطعت به

**الأرض** ﴾ أي شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿ **أو كلم به الموتى** ﴾ أي أحيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لو لأن في الكلام دليلاً عليه والتقدير لكان هذا القرآن لعظم محله وعلو أمره وجلالة قدره قال الزجاج والذي أتوهم وقد قاله بعضهم أن المعنى لو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ﴿ **ولو أنزلنا إليهم الملائكة** ﴾ إلى قوله ﴿ **ما كانوا ليؤمنوا** ﴾ وحذف جواب لو يكثر في الكلام قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً ... وَلٰكِنَّها نَفْسٌ تُساقِطُ أنْفُسا[1]

وهو آخر القصيدة[2] وقال :

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ ... سِواكَ وَلٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[3]

﴿ **بل لله الأمر جميعاً** ﴾ معناه أن جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقنعاً وكفاية للمنصفين والأمر ما يصح أن يؤمر به وينهى عنه وهو عام وأصله الأمر نقيض النهي ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا** ﴾ أي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأبي مسلم وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال ﴿ **إن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً** ﴾ أي أن الله لو أراد أن يهدي الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الالجاء أي لو أراد أن يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافي التكليف ويبطل الغرض به ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** ﴾ من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿ **قارعة** ﴾ أي نازلة وداهية تقرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجدب والقتل والأسر عليهم على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كان يبعثها إليهم وقيل أراد بذلك ما مرّ ذكره من حديث أربد وعامر ﴿ **أو تحل قريباً من دارهم** ﴾ وقيل أن التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل تلك القارعة قريباً من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن

(١) مر البيت بمعناه في صفحة ٣٤٣ فراجع. (٢) أي ليس بعده بيت يكون فيه جواب لو، بل هذا آخر القصيدة
(٣) أي لو أتانا غيرك لدفعناه.

وقتادة وأبي مسلم والجبائي وقيل أن التاء للخطاب والمعنى أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ ظاهر المعنى .

[ النظم ] اتصلت الآية الأخيرة بقوله ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ والتقدير أن مثل هذا القرآن أنزل عليهم وهم يطلبون آيات أخر عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله ﴿ كذلك أرسلناك ﴾ الآية لأن المفهوم من قوله ﴿ لتتلو عليهم ﴾ أنه قرأ عليهم القرآن وأنهم كفروا به .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصُدّوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصَدّوا بفتح الصاد .

[ الحجة ] قال أبو الحسن صَدَّ وصددته مثل رجع ورجعته قال :

صَـدَّتْ كَما صَـدَّ عَمّا لا يَحِـلُّ لَـهُ  سـاقي نَصارى قُبَيْلَ الفِصْحِ صُوّامُ[1]

(١) الفصح ـ بالكسر ـ : فطر النصارى وهو عيد لهم .

قال عمرو بن كلثوم :

صَـدَدْتِ الـكَـأْسَ عَنّـا أمَّ عَـمْـرٍو وَكَـانَ الْكَـأْسُ مَجْـرَاهَـا الْيَمِينـا[١]

وحجة من أسند الفعل إلى الفاعل قوله ﴿ الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله ﴾ وفي موضع آخر ويصدون عن سبيل الله وصدوكم عن المسجد الحرام فلما أسند الفعل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدّوا الناس عن النبي ﷺ ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد فلان عن الخير وصد عنه بمعنى أنه لم يفعل خيراً ولا يراد به أن مانعاً منعه .

[ اللغة ] الاستهزاء طلب الهزؤ والهزؤ إظهار خلاف الإضمار للاستصغار والإملاء التأخير وهو من الملاوة والملوان الليل والنهار قال ابن مقبل :

أَلا يَـا دِيَـارَ الـحَيِّ بِـالـسَّبُعَـانِ أَلَـحَّ عَـلَيْهَـا بِـالـبِلَى الْـمَلَوَانِ[٢]

وقال في التهنئة ألبس جديداً وتملَّ حبيباً أي لتطل أيامك معه والواقي المانع فاعل من الوقاية وهوالحجر بما يدفع الأذى والمكروه .

[ المعنى ] ثم عزّى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ كما استهزأ هؤلاء بك ﴿ فأمليت للذين كفروا ﴾ أي فأمهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا ولتتم عليهم الحجة ﴿ ثم أخذتهم ﴾ أي أهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي فكيف حلَّ عقابي بهم وهو إشارة إلى تفخيم ذلك العقاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس وحافظ كل نفس أعمالها يجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها برزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ويدل على هذا المحذوف قوله ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ يعني أن هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء في العبادة من الأصنام التي لا تقدر على شيء مما ذكرنا ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ سموهم ﴾ أي سمُّوهم بما يستحقُّون من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى أن الصنم لو كان إلٰهاً لتصور منه أن يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق وقيل سمُّوهم بالأسماء

---

(١) أي أنا في اليمين وعليك أن تسقيني أولاً .

(٢) السبعان : موضع في ديار قيس . وقد ينسب هذا البيت إلى ابن الأحمر .

ـي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم واتخاذهم آلهة وقيل معناه أنه ليس لهم إسم له مدخل في استحقاق الإلٓهية وذلك إستحقار لهم وقيل سمُّوهم ماذا خلقوا وهل ضروا أو نفعوا وهو مثل قوله ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ عن الحسن ﴿ أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض ﴾ هذا إستفهام منقطع مما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى أنه ليس ولو كان لعلم ﴿ أم بظاهر من القول ﴾ أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل أم بظاهر كتاب أنزل الله تعالى سميتم الأصنام آلهة فبيَّن أنه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلٓهية عن الجبائي ثم بيَّن سبحانه بطلان قولهم فقال ﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم ﴾ أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والغواة كذبهم وزورهم ﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ سبق معناه في مواضع ﴿ لهم عذاب في الحياة الدنيا ﴾ بالقتل والسبي والأسر وقيل بالمصائب والأمراض ﴿ ولعذاب الآخرة أشق ﴾ أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته ﴿ وما لهم من الله من واق ﴾ أي مالهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى .

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

[ اللغة ] الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وأفراد وجمل وأجمال والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض وأصله الإتساع ومنه النهار لإتساع الضياء فيه وإنهرت الدماء وسعت مجراها وقال « مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَـأَنْهَرْتُ فَتْقَهـا »(١) أي وَسَّعْتُه والأكـل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالنائبة يقال تحزّب القوم إذا صاروا حزباً وحزبهم الأمر يحزبهم أي نالهم بمكروه .

[ الإعراب ] مثل الجنة التي فيه أقوال ( أحدهـا ) أنه بمعنى الشبـه وخبره محـذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا أَجَلُّ مَثَل ( والثاني ) أن تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضاً على الابتداء وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره أبو علي الفارسي ( والثالث ) إن معناه صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هـو مثل الجنـة قالـوا وقولـه سبحانه ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ معناه الصفة العليا ولم يرتض أبو علي هذا القول .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر ما أعدّ الله للكافرين عقّبه سبحانه بذكر ما أعدّه للمؤمنين فقال ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتهـا عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته وقيل إن مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد المتقون ﴿ تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم ﴾ يعني أن ثمارهـا لا تنقطع كثمـار الدنيـا وظلها لا يـزول ولا تنسخه الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيـل لذتها في الأفواه باقية عن إبراهيم التيمي ﴿ وظلها ﴾ أيضاً دائم لا يكون مرة شمساً ومرة ظلاً كما يكون في الدنيا ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق إليها التقوى ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾ أي وعاقبة أمر الكفار النار ولمّا تقدّم ذكر الوعد والـوعيد أخبر سبحانـه عن المتقين والكافـرين فقال ﴿ والـذين آتيناهم الكتـاب يفرحـون بما أنـزل إليك ﴾ يريد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين آمنوا به وصدّقوه أعطوا القرآن وفرحوا بإنزاله ﴿ ومن الأحزاب من ينكر بعضه ﴾ يعني اليهود والنصارى والمجوس أنكروا بعض معانيه وما يخالف أحكامهم عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فرحوا بالقرآن لأنهم يصـدّقون بـه والأحزاب بقية أهـل الكتاب وسـائر المشـركين عن ابن عباس قـال لأن عبد الله بن سـلام

(١) قائله قيس بن الحطيم يصف طعنة وبعده « يرى قائم من دونها ما وراءها » .

وأصحابه أساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله ﴿ **قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن** ﴾ ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ويريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن** ﴾ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنما أُمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** ﴾ أي أمرت أن أوجّه عبادتي إلى الله ولا أشرك به في عبادته أحداً ﴿ **إليه أدعو** ﴾ يعني إلى الله أو إلى الإقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة إليه وحده أدعو ﴿ **وإليه مآب** ﴾ أي إليه مرجعي ومصيري أي أرجع وأصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحداً من عباده كما ملكهم في الدنيا ﴿ **وكذلك أنزلناه حكماً عربياً** ﴾ أي كما أنزلنا الكتب إلى من تقدّم من الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك حكمة عربية أي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله ﴿ **وآتيناه الحكم والنبوة** ﴾ وقيل إنما سمّاه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وسمّاه عربياً لأنه أتى به نبي عربي ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم** ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به الأمة أي لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة ﴿ **بعد ما جاءك من العلم** ﴾ بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات ﴿ **ما لك من الله من ولي** ﴾ أي ناصر يعينك عليه ويمنعك من عذابه ﴿ **ولا واق** ﴾ يقيك منه « مِنْ وليٍّ » في موضع رفع ومِنْ مزيدة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

[ القـراءة ] قرأ أهـل البصرة وابن كثيـر وعاصم يثبت بـالتخفيف وقرأ البـاقـون يثبّت بالتشديد .

[ الحجة ] قال أبو علي المعنى يمحو ما يشاء ويثبته فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيبويه إن من العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكميت :

بِـأَيِّ كِـتَـابٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ سُـنَّـةٍ تَـرَىٰ حُبَّهُمْ عَـاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبُ

فلم يعمل الثاني وهذا والله أعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات فأما غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل وحجة من قال يُثَبِّت قوله وأشدُّ تثبيتاً وحجة من قرأ يُثْبِت ما روي عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى صلاة أثبتها وقوله ﴿ ثابت ﴾[1] لأن ثبت مطاوع أثبت .

[ النزول ] قال ابن عباس عيَّروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾ .

[ المعنى ] ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ أي نساء وأولاداً أكثر من نسائك وأولادك وكان لسليمان ( ع ) ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعمائة سرية ولداود ( ع ) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستنكر منك أن تتزوج ويولد لك وروي أن أبا عبد الله ( ع ) قرأ هذه الآية ثم أومى إلى صدره فقال نحن والله ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ أي لم يكن لرسول يرسله الله أن يجيء بآية ودلالة إلا بعد أن يأذن ا في ذلك ويطلق له فيه ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ ذكر فيه وجوه ( أحدها ) أن معناه لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجبه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم وإقتراحاتهم عن البلخي ( والثاني ) لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن أبي علي الجبائي ( والثالث ) أنه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فللتوراة وقت وللإنجيل وقت وكذلك القرآن ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ قيل في المحو والإثبات أقوال ( أحدها ) إن ذلك في الأحكام من الناسخ

(١) [ حيث قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ] .

والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار أبي علي الفارسي ( والثاني ) أنه يمحو من كتاب الحفظة المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبي والضحاك عن ابن عباس والجبائي ( والثالث ) أنه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلاً فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلاً عن سعيد بن جبير ( الرابع ) أنه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الأجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات والكائنات وروى أبو قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم إن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء وأثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروي مثل ذلك عن أئمتنا ( ع ) في دعواتهم المأثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي ﷺ وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال سألته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدّم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت أبا جعفر ( ع ) يقول العلم علمان علم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن أبي عبد الله ( ع ) قال هما أمران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم أمضاه وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء ( والخامس ) أنه في مثل تقتير الأرزاق والمحن والمصائب يثبته في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حثٌّ على الانقطاع إليه سبحانه ( والسادس ) إنه يمحو بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبيّنه قوله ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ عن عكرمة ( والسابع ) أنه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين** ﴾ وقوله ﴿ **كم أهلكنا قبلهم من القرون** ﴾ وروي ذلك عن علي ( ع ) ( والثامن ) إنه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس وبيانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغيّر ولا يبدّل لأن الكتب المنزلة إنتسخت منه فالمحو والإثبات أنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل إن ابن عباس سأل كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً وقيل إنما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أو سيكون كذا وكذا لكل ما

يكون فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل أنـه سيكون والـوجه في ذلـك ما فيـه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا أن ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله تعالى وعلمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكر فيه شاهداً له ﴿ وأما نرينك ﴾ يا محمد ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ أي نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال ﴿ أو نتوفينك ﴾ أي ونقبضنك إلينا قبل أن نـريك ذلـك وبيَّن بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته أي فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك وأن يكون مما لا بدَّ أن تراه ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ أي عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم وتقول بما أمرناك بالقيام به وعلينا حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم إما عاجلاً وإما آجلاً وفي هذه دلالة على أن الاسلام سيظهر على سائر الأديان ويبطل الشرك في أيامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر .

[ النظم ] إتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فبيَّن سبحانه أنه بشركما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشراً والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي سبحانه بهـا إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبي مسلم وقيل أنـه لم تقدَّم ذكـر إرسالـه بيَّن سبحانه أنه أرسل قبله بشراً كما أرسله فحاله مثل حالهم عن القـاضي وإنما اتصلت الآيـة الثانية بقوله ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لأن الظاهر اقتضى أن يكون كـل مكتوب لا يجـوز محوه فبيَّن سبحانه أنه يمحو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم أن المعصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي بـن عيسى وقيل لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئاً فلقد فرغ من الأمر فأنزل هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم إنا لو شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا ونمحو ونثبت في ليلة القدر ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله ﴿ وأمـا نرينـك ﴾ الآية بمـا قبله من وعيد الله بـالعذاب فبيَّن سبحانه أنه يفعل ذلك لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته بشارة له وقيل أنه لما تقدَّم أن لكل أجل كتاباً بيَّن أن لعذابهم وقتاً سيفعله فيه لا محالة إما في حياته أو بعد وفاته .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ

مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عيينة ومن عندِه علمِ الكتاب بكسر الميم والدال وقراءة علي والحسن وابن السميفع ومن عنده عُلِمَ الكتاب .

[ **الحجة** ] قال أبو علي العلم في قوله ﴿ **وسيعلم الكفّار** ﴾ هو المتعدي إلى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلامُ فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سدّ الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت بزيد بأن موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في أن الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علّق الفعل عنها فأما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر إسماً شائعاً كالإنسان في قوله ﴿ **إن الإنسان لفي خسر** ﴾ وزعموا أن لا ألف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فُعّال وزعموا أن في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا يقوي الجمع وقد جاء فاعل يراد به إسم الجنس أنشد أبو زيد :

إنْ تَبْخَلِي يَا جُمْلُ أوْ تَعْتَلِّي وَتُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ المُوَلِّي

فهذا إنما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا إشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه أم الكتاب ومن قرأ من عنده عُلم الكتاب فالمعنى مثل ذلك إلا أن الجار ههنا يتعلق بعُلم وفي الأول بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ ومرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ﴿ **ومنهم أميون** ﴾ .

[ **اللغة** ] النقص أخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والظرف منتهى

الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه وأطراف الأرض نواحيها والتعقيب ردُّ الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده إذا ردّ الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد « طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ »(١) والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة والشهيد والشاهد واحد إلا أن في شهيد مبالغة والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة .

[ **الإعراب** ] نقصها من أطرافها جملة منصوبة الموضع على الحال وكذلك قوله ﴿ **لا معقب لحكمه** ﴾ والباء في قوله ﴿ **كفى بالله** ﴾ زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الإضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الإضافة وذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله بمعنى أنه أمر به أزيل هذا الإحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الإضافة قوله ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ .

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كالبينة على الإعتبار فقال ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها** ﴾ أي نقصدها ﴿ **من أطرافها** ﴾ واختلف في معناه على أقوال ( أحدها ) أو لم ير هؤلاء الكفار أنا ننقص أطراف الأرض بإماتة أهلها ومجازه ننقص أهلها من أطرافها كقوله ﴿ **واسأل القرية** ﴾ أي أفلا يخافون أن نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة ( وثانيها ) ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها عن عطا ومجاهد والبلخي وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن أبي عبد الله ( ع ) قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار ( وثالثها ) إن المراد نقصد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فننقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك أو لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر أي أفلا يخافون أن نفتح لمحمد أرضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك أيضاً عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول أصح لأنه يتصل بما وعده من إظهار دينه ونصرته ( ورابعها ) إن معناه أو لم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي ﴿ **والله يحكم** ﴾ أي يفصل الأمر ﴿ **لا معقب لحكمه** ﴾(٢) ولا رادُّ لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب أحد حكمه بالرد والنقض ﴿ **وهو سريع الحساب** ﴾ أي سريع

---

(١) مر البيت في صفحة ٤٢٩ .

(٢) [ أي لا ناقض لحكمه ] .

المجازاة على أفعال العباد على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بيَّن سبحانه أن مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال ﴿ **وقد مكر الذين من قبلهم** ﴾ يريد أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ودبَّروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فأبطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء ﴿**فلله المكر جميعاً** ﴾ أي له الأمر والتدبير جميعاً فيردُّ عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن أبي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي ﴿ **يعلم ما تكسب كل نفس** ﴾ فلا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير وشر لأنه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في أمر الرسول فيبطل أمرهم ويظهر أمره ودينه ﴿ **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** ﴾ هذا تهديد لهم بأنهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم أم لهم إذا أظهر الله دينه ﴿ **ويقول الذين كفروا** ﴾ لك يا محمد ﴿ **لست مرسلاً** ﴾ من جهة الله تعالى إلينا ﴿ **قل** ﴾ لهم ﴿ **كفى بالله شهيداً بيني وبينكم** ﴾ أي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما أظهر من الآيات وأبان من الدلالات على نبوتي ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) أن من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ومِنْ عِنْدِه علمِ الكتاب ( والثاني ) إن المراد به مؤمنوا أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد واختاره الجبائي وأنكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهؤلاء أسلموا بعد الهجرة ( والثالث ) إن المراد به علي بن أبي طالب وأئمة الهدى ( ع ) عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( ع ) وروي عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله أنه قال إيانا عني وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كملا ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن أبي طالب ( ع ) ومن الصالحين من أولاده وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت أحداً اقرأ من علي بن أبي طالب ( ع ) للقرآن وروى أبو عبد الرحمن أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فعليٌ وقال أو لم آته .

# (١٤) سورة إبراهيم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من المشركين الم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً إلى قوله فبئس القرار .

[ عدد آيها ]

خمس وخمسون آية شامي أربع حجازي آيتان كوفي آية بصري .

[ اختلافها ] سبع آيات إلى النور في الموضعين حجازي وشامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد كوفي شامي والمدني الأول وفرعها في السماء غير المدني الأول والليل والنهار غير البصري عما نعمل الظالمون شامي .

[ فضلها ] أُبَيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة إبراهيم ( ع ) والحجر اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها وروى عيينة بن مصعب عن أبي عبد الله ( ع ) قال من قرأ سورة إبراهيم والحجر في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى .

[ تفسيرها ] لما ختم الله سورة الرعد باثبات الرسالة وانزال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة والكتاب فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٣﴾

[ **القراءة** ] الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر .

[ **الحجة** ] قال أبو علي بالجر جعله بدلاً من الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدراً في الأصل والمصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الأصل الإله ومعناه ذو العبادة أي العبادة تجب له قال أبو زيد التأله التنسك وانشد لرؤبة « سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ عَنْ تَأَلُّهِي »[١] فهذا في أنه في الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل إلا أن هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يغلب ما أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال :

وَنَابِغَةُ الْجَعْدِيُّ بِالرَّمْلِ بَيْتُهُ    عَلَيْهِ صَفِيحٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

والأصل النابغة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا النحو الوجهان قال :

تُقَعِّدُهُمْ أَعْرَاقُ حِذْيَمَ بَعْدَمَا    رَجَا الْهُتْمُ إِدْرَاكَ الْعُلَىٰ وَالْمَكَارِمِ[٢]

وقال « وجلت عن وجوه الأهاتم »[٣] ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخبر أو جعله صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ومن قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خبراً لقوله عالم الغيب والشهادة ومن جرّ أجرى عالم

---

(١) وقبله « لله در الغانيات المده » .

(٢) يعني يمنع قبيلة هتم عن ادراك المكارم نسبتهم الى حذيم وهو اسم رجل .

(٣) شطر من بيت الفرزدق وقد مر .

الغيب صفة على الأول وعلى هذا يجوز من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن أي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبراً لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبراً .

[ اللغة ] العزيز القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها والمحبة ارادة منافه المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب .

[ المعنى ] ﴿الر﴾ قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في أوائل السور وذكرنا اختلاف الاقاويل فيه في أول البقرة ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ يعني القرآن نزل به جبرئيل ( ع ) من عند الله تعالى أي هذا كتاب منزل إليك يا محمد ﷺ ليس بسحر ولا بشعر ﴿لتخرج الناس﴾ أي جميع الخلق ﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي من الضلالة الى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان ﴿بإذن ربهم﴾ أي بإطلاق الله ذلك وأمره به وفي هذا دلالة على أنه سبحانه يريد الإيمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز أن يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدي إلى معرفة الله المنيع في سلطانه المحمود في فعاله ونعمه التي أنعم بها على عباده ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ أخبر أنَّ الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدانيته من عذاب تتضاعف الأمة ثم وصف الكافرين بقوله ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ أي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمَّهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي إلى معرفة الله ويجوز أن يريد أنهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي يطلبون للطريق عوجاً أي عدولاً عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤنث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ أي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ

فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ ﴿٦﴾

[ **اللغة** ] التذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصبّار كثير الصبر .

[ **الإعراب** ] أنْ أخرِجْ يحتمل أن تكون أنْ بمعنى أي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالأفعال إلا أنها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى أنت الذي فعل يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أنه إنما يرسل الرسل إلى قومهم بلغتهم ليكون أقرب إلى الفهم واقطع للعذر فقال ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾ أي لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلا بلغة قومه حتى إذا بيَّن لهم فهموا عنه ولا يحتاجون إلى من يترجمه عنه وقد أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ إلى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ قال الحسن امتنَّ الله على نبيّه محمد ﷺ أنه لم يبعث رسولاً إلا إلى قومه وبعثه خاصة إلى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه أنا كما ارسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم أنهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال ﴿**فيضل الله من يشاء**﴾ عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ إلى طريق الجنة وقيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى وثبته الله ومن أعرض عنه خذله الله ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه إرساله

موسى فقال ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بالمعجزات والدلالات ﴿ان اخرج قومك﴾ أي بأن اخرج قومك ﴿من الظلمات إلى النور﴾ مرَّ معناه أي أمرناه بذلك وانما أضاف الاخراج إليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر إلى الإيمان ﴿وذكِّرهم بأيام الله﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) ان معناه وأمرناه بأن يذكر قومه وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد والبلخي ويعضدة قول عمرو بن كلثوم

وَأَيَّـامٍ لَـنَـا غُـرٌّ طِـوَالٍ عَصَيْنَـا المَلْكَ فيهـا أنْ نَـدِينَـا[١]

فيكـون المعنى الأيام التي انتقم الله فيهـا من القـرون الأولى ( والثـاني ) ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر أيامه عن ابن عباس وأبي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ( والثالث ) أنه يريد بأيام الله سننه وأفعالـه في عباده من انعام وانتقام وكنّى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامعة لكل منهما عن أبي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات لكل صبار شكور﴾ أي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وإنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها أو محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكأنه قـال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر ﴿وإذ قـال موسى لقـومه﴾ والتقدير واذكر يا محمد إذ قال مـوسى لهم ﴿اذكروا نعمـة الله عليكم إذا أنجـاكم﴾ أي في الوقت الذي أنجاكم ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ أي يذيقونكم ﴿سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم﴾ أي يستقونهـن احياء للاسترقاق ﴿وفي ذلكم بـلاء من ربكم عظيم﴾ والآية مفسـرة في سورة البقرة[٢] قال الفراء وإنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذّبون انواعاً من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فإذا حذفت الواو كان يذبحون تفسيـراً للعذاب .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) هذا بيت من معلقته يريد أيام الوقائع التي نصروا فيها على أعدائهم ويذكر قصة تحاكمهم الى الملك عمرو بن المنذر وقوله « ان ندينا » أي كراهية ان ندين أو لئلا ندين فحذف لا .

(٢) راجع الجزء الأول

جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟
إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[ اللغة ] التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد وتوعد قال الحارث بن حلزة

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[1]

والنبأ الخبر عما يعظم شأنه لهذا الأمر نبأ عظيم اي شأن ونبأ الله محمداً وتنبأ مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والريب أخبث الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة .

[ الإعراب ] قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض وقيل ان من زائدة عن أبي عبيدة وانكر سيبويه زيادتها في الإيجاب .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ التقدير واذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن والبلخي وقيل معناه وإذ قال لكم ربكم

---

(١) هذا أول بيت من معلقته الشهيرة يعني أعلمتنا أسماء بعزمها على فراقها أيانا ولم نمل من معاشرتها ولم نحن غيرها .

عن ابن عباس وقيل أخبر ربكم عن الجبائي ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم ﴿ولئن كفرتم﴾ أي جحدتم نعمتي ﴿إن عذابي لشديد﴾ لمن كفر نعمتي وقال أبو عبد الله (ع) في هذه الآية أيما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة ﴿وقال موسى ان تكفروا﴾ أي تجحدوا نعم الله سبحانه ﴿أنتم ومن في الأرض جميعاً﴾ من الخلق لم تضروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بأن تستحقوا عليه العقاب ﴿فإن الله﴾ سبحانه ﴿لغني﴾ عن شكركم ﴿حميد﴾ في أفعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه أو يرد على نبي من أنبيائه فإن الله سبحانه قد أنعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل ﴿ألم يأتكم﴾ قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نبينا ﷺ فذكرت بأخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى (ع) لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يجئكم ﴿نبأ الذين من قبلكم﴾ أي أخبار من تقدمكم ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الأنباري ان الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم فليس يعرفهم أحد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون وقيل ان النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ اختلفوا في معناه على أقوال (أحدها) ان معناه عضُّوا على أصابعهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي (وثانيها) ان معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به فالضمير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكأنهم لما سمعوا وعظ الأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتاً لهم عن الحسن ومقاتل (وثالثها) ان معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا إليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيته عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار (ورابعها) ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يئسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردُّوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن أبي مسلم وقيل ان المعنى ردُّوا

ما جاءت به الرسل وكذّبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما أمروا به وكفّوا عن قبول الحق عن أبي عبيدة والأخفش قال القتيبي ولم يسمع أحد ان العرب تقول ردّ يده في فيه بمعنى ترك ما أمر به وانما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقاً وغيظاً كقول الشاعر « يردون في فيه عشر الحسود » يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر وقال آخر

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفَا(١)

وقيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أي وعظهم وبيانهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد. قال الفراء انشدني بعضهم

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ(٢)

قال أراد أرغب بها يعني بنتاً له يقول ارغب بها عن لقيط وقبيلته ﴿وقالوا إنا كفرنا﴾ أي جحدنا ﴿بما أرسلتم به﴾ أي برسالاتكم ﴿ وإنّا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾ من الدين ﴿مريب﴾ متهم أي يوقعنا في الريب بكم انكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب ﴿قالت رسلهم﴾ حينئذ لهم ﴿أفي الله شك﴾ مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ أي خالقهما ومنشئهما لا يقدر على ذلك غيره فوجب أن يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الاجسام ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي يدعوكم إلى الإيمان به لينفعكم لا ليضركم وقال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعاً ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤاخذكم بعاجل العقاب ﴿قالوا﴾ أي قال لهم قومهم ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم ﴿إلا بشر مثلنا﴾ أي خلق مثلنا ﴿تريدون ان تصدونا﴾ أي تمنعونا ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وإنما يريد الخير والإيمان وانه إنما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلاً وانعاماً عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم .

---

(١) الازم شدة العض بالفم كله وأزمه في البيت كأنه فاعل أفنى . وفي بعض النسخ « أزمة » والوظيف : مستدق الذراع والساق .

(٢) سنبس ـ كزبرج : قبيلة من طي .

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

[ المعنى ] ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال ﴿قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم﴾ في الصورة والهيئة ولسنا ملائكة ﴿ولكن الله يمنُّ على من يشاء من عباده﴾ أي ينعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد منَّ الله علينا واصطفانا وبعثنا أنبياء ﴿وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان﴾ أي بحجة على صحة دعوانا ﴿إلا بإذن الله﴾ أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ المصدِّقون به وبأنبيائه ﴿وما لنا الا نتوكل على الله﴾ معناه وأيُّ شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوّض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عذر لنا في أن لا نتوكل على الله ولا نثق به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضاً ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدانا إلى سبيل الإيمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة إليه وان لا نشرك به شيئاً وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد أنا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا أن لا نتوكل على الله ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ فإنه تعالى يكفينا أمركم وينصرنا عليكم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ وإنما قصَّ هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الواقدي بإسناده عن أبي مريم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من الماء فاقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ

ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ
لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتِحوا وقراءة ابن أبي إسحاق في يوم عاصف بالإضافة .

[ **الحجة** ] قوله ﴿ واستفتحوا ﴾ معطوف على ما سبق من قوله ﴿ **فأوحى إليهم ربهم** ﴾ أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفي الحديث كان ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه أنه يقدمهم ويبدأ أمره بهم وكأنهم إنما سموا القاضي فتاحاً لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسد فيعمل عليه وأما قوله ﴿ **في يوم عاصف** ﴾ فمعناه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف هو الريح لا اليوم .

[ **اللغة** ] الاستفتاح طلب الفتح بالنصر. والخيبة اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو إدراك الطلبة والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذماً وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحاً لأن له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والعنيد مبالغة العائد والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبراً وبغياً قال :

إذا نَـزلْـتُ فَـاجْـعَـلانـي وَسَـطاً ... إنّي كَـبِـيـرٌ لا أُطِـيـقُ الْـعُـنَّـدا

والوراء والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدام وقد يكون وراء بمعنى قدام قال :

أَيَـرْجُـو بَنُـو مَرْوَانَ سَمْعي وَطَـاعَتي ... وَقَـوْمِـي تَـمِـيـم وَالْـفَـلاةُ وَرائِـيـا

قال الزجاج الوراء ما يواري عنك وليس من الاضداد قال النابغة :

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

والصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من أنه يُصد عنه تكرهاً له والقيح دم مختلط بمِدَّةٍ[1] وقوله ﴿ صديد ﴾ بيان الماء الذي يسقون فلذلك أعرب بإعرابه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والإساغة إجراء الشراب في الحلق يقال ساغ الشيء وأسغته أنا والاشتداد الإسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجع من هذا لأنه أسرع إليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وإنما جعل العصف صفة لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم ماطر ويجوز أن يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جحر ضب خرب أي خرب جحره .

[ الإعراب ] أو في قوله ﴿ أو لتعودن ﴾ بمعنى إلا أن كما يقال لا أكلمك أو تدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع فما يقع مثل قوله ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ وما لم يقع مثل قوله ﴿ لم يكد يراها ﴾ لأن المعنى لم يرها. مثل الذين كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعاً بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقحماً كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعاً بالابتداء وأعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتمال وكرماد الخبر .

[ المعنى ] ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا ﴾ أي من بلادنا ﴿ أو لتعودن في ملتنا ﴾ أي إلا أن ترجعوا إلى أدياننا ومذاهبنا التي نحن عليها ﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ أي فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين ﴿ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ﴾ أي نسكننكم أرضهم من بعدهم يريد اصبروا فإني أهلك عدوكم وأورثكم أرضهم وفي معناه ما جاء في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ﴿ ذلك لمن خاف مقامي ﴾ أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي في الموضع الذي أقيمه فيه وأضاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره ﴿ وخاف وعيد ﴾ أي عقابي وإنما قالوا أو لتعودن في ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط أما لأنهم توهموا على غير حقيقة أنهم كانوا على ملتهم وأما لأنهم ظنوا بالنشوء أنهم كانوا عليها ﴿ واستفتحوا ﴾ أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على

---

(١) المدة ما يجتمع في الجرح من القيح .

الكفار عن مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم لأن الفتح الحكم والفتاح الحاكم عن الجبائي ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾ أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب الذي توعدهم به الأنبياء على جهة التكذيب لهم ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج أي له مع الخيبة نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وإنما جاز في الزمان أن يسمى الأمام وراء وأن لم يجز في غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ أي ويسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن أبي عبد الله (ع) وأكثر المفسرين أو لونه لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ في قوله ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه[١] فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل ﴿ وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة خبال[٢] وهو صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) عنه ﷺ ﴿ يتجرعه ﴾ أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ أي لا يقارب أن يشربه تكرهاً له وهو يشربه والمعنى أن نفسه لا تقبل لحرارته ونتنه ولكن يكره عليه ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان ﴾ أي تأتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من أطراف شعره عن إبراهيم التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع ويأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه وشماله ومن قدامه وخلفه عن ابن عباس والجبائي ﴿ وما هو بميت ﴾ أي ومع اتيان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وأنواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله ﴿ لا يقضي عليهم فيموتوا ﴾ ﴿ ومن ورائه ﴾ أي وراء هذا الكافر ﴿ عذاب غليظ ﴾ وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الأعمال فقال ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ وقيل ان معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم

(١) الفروة: جلدة الرأس.

(٢) الخبال: عصارة أهل النار ذكره في النهاية. وفي اللسان وطينة الخبال: ما سال من جلود أهل النار.

فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيبويه ﴿ أعمالهم ﴾ في قلة انتفاعهم بها ﴿ كرماد اشتدت به الريح ﴾ أي ذرته ونسفته ﴿ في يوم عاصف ﴾ أي شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار ﴿ لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ ﴿ذلك هو الضلال البعيد ﴾ يعني أن عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لأنه أضاف العمل إليهم ولو كان مخلوقاً له سبحانه لما صح إضافته إليهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

[ القراءة ] قرأ خالق السماوات ههنا وفي النون أهل الكوفة غير عاصم والباقون خلق .

[ الحجة ] قال أبو علي من قرأ خلق فلأن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السماوات لأن فاطر بمعنى خالق .

[ اللغة ] البروز خروج الشيء عما كان ملتبساً به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له. الضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز أن يكون مصدراً وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع وأغنى عنه أي دفع عنه فأغناه أي نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصاً وحيوصاً مثل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال :

فَإِنْ تَصْبِرَا فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَغَبَّةٍ(١) وَإِنْ تَجْزَعَا فَالأَمْرُ مَا تَرَيَانِ

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه أنه إنما خلق الخلق ليعبدوه وليؤمنوا به لا ليكفروا فقال ﴿ ألم تر ﴾ أي ألم تعلم لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك للبصر وههنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤية بالبصر والخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة ﴿ إن الله خلق السماوات والأرض ﴾ على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب ﴿ بالحق ﴾ أي بقوله الحق وقيل أراد للحق أي للغرض الصحيح والأمر الحق وهو الدين والعبادة أي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ أي إن يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوماً آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشيء كان على هدمه أقدر إذ لم يخرج عن كونه قادراً ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر على الله تعالى ﴿ وبرزوا لله جميعاً ﴾ أخبر سبحانه أن الخلق يبرزون يوم القيامة لله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعاً القادة والاتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسيغه. لما تقدَّم ذلك الوعيد بيَّن صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبوعين من المجادلة وقال ﴿ فقال الضعفاء للذين استكبروا ﴾ أي تكبروا عن الإيمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء ﴿ إنا كنا لكم تبعاً ﴾ في الكفر على وجه التقليد ﴿ فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾ أي هل أنتم دافعون عنا شيئاً من عذاب الله الذي قد نزل بنا إن لم تقدروا على دفع الكل ومِنْ للتبعيض ﴿ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ﴾ أي قال المتبوعون للاتباع لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب والوصول إلى النعيم والثواب لهديناكم إلى ذلك والمعنى لو خلصنا لخلصناكم أيضاً لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائي وأبي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله إلى الرجعة إلى الدنيا فنصلح ما أفسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله بإجابتنا إلى الطلب لهديناكم بالمسألة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ يعني أن الصبر والجزع سيان مثلان ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله أي انقطعت حيلتنا ويئسنا من النجاة. حثَّ الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذَّر من التقليد وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله للحارث الهمداني يا حار الحق لا يُعرف

(١) مغبة الأمر: عاقبته وقد مضى البيت.

بالرجال أعرف الحق تعرف أهله .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة وحده بمصرخيِّ بكسر الياء والباقون بفتحها .

[ الحجة ] قال أبو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بن معن أنه صواب قال وكان ثقة بصيراً وزعم قطرب أنه لغة من بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء وأنشد :

قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يَا تَافِيِّ ... قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ

ماضٍ إذا ما هَمَّ بِالْمُضِيِّ

وأنشد الفراء ذلك أيضاً ووجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع النصب أو الجر فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما وكالكاف في أكرمتك وهذا لك فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا كهو وألحقت أيضاً الكاف الزيادة في قول من قال أعطيتكاه وأعطتكيه فيما حكاه سيبويه وهما اختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة في المد فقالوا فييّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال لَهْ أرقان[1] وزعم أبو الحسن أنها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال أعطيتكيه وأعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من أختيها وأقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما ل[illegible] الهاء والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو « رميتيه فأصبتيه وما أخطأت الرمية » فإذ[illegible]كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غيرها

(١) هذا شطر من بيت مر في صفحة ٢٥٣ فراجع .

أفشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل أن يقول أن القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقاً لكسرة همزة قوله ﴿ اني كفرت ﴾ لأنه أراد الوصل دون الوقف والابتداء بإني كفرت لأن الابتداء بأني كفرت محال فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها .

[ اللغة ] الاصراخ الاغاثة بإجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فأصرخته أي استغاث بي فأغثته .

[ المعنى ] لما تقدَّم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين عقَّب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال ﴿ وقال الشيطان ﴾ وهو إبليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه ﴿ لما قضي الأمر ﴾ أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقالا أنه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو أحقر وأذل من أن يخاطب لولا أن الله أذن فيه توبيخاً لأهل النار وقيل أنه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ﴾ من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب ﴿ ووعدتكم ﴾ أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي ﴿ فاخلفتكم ﴾ أي كذبتكم وقيل لم أوف لكم بما وعدتكم ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم ﴾ أي وما كان لي عليكم سلطان بالإكراه والإجبار على الكفر والمعاصي وإنما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة ﴿ فاستجبتم لي ﴾ بسوء اختياركم وقيل معناه ما أظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا أن دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم إلى الضلال وأغويتكم فصدَّقتموني وأجبتموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم ﴿ فلا تلوموني ﴾ على ما حلَّ بكم من العقاب بسوء اختياركم ﴿ ولوموا أنفسكم ﴾ حيث عدلتم عن أمر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان ﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا معينكم وما أنتم بمغيثي ولا معيني ﴿ إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ أي كفرت الآن بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة أي جحدت أن أكون شريكاً لله تعالى فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره إني كفرت بما أشركتموني به أي بالله ويعني بقوله ﴿ من قبل ﴾ في وقت آدم ( ع ) حين أمر بالسجود فأبى واستكبر ﴿ إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ قيل أنه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل أنه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على أن الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء والاغواء وأنه ليس عليه إلا عقاب الدعوة فحسب .

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ
بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ
مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

**[ القراءة ]** في الشواذ قراءة الحسن وادخِلُ الذين آمنوا برفع اللام .

**[ الحجة ]** قال ابن جني هذه القراءة على أن ادخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستؤنف فقال الله وأنا أدخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقوله ﴿ بإذن ربهم ﴾ أي بإذني إلا أنه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم فيكون اذهب في الإكرام والتقريب منه لهم .

**[ اللغة ]** التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة وأما قوله ﴿ **التحيات لله** ﴾ فإن في ذلك ثلاثة أقوال ( أولها ) المعنى أن الملك لله يقال حياك الله أي ملكك ( وثانيها ) البقاء لله يقال حياك الله أي أبقاك الله فيكون بمعنى أحياك الله كما يقال وصى وأوصى ومهل وأمهل ( وثالثها ) أن ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وإنما جمع لأنه كان في الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم أبيت اللعن ولبعضهم أسلم وأنعم ولبعضهم عش ألف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله أي كل الألفاظ التي يحيا بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من أصله يقال جثه واجتثه والجثة أخذت منه

**[ المعنى ]** لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال ﴿ **وادخل الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي الطاعات ﴿ **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ قد سبق معناه ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي بأمر ربهم واطلاقه

﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ مرّ تفسيره في سورة يونس[١] ثم ضرب الله سبحانه مثل يقرب من أفهام السامعين ترغيباً للخلق في اتباع الحق فقال ﴿ ألم تر ﴾ أي ألم تعلم يا محمد ﴿ كيف ضرب الله مثلاً ﴾ أي بيّن الله شِبَهاً ثم فسّر ذلك المثل فقال ﴿ كلمة طيبة ﴾ وهي كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل هي كل كلام أمر الله تعالى به من الطاعات عن أبي علي قال وإنما سماها طيبة لأنها زاكية نامية لصاحبها بالخيرات والبركات ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ أي شجرة زاكية نامية راسخة أصولها في الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء وأراد به المبالغة في الرفعة والأصل سافل والفرع عال إلا أنه يتوصل من الأصل إلى الفرع وروى أنس عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل أنها شجرة في اللجنة عن ابن عباس وروى ابن عقدة عن أبي جعفر ( ع ) أن الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي ( ع ) وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها أولادها وأغصانها وأوراقها شيعتنا ثم قال ( ع ) أن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وأن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروي عن ابن عباس قال قال جبريل ( ع ) للنبي ﷺ أنت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها وقيل أراد بتلك شجرة هذه صفتها وإن لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل أن المراد بالكلمة الطيبة الإيمان وبالشجرة الطيبة المؤمن ﴿ تؤتي أكلها ﴾ أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها ﴿ كل حين ﴾ أي في كل ستة أشهر عن ابن عباس وأبي جعفر ( ع ) وقال الحسن وسعيد بن جبير أراد بذلك أنه يؤكل ثمرها في الصيف وطلعها في الشتاء وما بين صرام النخلة إلى حملها ستة أشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين أي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت أن يصرم النخل إلى حين يطلع يكون شهرين وقال الربيع بن أنس كل حين أي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً وقيل معناه في جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون أولاً طلعاً ثم يصير بلحاً ثم بسرا ثم رطباً ثم تمرا فيكون ثمره موجوداً في كل الأوقات ويدل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحية والملدوغ :

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا ... تُطَلِّقُهُ حِيناً وَحِيناً تُرَاجِعُ[٢]

---

(١) في صفحة ١٤١ .

(٢) تناذرها أي أنذر بعضهم بعضاً . وراقون جمع الراقي : من يصنع الرقية وهي العوذة . وفي الديوان وشرح الاشموني « تطلقه طوراً وطوراً تراجع » . ويروى أيضاً « من سوء سمعها » .

يعني أن السم يخف ألمه وقتاً ويعود وقتاً وقيل أنه سبحانه شبَّه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها وشبَّه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبَّه ما يكسبه المؤمنون من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل أن معنى قوله تؤتي أكلها كل حين ﴿ **بإذن ربها** ﴾ ما يفتي به الأئمة من آل محمد ﷺ وشيعتهم في الحلال والحرام ﴿ **ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل ﴿ **ومثل كلمة خبيثة** ﴾ وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن أبي علي ﴿ **كشجرة خبيثة** ﴾ غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وأنس ومجاهد وقيل أنها شجرة هذه صفتها وهو أنه لا قرار لها في الأرض عن الحسن وقيل أنها الكشوث[1] عن الضحاك وروى أبو الجارود عن أبي جعفر ( ع ) أن هذا مثل بني أمية ﴿ **اجتثت من فوق الأرض** ﴾ أي اقتطعت واستؤصلت واقتلعت جثته من الأرض ﴿ **ما لها من قرار** ﴾ أي ما لتلك الشجرة من ثبات فإن الريح تنسفها وتذهب بها فكما أن هذه الشجرة لاثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها أحد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس أيضاً أنها شجرة لم يخلقها الله بعد وإنما هو مثل ضربه بهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ
دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ
أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

[ **اللغة** ] الاحلال وضع الشيء في محل اما بمجاورة أن كان من قبيل الاجسام أو بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الهلاك يقال بار الشيء يبور بوراً إذا هلك ورجل

(٢) الكشوث : نبات يلتف على الشوك والشجر لا أصل له في الأرض ولا ورق .

بور أي هالك وقوم بور أيضاً قال ابن الزبعري :

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إذْ أنَا بُورُ

والانداد الامثال المنادُّون قال :

تُهْدَى رُؤُوسُ الْمُتْرَفِينَ الأَنْدَاد إلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ المُمْتَادِ[1]

[ الإعراب ] جهنم انتصب على البدل من قوله ﴿ دار البوار ويصلونها ﴾ في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالاً من جهنم وان شئت فمنهما كقوله ﴿ تحمله ﴾ بعد قوله ﴿ فأتت به قومها ﴾ .

[ المعنى ] لما قدَّم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقَّبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلّوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا وبإسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين أن المراد بقوله ﴿ في الآخرة ﴾ في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أئمتنا ( ع ) وروى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي ( ع ) قال أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مُثّل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول والله إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فمالي عندك فيقول خذ مني كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول والله إني كنت لكم لمحباً وعليكم لمحامياً فماذا لي عندكم فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت إلى عمله فيقول والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لثقيلاً فماذا لي عندك فيقول أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك قال فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً فقال أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأنيابهما أصواتهما

(١) مر البيت في صفحة ٣٠٦ .

كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله زياً وأنتنه ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحتبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناه من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وأنا ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ أي ويضلّهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ من الإمهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ﴾ يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدّلوا مكان الشكر كفراً وروي عن الصادق (ع) أنه قال نحن والله نعمة الله التي أنعمها أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز. ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذا جعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فمتعوهم إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وقيل أنهم جبلة بن الايهم ومن اتبعوه من العرب تنصروا ولحقوا بالروم ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أنزلوهم دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي وإغوائهم إياهم ﴿ جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ وهذا تفسير لدار البوار يعني أن تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار ﴿ وجعلوا لله أنداداً ﴾ أي وجعل

هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفراً لله نظراء وأمثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم ﴿ ليضلوا عن سبيله ﴾ أي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله وغرضهم أن يهلكوا ومن قرأ لِيُضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ قل ﴾ لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم ﴿ تمتعوا ﴾ وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وإن كان بصورة الأمر ﴿ فإن مصيركم ﴾ أي مرجعكم ومآلكم ﴿ إلى النار ﴾ والكون فيها وكان قد يكون .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

[ القراءة ] قرأ زيد عن يعقوب من كُلٍّ ما سألتموه بالتنوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر ( ع ) وجعفر بن محمد الصادق ( ع ) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة .

[ **الحجة** ] أما القراءة بالتنوين فإن المفعول فيها ملفوظ به أي وأتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن يؤتيكم منه وقال الضحاك أن ما للنفي معناه وآتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي وآتاكم سؤالكم من كل شيء سألتموه .

[ اللغة ] الخلال مصدر خاللته مخالة وخلالاً أي صادقته قال امرؤ القيس :

صَرَفْتُ الْهَوىٰ عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدىٰ وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلالِ وَلاَ قالِ(١)

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب يدأب دأباً ودؤوباً فهو دائب .

[ الإعراب ] يقيموا جزم من ثلاثة أوجه ( أحدها ) أنه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل أن تقل لهم يقيموا الصلاة ( والثاني ) أنه جواب أمر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة ( والثالث ) أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقيموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلاً على المحذوف ألا ترى أن لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرواً وإن شئت قلت قل لزيد يضرب عمرواً ولا يجوز أن تقول يضرب زيد عمرواً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفتها وقوله لا بيع فيه ولا خلال إن شئت رفعت البيع والخلال جميعاً وإن شئت فتحتهما وإن شئت فتحت أحدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى .

[ المعنى ] ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لعبادي الذين آمنوا ﴾ أي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به أصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل أراد به جميع المؤمنين عن الجبائي ﴿ يقيموا الصلاة ﴾ أي يؤدّوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا بإقامتهم ﴿ وينفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية ﴾ أي وقل لهم ينفقوا من أموالهم في وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل سراً ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء وفي الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ يعني يوم القيامة والمراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلص به من النار لا أن هناك مبايعة ﴿ ولا خلال ﴾ أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين ثم بيَّن سبحانه أنه المستحق للإلٓهية فقال ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ أي أنشأهما من غير شيء وبدأ بذكرهما لعظم شأنهما في القدرة والنعمة ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ فأخرج به ﴾ أي بذلك الماء ﴿ من الثمرات رزقاً لكم ﴾ يعني أن الغرض في ذلك أن يؤتيكم أرزاقكم ﴿ وسخّر لكم الفلك ﴾ أي السفن والمراكب ﴿ لتجري في البحر بأمره ﴾ أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح

(١) المقلي : المبغوض. والقالي : الباغض .

والله هو المنشىء للرياح ﴿ **وسخر لكم الأنهار** ﴾ التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الأنهار ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر** ﴾ أي ذلّل لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلاً وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتمُّ النعمة فيهما ﴿ **دائبين** ﴾ أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار** ﴾ أي ذلّلهما لكم ومهّدهما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ معناه أن الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله الغنى فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج إليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من للتبعيض لأنه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى أن جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والأمر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله إياه وتقديره وآتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وأتاكم من كل ما بكم إليه حاجة فما من شيء يحتاج إليه العباد إلا وهو موجود فيما بينهم وهو كقوله ﴿ **خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾ ولم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله وقيل معناه وآتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما ههنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وإن فيما أبقى دليلاً على ما ألقى ﴿ **وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ أي لا تقدروا على إحصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم أقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع. فبيّن سبحانه أنه هو المنعم على الحقيقة وأنه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حَبيب أنه قال أن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين ﴿ **إن الإنسان لظلوم** ﴾ أي كثير الظلم لنفسه ﴿ **كفار** ﴾ أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ .

[ **النظم** ] اتصل قوله سبحانه ﴿ **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة** ﴾ بما تقدم من قوله ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار** ﴾ فانه عقّب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقّب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصلت الآية الثانية بقوله ﴿ **وجعلوا لله أنداداً** ﴾ فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بيّن

بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السماوات والأرض الآية .

﴿ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي
فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ
مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي
وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة الجحدري والثقفي وأبي الجحجاح واجنبني بقطع الهمزة وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( ع ) وأبو جعفر الباقر ( ع ) وجعفر بن محمد ( ع ) ومجاهد تهوى إليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وهبيرة عن حفص وتقبل دعائي ربنا بإثبات الياء في الوصل وفي رواية البزي عن ابن كثير أنه يصل ويقف بياء وقال

قبيل أنه يشم الياء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والباقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي ( ع ) وأبو جعفر محمد بن علي ( ع ) والزهري وإبراهيم النخعي ولـولدَيَّ وقرأ يحيى بن يعمر ولوُلدي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي .

[ الحجة ] يقال جنبت الشيء أجنبه جنوباً ومن العرب من يقول أجنبته أجنبه أي تجنبته عن الشيء وكأن معنى قوله أجنبني وبني أن نعبد الأصنام أصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى أجنبني اجعلني كالجنيب عن ذلك وأما قوله ﴿ تهوى إليهم ﴾ بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا أحببته وإنما جاز تعديته بإلى لأن معنى هـويت الشيء ملت إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ فعدّى الرفث بإلى وأنت لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها أو معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى الإفضاء عدّاه بإلى فكأنه قال أحل لكم الافضاء إلى نسائكم قال ابن جني المعنى في قراءة الجماعة تهوى إليهم تميل إليهم أي تحبهم فهذا في المعنى كقولهم وهو ينحط في هواك أي يخلد إليه ويقيم عليه وذلك أن الإنسان إذ أحب الشيء أكثر من ذكره وأقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواه وقولهم هويت فلاناً من لفظ هوى إلى الشيء يهوي إلا أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقيين وأما من وصل دعائي بياء فهو القياس من شم الياء في الوصل ولا يثبتها فلدلالة الكسرة على الياء قال أبو علي حذف الياء في الوقف أقيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الأعشى :

فَهَـلْ يَمْنَعْـنـي إرْتِـيَـادِيَ الـبِـلادِ مِـنْ حَـذَرِ الْـمَـوْتِ أنْ يَـأتِـيَـنْ

وقال :

وَمِـنْ شَـانِـيءٍ كَـاسِـفٍ وَجْـهُـهُ إذا مَـا انْـتَـسَـبْـتُ لَـهُ أنْـكَـرَنْ

ومن قرأ لوَلَدَيَّ فإنه يعني إسماعيل وإسحاق ومن قرأ لوُلدي فإنّ الولد قد يكون واحداً وجمعاً تقول العرب ولدك من دمّي عقبيك ومعناه ولدك من ولدته فسال دمك على عقبيك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جمعاً فيجوز أن يكون جمع ولَد فهو كأسد وأُسد ويجوز أن يكون جمع وُلد أيضاً فيكون مثل الفلك في أنه جمع الفلك

[ اللغة ] الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأنهار العظام أودية لأن حافاتها كالجبال لها ومنه الدية لأنه مال عظيم يحتمل في أمر عظيم .

[ المعنى ] ﴿ وإذ قال إبراهيم ﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾ يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل أن إبراهيم ( ع ) لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدّم تفسيره في سورة البقرة[1] وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفاً لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء إبراهيم ( ع ) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم ﴿ وأجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ﴾ أي والطف لي ولبنيّ لطفاً تتجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله أن يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لهم واستجاب دعاءه فيهم ﴿ رب انهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ معناه ضلّ بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال فتنتني فلانة يعني افتتنتُ بحبها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر :

هَبُوني امرَأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ

وإنما أراد ضلَّ بعيره لأن أحداً لا يُضلُّ بعيره قاصداً إلى إضلاله ﴿ فمن تبعني فإنه مني ﴾ يريد فمن تبعني من ذريتي الذين أسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملتي وحاله كحالي ﴿ ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ أي ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع أحوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء إبراهيم ( ع ) وأنه قال ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي ﴾ أي أسكنت بعض أولادي ولا خلاف أنه يريد إسماعيل ( ع ) مع أمه هاجر وهو أكبر ولده وروي عن الباقر ( ع ) أنه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة إبراهيم ( ع ) لنا خاصة ﴿ بواد غير ذي زرع ﴾ يريد وادي مكة وهو الأبطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر مفعول أسكنت لأن مِنْ يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان وأكلنا من الطعام وكما قال سبحانه أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وتقديره أسكنت من ذريتي أناساً أو ولداً عن البلخي ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ إنما أضاف البيت إليه سبحانه لأنه مالكه لا يملكه أحد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف سماه بيتاً ولم يبنه إبراهيم ( ع ) بعد والجواب من وجهين ( أحدهما ) أنه لما كان من المعلوم أنه يبنيه سماه بيتاً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه ( والثاني ) أن البيت قد كان

(١) راجع الجزء الأول

قبل ذلك وإنما خربه طسم وجديس [١] وقيل أنه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سمّاه المحرَّم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالإحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشيء من الاقذار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمة ﴿ **ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ أي أسكنتهم هذا الوادي ليداوموا على الصلاة ويقيموا بشرائطها واللام تتعلق بقوله ﴿ **أسكنت** ﴾ وفصل بينه وبين ما تعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله :

عَلىَ حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ ... فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ [٢]

أي أندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر وما تعلق به كان هذا أولى ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ هذا سؤال من إبراهيم (ع) أن يجعل الله قلوب الخلق تحنّ إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك أنس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بإمالة قلوب الناس إليه إما للدين كالحج والعمرة وإما للتجارة لما صحَّ أن يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد أنه قال إن إبراهيم (ع) لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر (ع) أنه قال إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيُعلمونا ولا يتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل إن معنى تهوي إليهم ينزع إليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه وينزل ويهبط إليهم لأن مكة في غور عن أبي مسلم ﴿ **وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ أي لكي يشكروا لك ويعبدوك ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾ هذا إعتراف من إبراهيم (ع) لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهرونه وأنه لا يخفى عليه شيء مما في الأرض والسماء وقيل إن قوله ﴿ **وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾ إنما هو إخبار منه سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن إبراهيم (ع) بل هو اعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى حكاية كلام إبراهيم (ع) فقال ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق** ﴾ وهذا

---

(١) طسم وجديس: قبيلتان من العرب سكان مكة فانقرضوا وقيل: حيان من عاد.

(٢) قيل إن قائل البيت هو أعشى همدان يهجو به لصوصاً. وندلاً هو هنا الأخذ باليدين او هو الخطف. والثعلب يضرب به المثل في الأخذ لأنه يدخر لنفسه ويأتي علي ما يعدو عليه من الحيوان وفي المثل « هو أكسب من ثعلب » وزريق اسم قبيلة.

اعتراف منه بنعم الله سبحانه وحمد له على إحسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة وإثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم (ع) إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة ﴿ إن ربي لسميع الدعاء ﴾ أي قابله ومجيبه عن ابن عباس ويؤيده قوله ﴿ سمع الله لمن حمده ﴾ ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من إبراهيم (ع) من الله تعالى بأن يلطف له اللطف الذي عنده يقيم الصلاة ويتمسك بالدين وأن يفعل مثل ذلك بجماعة من ذريته وهم الذين أسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ أي وأجِبْ دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الإجابة وقبول الطاعة الإثابة ﴿ ربنا إغفر لي ولوالدي ﴾ واستدل أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أن أبوي إبراهيم (ع) لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه فصحَّ أن أباه الذي كان كافراً إنما هو جده لأمه أو عمه على الخلاف فيه ومن قال إنما دعا لأبيه لأنه كان وعده أن يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله ﴿ فاسد ﴾ لأن إبراهيم (ع) إنما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد أن وهب له إسماعيل وإسحاق وقد تبيَّن له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز أن يقصده بدعائه ﴿ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ أي واغفر للمؤمنين أيضاً يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق .

[ النظم ] إتصلت الآيات بما قبلها لأن النهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدَّم فبيَّن الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه إبراهيم (ع) من التشدد في إنكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ وقيل إنه لما قال ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ بيَّن عقيبه ما دعا به إبراهيم (ع) وسأله إياه وأجابته لدعائه وسؤاله .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣)

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

[ اللغة ] الإهطاع الإسراع قال :

فِي مُهْطِعٍ سَرِعٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ ... فِي رَأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَرَاكٍ مُشَذَّبِ[1]

وقال آخر :

بِدَجْلَةَ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ ... بِدَجْلَةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ

أي مسرعين وقيل إن الإهطاع مدّ العنق والهطع طول العنق قال أحمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والإقناع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشماخ :

يُبَاكِرْنَ الْعِضَاهَ بِمُقْنِعَاتٍ ... نَوَاجِذُهُنَّ كَالْحَدَإِ الْوَقِيعِ[2]

أي كالفؤوس المحدبة يصف إبلًا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت وهو أن ينظر ثم يغمض والطرف العين أيضاً وأفئدتهم هواء أي متجوفة لا تعي شيئاً للخوف والفزع شبّهها بهواء الجو قال حسان :

ألا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[3]

---

(١) جذع مشذب أي مقشر إذا قشرت ما عليه من الشوك .

(٢) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والمقنع : الفم الذي يكون عطف أسنانه إلى داخل الفم وذلك القوى الذي يقطع له كل شيء . والحدأ جمع الحدأة : الفأس ذات الراسين . وسكين وقيع أي حديد .

(٣) رجل نخب أي جبان .

وقال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ(١)

والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد .

[ الإعراب ] يوم يأتيهم نصب على أنه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم . فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لأنه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب والرفع فالنصب مثل قول الشاعر :

يَا نَاقَ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحَا إِلَى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

والرفع على الإستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف أي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وإنما يخبر به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا .

[ المعنى ] لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبيَّن أنه لا يمهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجة قال ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾ وفي هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على أعمالهم وقيل إن تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم ولا ينتصف للمظلومين منهم ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ ومعناه إنما يؤخر عقابهم ومجازاتهم إلى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص أبصارهم إلى إجابة الداعي حين يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب ﴿ **مهطعين** ﴾ أي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وقيل يريد دائمي النظر إلى ما يرون لا يطوفون عن ابن عباس ومجاهد ﴿ **مقنعي رؤوسهم** ﴾ أي رافعي رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش ﴿ **لا يرتد إليهم طرفهم** ﴾ أي لا ترجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وإنما هو نظر دائم ﴿ **وأفئدتهم هواء** ﴾ أي قلوبهم خالية من كل شيء فزعاً وخوفاً عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الأهوال كالهواء الذي بين السماء

---

(١) الظلمان جمع الظليم : الذكر من النعامة . والصعل : الدقيق الرأس .

والأرض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الأخفش ﴿ وأنذر الناس ﴾ معناه ودُمْ يا محمد على إنذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وأبي مسلم وقيل معناه وخوِّف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعاينة عند الموت والأول أظهر ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ نفوسهم بارتكاب المعاصي ﴿ ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ﴾ أي ردَّنا إلى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها ﴿ ونتبع الرسل ﴾ أي نتبع رسلك فيما يدعوننا إليه فيقول الله تعالى مخاطباً لهم أو يقول الملائكة بأمره ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم ﴾ أي حلفتم ﴿ من قبل ﴾ في دار الدنيا ﴿ ما لكم من زوال ﴾ أي ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة إلى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على أن أهل الآخرة غير مكلفين خلافاً لما يقول النجار وجماعة لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم أخِّرنا إلى أجل قريب وجه ولكان ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب إذا كانوا مكلفين ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ هذا زيادة توبيخ لهم وتعنيف أي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فأهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل أنهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون ببدر ﴿ وضربنا لكم الأمثال ﴾ وبيَّنا لكم الأشباه وأخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا ولم تتعظوا وقيل الأمثال ما ذكر في القرآن مما يدل على أنه تعالى قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء والابتداء وقيل هي الأمثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على أن الإيمان من فعل العبد إذ لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتمني العود إلى الدنيا معنى .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ

ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾
وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن
قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ
مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟
بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

[ القراءة ] قرأ الكسائي وحده لَتزولُ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية والباقون لِتزولَ بكسر اللام الأولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي ( ع ) وعمرو بن مسعود وأبي بن كعب وإن كاد مكرهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطرٍ آنٍ على كلمتين منونتين وهو قراءة أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقتادة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران .

[ الحجة ] قال أبو علي من قرأ لِتزولَ بالنصب فإنْ إنْ هي النافية فيكون مثل قوله ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ فمعناه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلامه ودلائله أي ما كان مكرهم لتزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد إزالته ومن قرأ لَتَزُولُ كانت إنْ هي المخففة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم بخلاف القراءة الأولى فيكون كقوله ﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾ أي قد كان مكرهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الإمتناع على من أراد إزالتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّناً عَلَى ابْنِ لُبَيْنَى الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

وقال :

بَكَى الحَارِثُ الجَوْلَانُ مِنْ مَوْتِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ[1]

قال أوس :

(١) الجولان والحوران : موضعان بالشام . ومتضائل أي حقير . وفي رواية الحموي « من فقد ربه » .

أَلَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ شَمْسُ النَّهَارِ مَعَ النَّجْمِ وَالْقَمَرِ الْوَاجِبِ(١)

ويدل على أن الجبال يعني بها أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله بعد ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ أي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ وقوله ﴿ للذين كفروا ستغلبون ﴾ وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل :

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَافِي فَلَنْ تَرىٰ لَهَا شَاعِراً مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا
وَأَكْثَرَ بَيْتاً شَاعِراً ضُرِبَتْ بِهِ بُطُونَ جِبَالِ الشِّعْرِ حَتَّى تَيَسَّرا

ومن قرأ وإن كاد مكرهم لتزول فهي مخففة من الثقيلة أيضاً فتقديره وأنه كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو أيضاً الفلز رويناه عن قطرب وهو أيضاً الصاد ومنه قدور الصاد أي قدور الصفر والآني الذي قد أنى وأدرك أنى الشيء يأني أنيا وأناً مقصور ومنه قوله عز سبحانه ﴿ غير ناظرين اناه ﴾ أي بلوغه وإدراكه قال أبو علي ومنه الإناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية :

وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَسِيلُ لَهُ الْقِطْـ ـرُ عَلَى مُلْكِهِ ثَلاثَ لَيَالِ

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قَطِران على فَعِلان وقَطْران بفتح القاف وإسكان الطاء وقِطْران بكسر القاف وإسكان الطاء والأصل فيهما قطران فاسكنا على ما يقال في كَلِمة كَلْمة وكِلْمة لغة تميمية قال أبو النجم :

جَوْنٌ كَأَنَّ الْعَرَقَ الْمَنْتُوحَا أَلْبَسَهُ الْقَطْرَانَ وَالْمُسُوحَا(٢)

وقال :

كَأَنَّ قَطْرَاناً إِذَا تَلاهَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ إِلَىٰ مَجْرَاهَا

[ اللغة ] البروز الظهور والأصفاد جمع الصفد وهو الغل الذي يقرن به اليد إلى العنق ويجوز أن يكون السلسلة التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء إلى نظيره والقران الحبل يقرن به شيئان يقال صفدته بالحديد وأصفدته وصفَّدته قال عمرو بن كلثوم :

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

---

(١) أجب بمعنى الساقط . (٢) الجون : الأسود المشرب حمرة والمنتوح : الجاري من العرق .

ومنه أصفدته إصفاداً إذا أعطيته مالاً والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية تصفد المودة وتقيدها وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله « ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا » والإختبار في الحديد صفدته وفي العطية أصفدته قال الأعشي :

تَضَيَّفْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَجْلِسي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدا

ومعناه وأعطاني قايداً وقال النابغة في الصفد الذي هو العطية :

هٰذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِه فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ لِلصَّفَدِ

والسربال القميص قال امرؤ القيس :

وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ العَوَارِضِ طِفْلَةٍ لَعُوبُ تُنَسِّينِي إذا قُمْتُ سِرْبَالي (١)

والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبليغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره .

[ الإعراب ] مخلف وعده رسله إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضة لأنها في تقدير الإنفصال ووعده وإن كان مجروراً في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال أخلفت زيداً وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفاً وعده رسله وقيل أنه قرأ في الشواذ مخلفَ وعده بالنصب رسله بالجر وهي رديئة للفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك « فَزَجَجْتُها بِمَزَجَّةٍ * زَجَّ القَلوصَ أبي مَزَادَه »(٢) ومعناه فزججتها زج أبي مزادة القلوص والعامل في قوله ﴿ يوم تبدل الأرض ﴾ قوله ﴿ مخلف وعده أو انتقام ﴾ أي ينتقم ذلك اليوم أو يكون محذوفاً على تقدير واذكر يوم تبدل الأرض وإن شئت جعلته نعتاً لقوله ﴿ يوم يقوم الحساب والأرض ﴾ مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتماً آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله .

[ المعنى ] ثم أبان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله (ع) تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما

---

(١) الطفلة : الرخصة الناعمة .

(٢) زججتها . أي طعنتها بالزج ـ بضم الزاي ـ : وهي الحديدة التي تركب في أسفل الرمح . والمزجة : الرمح القصير . والقلوص : الناقة الشابة . وأبي مزادة : كنية رجل .

أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك وقيل عنى بـه كفار قريش الذين دبّروا في أمرالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واحتالوا عليـه ومكروا بـالمؤمنين وخدعوهم ﴿ **وعند الله مكرهم** ﴾ أي جـزاء مكرهم فحـذف المضاف كمـا حذف من قـوله ﴿ **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا** ﴾ وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ أي ولـم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليـل والبرهـان والمعنى لا تزول منـه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى فالمعنى أن مكرهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدَّم بيانه ولا يضرُّ ذلك أنبياءه ولا يزيل أمرهم ولا سيما أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أثبت من الجبال وقد قيل إن المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت وأخذ أربعة من النسور فأجاعها أياماً وعلق فوقها لحماً وربط التابوت إليها وطارت النسور بالتابوت وهو ووزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظنَّ أنه بلغ السماء ففتح باب التابوت من أعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الأرض وفتح باباً من أسفل التابوت فرأى الأرض قد غابت عنه فهالـه الأمر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة ﴿ **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** ﴾ أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رسله ما وعدهم بـه من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم ﴿ **إن الله عزيز** ﴾ أي ممتنع بقدرته من أن ينال باهتضام وهو من الكفار ﴿ **ذو انتقام يـوم تبدل الأرض غيـر الأرض والسمـاوات** ﴾ قيـل فيه قـولان ( أحدهما ) إن المعنى تبدل صورة الأرض وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه أنه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها وأشجارها والأرض على حالتها وتبقى أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرهـا ونجومهـا وكان ينشد :

فَمَـا النَّاسُ بِـالنَّاسِ الَّـذِينَ عَهِدْتُهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتي كُنْتُ أعـرِفُ

ويعضده ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطهـا ويمدهـا مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم من الأولى . ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان علـى ظهرهـا كان على ظهرها ( والآخر ) أن المعنـى تبدل الأرض وتنشأ أرض غيرها والسماوات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير

أهل البيت ( ع ) بالإسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحمران بن أعين عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالا تبدل الأرض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ أنه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلها يوم القيامة ناراً والجنة من ورائها يرى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كعب تصير السماوات جناناً ويصير مكان البحر النار وتبدل الأرض غيرها وروي عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي ﷺ حبر من اليهود فقال أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فأين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فلن يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الأرض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن يحشرون على الأرض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل السماوات غير السماوات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه ﴿وبرزوا لله﴾ أي يظهرون من ارض قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء وجعل ذلك بروزاً لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يسترها عنه شيء ﴿الواحد﴾ الذي لا شبه له ولا نظير ﴿القهار﴾ المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام[1] ﴿وترى المجرمين﴾ يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدّم ذكرهم ﴿يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿مقرنين في الأصفاد﴾ أي مجمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها إلى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم إلى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن أي حبل من الأصفاد والقيود عن أبي مسلم وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضلّه في غلّ من حديد عن ابن عباس والحسن ويبيّنه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم اي قرناءهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوّجت ﴿سرابيلهم﴾ أي قميصهم ﴿من قطران﴾ وهو ما يطلى به الإبل شيء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم وابلغ في الإشتعال وأشدّ في العذاب على الحسن والزجاج وقيل نحاس أو صفر مذاب قد انتهى حرّه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوّز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سربالين أحدهما من القطران والآخر من القطر الآني ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتصيب وجوههم النار لاقطران عليها ﴿ ليجزي الله كل نفس بما كسبت ﴾ اللام تعلقت بما تقدم أخبر سبحانه أنه إنما

(١) موت زؤام: عاجل. وقيل سريع مجهز وقيل: كريه.

فعل ذلك بهم لتجزي كل نفس بما كسبت ان كسبت خيراً بأن آمنت وأطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شراً بأن كفرت وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم **﴿إن الله سريع الحساب﴾** أي سريع المجازاة وقد سبق بيانه **﴿هذا بلاغ للناس﴾** هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة إلى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح **﴿ولينذروا به﴾** أي أنزل ليبلغوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد **﴿وليعلموا إنما هو إلّه واحد﴾** لا شريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بيّنها الله في القرآن **﴿وليذكر أولو الألباب﴾** أي وليتعظ به أهل العقول وذوو النهى وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس إليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها وتفاصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب امور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة ومواضع البيان مكتفياً به عما سواه لينال لسعادة في دنياه وعقباه وفي قوله وليعلموا إنما هو إلّه واحد دلالة على أنه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافاً لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه اراد من النصارى اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليذكر دلالة على انه اراد من الجميع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار.

[ **النظم** ] اتصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل اتصلت بقوله إنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء أخّر وإن شاء عجّل واتصل قوله **﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾** بقوله **﴿ ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾** أي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن أبي مسلم وقيل المراد به أنه ذوّ انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الأرض.

# (١٥) سورة الحجر مكية وآياتها تسع وتسعون

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين وهي تسع وتسعون آية بالاجماع.

[ فضلها ] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ.

[ تفسيرها ] لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم (ع) بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ
ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٥)

[ القراء ] قرأ أهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد

بن حبيب الشموني عن الأعشى عن ابي بكر ربتما بالتاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي انشد أبو زيد :

مَـاوِيَّ بَـلْ رُبَّتَـمَـا غَـارَةً شَعْـواءُ كَـاللَّذْعَـةِ بِـالْمِيسَمِ (١)

وأنشد أيضاً :

يا صَاحِبا رُبَّـتَ إنْسَانٍ حَسَنٍ يَسْأَلُ عَنْكَ الْيَوْمَ أَوْ تَسْأَلُ عَنْ

وقال السكري ربُما وربُتما ورُبَما ورُبَتما ورُبَّ ورُبَ ست لغات قال سيبويه رب حرف ويلحقها ما على وجهين ( أحدهما) ان يكون نكرة بمعنى شيء وذلك كقوله :

رُبَـمَـا تَـكْـرَهُ الـنُّـفُـوسُ مِـنَ الأَمْـرِ لَـهُ فَـرْجَـةٌ كَـحَـلِّ الـعِـقَـالِ (٢)

فما في هذا البيت اسم لما يقدر من حذف الضمير إليه من الصفة والمعنى رب شيء تكرهه النفوس وإذا عاد إليه الهاء كان اسماً ولم يجز أن يكون حرفاً كما ان قوله ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين لما عاد إليه الذكر علمت بذلك انه اسم وقوله فرجْوة يرتفع بالظرف في قول الناس جميعاً ولا يرتفع بالابتداء وقد يقع أيضاً لفظة من بعد رب في مثل قوله :

الا رُبَّ مَنْ تَغْتَشُّـهُ لَـكَ نَـاصِحٌ وَمُؤْتَـمَنٍ بِـالْـغَيْـبِ غَيْـرُ أَمِـينِ (٣)

فكما دخلت رب على مَنْ وكانت نكرة في معنى شيء كذلك تدخل على ما والآخر أن تدخل كافة كما في الآية ونحو قول الشاعر :

رُبَـمَـا أوفَـيْـتُ فِـي عَـلَـمٍ تَـرْفَـعَـنْ ثَـوْبِـي شِـمَـالاتُ (٤)

والنحويون يسمّون ما هذه كافة يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذي كان له وهيأته لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه الا ترى ان رب إنما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم يقول ذلك وربه رجلاً يقول ذلك ولا يدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها سوّغتْ لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله ربما يود الذين كفروا فوقع

(١) غارة شعواء : فاشية متفرقة . والميسم : اسم للالة التي يوسم بها . وفي اللسان وتفسير التبيان «ماوى ياربتما . اهـ» .

(٢) البيت مذكور في جامع الشواهد .

(٣) قوله تغتشه اي تظن به الغش . وفي قوله «ناصح» يجوز الرفع والجر فالرفع على الخبرية والجر على انه صفة لمن ويتبعه في الوجهين «مؤتمن» وكذا «غير» .

(٤) الشعر في جامع الشواهد ايضاً .

الفعل بعدها في الآية وهو على لفظ المضارع ووقع في قوله ربما اوفيت في علم على لفظ الماضي وهكذا ينبغي في القياس لأنها تدل على امر قد مضى وإنما وقع في الآية على لفظ المضارع لأنه حكاية لحال آتية كما ان قوله ان ربك ليحكم بينهم حكاية لحال آتية ومن حكاية الحال قول القائل:

جارِيَةٌ في رَمَضانِ الماضي تُقَطِّعُ الحَديثَ بِالإيماضِ (١)

ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه ألا ترى ان كان لا يضمره ولم يجز عبد الله المقتول وانت تريد كن عبد الله المقتول فأما اضمارها بعد إن في قولهم ان خيراً فخير فإنما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له كذكره فأما ما انشده ابن حبيب لنبهان بن مسور.

لَقَدْ رُزِيَتْ كَعْبُ بْنُ عَوْفٍ وَرُبَّما فَتًى لَمْ يَكُنْ يَرْضَى بِشَيْءٍ يَضيمُهُ

فإن قوله فتى في ربما فتى يحتمل ضروباً (أحدها) ان يكون لما جرى ذكر رزيت استغنى بجري ذكره من ان يعيده فكأنه قال ربما رزيت فتى فيكون انتصاب فتى برزيت هذه المضمرة كقوله الآن وقد عصيت قبل فاستغنى بذكر آمنت له المتقدم عن اظهاره بعد وقد يجوز أن ينتصب فتى برزيت هذه المذكورة كأنه قال لقد رزيت كعب بن عوف فتى وربما لم يكن يرضى اي رزئت فتى لم يكن يضام ويكون هذا الفصل في انه أجنبي بمنزلة قوله (أبو أمه حيٌّ أبوهُ يُقَارِبُه)(٢) وقد يجوز ان يكون مرتفعاً بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرض فتى كقوله (وَقَلَّما وِصَالٌ عَلىٰ طول الصُّدُودِ يَدُومُ)(٣) ويجوز أن يكون ما نكرة بمنزلة شيء فيكون فتى وصفاً لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فتى لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية ان يكون ما بمنزلة شيء ويود صفة له لأن ما لعمومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعني بها الود كأنه قال رب ودٍ يوده الذين كفروا ويكون يود في هذع الوجه ايضاً حكاية حال الا ترى انه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحاً وكقوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون

(١) أو مضت المرأة: سارقت النظر. اي إذا تبسمت قطع الناس حديثهم ونظروا الى ثغرها. وقيل يعني ان الناس كانوا يتحدثون فنظرت اليهم فاشتغلوا الحسن نظرها عن الحديث.

(٢) قائله الفرزدق وقبله «وما مثله في الناس الامملكا» والشعر مذكور في جامع الشواهد.

(٣) تمام البيت: «صدّدت فأطولت الصدود وقلما * وصال . ا» وهو من شواهد كتب سيبويه.

وكتمنيهم الرد في قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب واما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاعف والحرف والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم[1] واما دخول التاء في ربتما فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثمت ولا ولات قال.

ثُمْتَ لا يَجْزُونَنِي عِنْدَ ذاكُمُ وَلٰكِنْ سَيَجْزِيني المَلِيكُ فَيَعْقِبا

فكذلك ألحقت التاء في قولهم ربتما وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الحادرة.

أُسُمَّي ما يُدْرِيكَ أنْ رُبَ فِتْيَةٍ بَاكَرْتُ لَذَّتَهُمْ بأدْكَنَ مُتْرَعِ

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت الهذلي :

أزُهَيْرُ إنْ يَشِبِ القَذالُ فَإنَّني رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلٍ[2]

ويقولون رُبْت رجل ورَبت رجل بفتح الراء ورَب رجل وربما رجل جاءني وربتما رجل فيفتحون حكى ذلك قطرب.

[ الاعراب ] قرآن عطف على الكتاب وإنما عطفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيهما من الفائدتين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب ويدوّن ووصفه بالقرآن يفيد أنّه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهمام وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ في الْمُزْدَحَمِ
وذي الرَّأْيِ حِينَ تَغُمُّ الأُمُورُ بِذاتِ الصَّلِيلِ وَذاتِ اللُّجُمِ

ويقال لم جاز ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين (أحدهما) انه ابلغ في التهديد كما تقول ربما ندمت على هذا وانت تعلم انه يندم ندماً طويلاً أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره (والثاني) انه يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في اوقات قليلة.

[ المعنى ] ﴿آلر﴾ قد تقدّم الكلام في هذه الحروف وأقوال العلماء فيها ﴿تلك آيات

(١) وفي التبيان «لاني لا اعلم الحذف في ثم» وسمي مرخم سمية: اسم امرأة. والدكنة: السواد.

(٢) القذا الاجماع مؤخر الرأس من الإنسان. والهيضل: جماعة متسلحة امرهم في الحرب واحد ويقال هـ.

الكتاب وقرآن مبين﴾ أي هذه آيات الكتاب وآيات قرآن مميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن أبي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والأوامر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والإنجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن عن قتادة ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ أي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس وروى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق انه لا يدخل الجنة إلا مسلم فثمّ يود سائر الخلائق انهم كانوا مسلمين وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ قال إذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا نأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ معناه دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالاً بعد حال ﴿ويلههم الأمل﴾ اي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ والقرآن يقال ألهاه الشيء اي شغله وانساه ﴿فسوف يعلمون﴾ وبال ذلك فيما بعد حين يحلّ بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية اشارة إلى ان الانسان يجب ان يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعداً للموت مسارعاً إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة ﴿وما اهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ معناه ولم نهلك اهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيبلغونه يريد فلا يغرنَّ هؤلاء الكفار امهالي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ اي لم تكن امة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدّر لها بل إذا استوفت أجلها اهلكها الله

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا

بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ
نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ
يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ
مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ
ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ اهل الكوفة غير أبي بكر ما نُنَزِّل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تُنَزَّل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقون ما تَنَزَّل بفتح التاء والزاي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سُكِرَت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سَكَرَت

[ **الحجة** ] قال ابو علي حجة من قرأ تَنَزَّلُ قوله تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ تُنَزَّل قوله ونزلَ الملائكة تنزيلاً وحجة من قرأ نُنَزِّل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ووجه التثقيل في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت افتح ابواباً وأغلقها »[1].

[ **اللغة** ] الشيع الفِرَق عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصلة من المشايعة وهي المتابعة يقال شايع فلان فلاناً على امره أي تابعه عليه ومنه شيعة علي (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بإمامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة

(١) منسوب الى الفرزدق وبعده «حتى اتيت ابا عمرو بن عمار».

وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والسلوك قال عدي بن زيد .

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ[١]

وقال آخر :

حَتَّى إذا أَسْلَكُوهُمْ في قُتَائِدَةٍ ... شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[٢]

والعروج الصعود في الدرج والمضارع يعرُج ويعرِج أبو عبيدة سكرت إبصارنا غشيت قال ابو علي فكأن معناه لا ينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك سكر الماء وهو ردّه عن سننه في الجري وقالوا التسكير في الراي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكير ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سُكِّرَت اغشيت وسَكَرَت تحيرت وسكنت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكنت وكذلك سكر الحرُّ قال الشاعر:

جَاءَ الشِّتَاءُ وأَجْثَأَلَّ القُبَّرُ ... وَجَعَلَتْ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكُرُ[٣]

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء وبرج الحصن ويقال تبرجت المرأة إذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة فإن القوس يرمي عنها ولا يرجم بها ورجمته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالاشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة .

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ في إِثْرِ عِفْرِيَةٍ ... مُسَوَّمٌ في سَوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ[٤]

---

(١) مضى البيت في صفحة ٢٧٧ .

(٢) قائلة عبد مناف الهذلي وقتائدة : عقبة معروفة . والشرد بضمتين جمع شارد من شرد البعير . نفر . قال ابن منظور ويروى الشرداء ـ بفتحتين ـ مثل خادم وخدم . وجواب إذا محذوف دل عليه قوله شلا كانه قال شلوهم شلا .

(٣) قائله المثنى الطهوي . واجثأل: اجتمع وتقبض. والحرور: الريح الحارة .

(٤) يصف

[ الاعراب ] لو ما دعاء إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت لو ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل .

لَوْ مَا الحَيَاءُ وَلَوْلا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي

الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب .

[ المعنى ] ﴿وقالوا﴾ أي قال المشركون للنبي ﷺ ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ أي القرآن في زعمه ودعواه ﴿إنك لمجنون﴾ في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ يشهدون لك على صدق قولك ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تدّعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي لا ننزل الملائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون إلا بعذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا عن الحسن ومجاهد والجبائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد ﴿وما كانوا إذاً﴾ أي حين ننزل الملائكة ﴿منظرين﴾ مؤخرين ممهلين أي لا يمهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصراً بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الهاء في له كناية عن النبي ﷺ فكأنه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد ﷺ لحافظون وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث إذ المنزل والمحفوظ لا يكون إلا محدثاً ﴿ولقد ارسلنا من قبلك﴾ يا محمد رسلاً عن ابن عباس فحذف المفعول لدلالة الإرسال عليه ﴿في شيع الاولين﴾ اي في فرق الاولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾ وهذا تسلية للنبي ﷺ إذ أخبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزاؤهم بالرسل إنما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوهم اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ فيه قولان

(أحدهما) ان معناه إن نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهمهم إياه وانهم مع ذلك ﴿لا يؤمنون به﴾ ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجبائي والمراد أن اعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من ان ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم (والآخر) ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد رووا عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجر للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السماوات يتفطرن منه وكيف ينكر عليهم هذا الإنكار وهو الواضع لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن أبي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما ان قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ اي على هؤلاء المشركين ﴿باباً من السماء﴾ ينظرون اليه ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾ اي فظلت الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقتادة وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون الى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السماوات عن الحسن والجبائي وأبي مسلم ﴿لقالوا إنما سكرت ابصارنا﴾ أي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ سحرنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر ويخيل الاشياء الينا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه ﴿ولقد جعلنا﴾ أي خلقنا وهيأنا ﴿في السماء بروجاً﴾ أي منازل الشمس والقمر ﴿وزيناها للناظرين﴾ بالكواكب النيرة عن أبي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر برجاً وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقتادة ﴿وحفظناها﴾ أي وحفظنا السماء ﴿من كل شيطان رجيم﴾ أي مرجوم مرمي بالشهب عن أبي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشؤوم عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه

حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ الى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعدَّ له من الشهاب ﴿الا من استرق السمع﴾ والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان الى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسموع والمعنى الا من حاول اخذ المسموع من السماء في خفية ﴿فأتبعه﴾ أي لحقه ﴿شهاب مبين﴾ أي شعلة نار ظاهر لأهل الارض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى الناس فلما بعث الله عيسى (ع) منعوا من ثلاث سماوات ولمابعث محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها وحرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم ير قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن الحسن وقيل انه يخبل ويحرق ولا يقتل عن ابن عباس .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح .

[ الحجة ] قال أبو عبيدة لا اعرف لذلك وجهاً إلا ان يريد ان الريح تأتي مختلفة من كل وجه فكانت بمنزلة الرياح وحكى الكسائي ارض اغفال وارض سباسب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنساً وليس بجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض ومعرفة كل واحدة منها والأرض ليست كذلك لأنها بساط واحد.

[ اللغة ] الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع أحد الشيئين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته والمعايش جمع معيشة وهي طلب أسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنيء واللواقح الرياح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يلقى إليه ما يحمل به الماء يقال لقحت الناقة إذا حملت وألقحها الفحل فاللواقح في معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان ( أحدهما ) أنه في معنى ذات لقاح ومثله همٌّ ناصب أي ذو نصب قال النابغة .

كِليني لِهَمّ يا أُمَيْمَةُ ناصِبِ ... ولَيلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكَواكِبِ[1]

أي منصب وقال نهشل بن جري.

لِيُبْكَ يَزيدُ ضارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... ومُخْتَبِطٌ مِمّا تُطيحُ الطَّوائِحُ[2]

أي المطاوح ( والآخر ) أن الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقائها إياه إلى السحاب ويقال سقيته فيما يشربه بشفته واستقيته بالألف فيما تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجيء أحدهما بمعنى الآخر كقوله نسقيكم مما في بطونه وقال ذو الرمة.

وَقَفْتُ عَلى رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقَتي[3] ... فَما زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخاطِبُهْ
وأَسْقيهِ حَتّى كادَ مِمّا أُبِثُّهُ ... تُكَلِّمُني أَحْجارُهُ وَمَلاعِبُهْ

[ الاعراب ] والأرض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الأرض ﴿مددناها﴾ كقوله والقمر قدرناه أي وقدرنا القمر قدرناه ومن لستم له برازقين من في موضع نصب عطفاً على معايش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد وقال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز ان

(١) مر البيت في صفحة ١٢٢ .
(٢) الشعر في جامع الشواهد وقد مر ايضاً في ج ٢ .
(٣) الربع : الدار.

يكون من في موضع جر عطفاً على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء .

نُعلّقُ في مثْلِ السَّوَارِي سُيُوفنا    ومَا بَيْنَها والْكَعْبِ غَوْطٌ نَفانِفُ(١)

فرد الكعب على الهاء في بينها وقال:

هلاّ سألْت بذي الجَماجِم عَنْهُمُ    وَأبي نَعِيمٍ ذي اللِّوَاءِ المُحْرِقِ(٢)

فرد ابا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون مَنَ في موضع رفع لأن الكلام قد تمّ ويكون التقدير لأ على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الأقوال الاول وجاز أن يكون عطفاً على تأويل لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معايش اعشناكم ومن لستم له برازقين اي رزقناكم ومن لستم له برازقين وان من شيء من مزيدة وشيء مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى خبراً على المبتدأ لا خلاف في هذا بين سيبويه والأخفش .

[ المعنى ] لما تقدّم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الأرض فقال ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً ﴿والقينا فيها رواسي﴾ أي طرحنا فيها جبالاً ثابتة ﴿وأنبتنا فيها﴾ اي في الأرض ﴿من كل شيء موزون﴾ أي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل من كل شيء يوزن في العادة كالذهب والفضة والصفر والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الأرض عن أبي مسلم قال وإنما خصّ الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين (أحدهما) ان غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن جميع المكيلات إذا صار طعاماً دخل في الوزن فالوزن أهم (والآخر) ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكيل فخصّ الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل وردّ عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة داخلة في باب العبث ونظير ذلك قولهم كلام فلان

(١) البيت منسوب إلى مسكين الدارمي يصف نفسه وقومه بالطول والسمو والعظم والشجاعة السواري جمع السارية وعنى بها اعنان الرجال. والكعب: كل مفصل للعظام . والغوط: الأرض المطمئنة. والنفانف جمع نفنف: الهواء بين الشيئين يقول ان الرجل منهم لطوله وضخامته كالسارية واذا وضع السيف بحمائله على عاتقه

(٢) المحرق ـ كمحدث ـ لأنه كان يحرقه العرب في ديارهم واسكن الراء في الشعر للضرورة.

موزون وافعاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب[١] ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ اي خلقنا لكم في الأرض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة ﴿ومن لستم له برازقين﴾ يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما تقدم ذكره في الإعراب وأتى بلفظة من دون لفظة ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم ﴿وإن من شيء﴾ أي وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الأرض ﴿إلا عندنا خزائنه﴾ معناه إلا ونحن مالكوه والقادرون عليه وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى ان ينزله ونبات الأرض وثمارها إنما تنبت بماء السماء وقال الحسن المطر خزائن كل شيء ﴿وما ننزله﴾ أي وما ننزل المطر ﴿إلا بقدر معلوم﴾ تقتضيه الحكمة وقيل انه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبرَّ عن الإيجاد بالإنزال لأن الإنزال في معنى الإعطاء والرزق والمعنى ان الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطي إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بيَّن سبحانه كيفية الإنزال فقال ﴿وارسلنا الرياح لواقح﴾ اي اجرينا الرياح لواقح أي ملقحة للسحاب محملة بالمطر[٢] ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ أي مطراً ﴿فأسقيناكموه﴾ أي فأسقيناكم ذلك الماء ومكناكم منه ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ أي وما انتم ايها الناس له بحافظين ولا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الأرض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر احد على إحراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع ﴿وانا لنحن نحيي ونميت﴾ اخبر سبحانه انه يحيي الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد ﴿ونحن الوارثون﴾ الأرض ومن عليها اخبر انه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق أحد كانت الاشياء كلها راجعة إليه يتفرد بالتصرُّف فيها ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد

---

(١) وقال بعض علماء اهل العصر ان من الاسرار التي كشف عنها الوحي الإلهي ما في هذه الآية حيث انها دلت على ان كل ما ينبت في الأرض له وزن خاص وقد ثبت اخيراً ان كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص بحيث لو زيد في بعض اجزائه أو نقص لكان ذلك مركباً آخر وان نسبة بعض الأجزاء الى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدق الموازين المعروفة للبشر .

(٢) وربما يقال ان الرياح لا تحمل السحاب وانما تدفعه من مكان الى مكان آخر ولو سلم فليس في التنبيه على هذا المعنى كبير اهتمام بل النظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سراً دقيقاً لم تدركه كما في المشمش والصنوبر والرمان والقطن ونباتات الحبوب فإذا نضجت حبوب الطلع انتفخت الاكياس وانتثرت خارجها محمولة على اجنحة الرياح فتسقط على مياسم الازهار الأخرى عفواً .

علمنا المستأخرين﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقتادة (وثانيها) علمنا الأولين منكم والآخرين عن الشعبي (وثالثها) علمنا المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب (ورابعها) علمنا المتقدمين في الخير والمبطئين عنه عن الحسن (وخامسها ) علمنا المتقدمين إلى الصف الاول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الاول ليدركوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس (وسادسها) ان النبي ﷺ حث الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها وقال ﷺ ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعنَّ دورنا ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم ﴿وان ربك هو يحشرهم﴾ معناه ان ربك يا محمد او أيها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم بعد إماتتهم للمجازاة والمحاسبة ﴿انه حكيم﴾ في افعاله ﴿عليم﴾ بما استحق كل منهم.

[ النظم ] إنما اتصل قوله وانا لنحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فيما قبل من انواع النعم فبيّن سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تزهيدا في الدنيا وترغيباً في الآخرة عن أبي مسلم وقيل انه لما بيّن انواع نعمه عرَّفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقاً إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكَّرهم نعم الدنيا نبَّه بالإحياء والإماتة وعلمه بجميع الأشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا
مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

[ اللغة ] الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي القعقعة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصلّ يصل إذا صوّت قال.

رَجَعْتُ إِلىٰ صَوْتٍ كَجَرَّةِ حَنْتَمٍ ... إِذا قُرِعَتْ صِفْراً مِنَ المَاءِ صَلَّتِ[1]

ويقال الصلصال المنتن أخذ من صل اللحم وأصل إذا أنتن والحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير إلى السواد يقال حمئت البئر واحمأتها انا والمسنون المصبوب من سننت الماء على وجهه أي صببته ويقال سننت بالسين غير معجمة أرسلت الماء وشننت بالشين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سننت الحديد على المسن إذا غيرتها بالتحديد واصلها الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة.

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ ... مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلاَ نَدَبٌ[2]

قال سيبويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنا يسم إذا هبت فيه ريح السموم.

[ الاعراب ] من جعل الجان جمعاً قال ولم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير ايّ شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضاً فلما حذفت في

(١) الحنتم: جرار خضر. تضرب إلى الحمرة. والصفر بمعنى الخالي.

(٢) وجه مقرف: غير حسن. والندب: أثر الجرح.

انتصب موضع ان لا تكون على قول سيبويه وبقي على الجر على قول الخليل وأبو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجاً عن الساجدين.

[ المعنى ] لما ذكر سبحانه الاحياء والإماتة والنشأة الثانية عقَّبه ببيان النشأة الأولى فقال ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ يعني آدم ﴿من صلصال﴾ أي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي ﴿من حمأ﴾ أي من طين متغير ﴿مسنون﴾ أي مصبوب كانه افرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيبويه قال اخذ من سنة الوجه ﴿والجان﴾ وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمر معناه وخلقنا الجان ﴿خلقناه من قبل﴾ اي من قبل خلق آدم ﴿من نار السموم﴾ اي من نار لها ريح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل السموم النار الملتهبة عن أبي مسلم وفي هذا اشارة إلى ان الانسان لا يفضل بأصله وإنما يفضل بدينه وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طيناً وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها إذ هي اخبار عن حالاته المختلفة ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ تقديره واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة ﴿اني خالق﴾ أي سأخلق ﴿بشراً﴾ أي آدم وسمي بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾ مرُ معناه ﴿فإذا سويته﴾ بإتمام خلقته واكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ والنفخ اجراء الريح في الشيء باعتماد فلما اجرى الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه وإنما اضاف روح آدم إلى نفسه تكرمة له وتشريفاً وهي اضافة الملك ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أي اسجدوا له قال الكلبي أي فخرّوا له ساجدين﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون﴾ هذا توكيد بعد توكيد عند سيبويه وقال المبرد ويدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً ﴿إلا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين﴾ أي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان

من الملائكة أو لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للإعادة وان يكون في محل نصب اي ابى الكون مع الساجدين ﴿قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين﴾ قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لإبليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وإنما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لأهل النار اخسأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي إنما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف ﴿قال﴾ اي قال ابليس مجيباً لهذا الكلام ﴿لم اكن لأسجد﴾ اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد ﴿لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ لأني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل ﴿قال فاخرج منها﴾ اي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ اي مشؤوم مطرود معلون وقيل معناه اخرج من السماء عن أبي مسلم وقيل من الأرض فألحقه بالبحار لا يدخل الأرض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التي يرجم به الشياطين عن الجبائي ﴿وان عليك اللعنة﴾ اي وان عليك مع ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز ان يلعن بهيمة ﴿إلى يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد أن الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والأرض يلعنونك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يؤمن قط وقال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة صۤ لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافاً فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأتى باللام أيضاً في قوله وان عليك اللعنة .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ
لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب صراطٌ عليٌّ بالرفع وهي قراءة أبي رجاء وابن سيرين وقتادة والضحاك ومجاهد وقيس بن عبادة وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن أبي عبد الله ( ع ) والباقون من القراء قرأوا عَلَيَّ .

[ الحجة ] قال ابن جني عَلِيٌّ هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنصبة وقال أبو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط عَلَيَّ مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم عليَّ على أي هذا صراط في ذمتي وتحت ضماني كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علَيَّ وليس معناه عنده مستقيم عَلَيَّ كقولنا قد استقام على الطريق واستقرَّ على كذا وما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه .

[ اللغة ] الإغواء الدعاء إلى الغي والاغواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلاً في النفس من جهة الطبع أو العقل بحق أو بباطل واغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه ﴿**قال رب فأنظرني**﴾ أي فامهلني وأخرني ﴿**إلى يوم يبعثون**﴾ أي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل ﴿**قال**﴾ له ﴿**فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ الذي هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبائي وأبي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدَّر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبيِّن لأن في بيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيماً له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمة في احتمالها أن يكون ثواباً وتعظيماً وأن يكون استصلاحاً ولطفاً ﴿**قال**﴾ إبليس ﴿**رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) ان الاغواء الأول والثاني بمعنى

الإضلال أي كما أضللتني لأضلنهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا أن يحمل على أن إبليس كان معتقداً للخير ( وثانيها ) إن الاغواء الأول والثاني بمعنى التخييب أي بما خيبتني من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائي ( وثالثها ) إن معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك ( ورابعها ) بما كلفتني السجود لآدم الذي غويتُ عنده فسمي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجساً إلى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله بما أغويتني قيل ان معناها القسم ههنا عن أبي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب أي بكوني غاوياً لأزينن كما يقال بطاعته لتدخلن الجنة وبمعصيته لتدخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لأزيننّ الباطل لهم أي لأولاد آدم حتى يقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين اخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفّقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل ﴿قال﴾ الله سبحانه ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) إنه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك عليَّ أي لا تفوتني عن مجاهد وقتادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد ( وثانيها ) معناه أن ما نذكره من أمر المخلصين والغاوين طريق ممره عليَّ أي ممر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجازي كلاً من الفريقين بما عمل ( وثالثها ) أن معناه هذا دين مستقيم عليَّ بيانه والهداية إليه ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين يطيعونه وينتهون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على أن يكرههم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الاضرار ببني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطاناً ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ أي موعد إبليس ومن تبعه ﴿لها سبعة أبواب﴾ فيه قولان ( أحدها ) ما روي عن أمير المؤمنين (ع ) ان جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي رواية الكلبي اسفلها الهاوية وأعلاها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع

جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا ان أبواب النيران كإطباق اليد على اليد ( والآخر ) ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة أبواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذَّبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وأبي مسلم والقولان متقاربان ﴿لكل باب منهم﴾ أي من الغاوين ﴿جزء مقسوم﴾ أي نصيب مفروض عن ابن عباس .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

[ اللغة ] الغل الحقد الذي ينغل في القلب ومنه الغل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأسرة والسرر والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه .

[ المعنى ] لمّا ذكر سبحانه عباده المخلصين عقّبه بذكر حالهم في الآخرة فقال ﴿إن المتقين﴾ الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه ﴿في جنات﴾ أي في بساتين خلقت لهم ﴿وعيون﴾ من ماء وخمر وعسل يفور من الفوارة ثم يجري في مجاريها ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرات ﴿آمنين﴾ من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب العداوة من الغل أي الحقد والحسد والتنافس

والتباغض ﴿اخواناً﴾ منصوب على الحال أي وهم يكونون اخواناً متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم ﴿على سرر﴾ أي كائنين على مجالس السرور ﴿متقابلين﴾ متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الاسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم وإذا افترقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض ﴿لا يمسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿نصب﴾ أي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم إذ جميع النعم حاصلة لهم ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أي يبقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة عفوه ومغفرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال ﴿نبىء﴾ يا محمد ﴿عبادي أني أنا الغفور﴾ أي كثير الستر لذنوب المؤمنين ﴿الرحيم﴾ كثير الرحمة لهم ﴿وإن عذابي هو العذاب الأليم﴾ فلا تعولوا على محض غفراني ورحمتي وخافوا عقابي ونقمتي .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ
ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

[ القراءة ] قرأ نافع وحده فبم تبشرون خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرونِّ مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرونَ مفتوحة النون خفيفة وروى أبو علي

الضرير عن روح وغيره عن يعقوب فبم تبشروني بإثبات الياء وقرأ أبو عمرو والكسائي بقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ لمنجوهم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف أبو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد .

[ الحجة ] قال أبو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشرونني إلا أنه حذف النون الثانية استثقالاً لأن التكرير بها وقع ولم يحذف النون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أَبِالْمَوْتِ الَّذي لَا بُدَّ إنِّي مُلاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

وقال

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يَعَلُّ مِسْكاً يَسُوءُ الفَالِيَاتِ إذا فَلَيْنِي (١)

والوجه في تشديد ابن كثير النون انه أدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمر المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلأنه لم يعدّ الفعل إلى المفعول به كما عدّى غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنَط وقنط يقنِط لغتان وكان قنَط يقنِط اعلى ويدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنُط لغة وهذا يدل على ان يقنِط أكثر لأن مضارع فعَل يجيء على يفعِل ويفعُل وحجة من قرأ لمنجُوهم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول الهذلي

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابَعُ الرِّيحُ بِالقَفْلِ (٢)

والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففاً كان في معنى التشديد .

[ اللغة ] الضيف هو المنضوي إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالأضياف والضيوف والضيفان والوجل

---

(١) البيت في جامع الشواهد .

(٢) العنس : الناقة القوية ومفرهة : التي تلد الفرهة يقال دابة فارهة أي نشيطة حادة قوية . وأتابعت الريح بورق الشجر إذا ذهبت به وأصله تتابعت به . والقفل ما يبس من الشجر .

الخوف يقال وجل يوجل وياجل وييجل وييجَل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطابة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فَمَا وَنى مُحَمَّدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ لَهُ الإلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرْ

[ الإعراب ] سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله إلا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوهم وقوله قدرنا انها لمن الغابرين في معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال أبو عبيدة في الآية معنى فقهي كان أبو يوسف يتأوله فيها وهو أن الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان عليَّ عشرة دراهم إلا اربعة إلا درهماً فإنه يكون اقراراً بسبعة وكذلك لو قال له عليَّ خمسة إلا درهماً إلا ثُلثاً كان اقراراً بأربعة وثُلث .

[ المعنى ] لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة إبراهيم ( ع ) وقوم لوط مصدقاً لما ذكره وارشاداً إلى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ أي وأخبرهم عن أضياف إبراهيم ﴿إذ دخلوا عليه﴾ يعني الملائكة وإنما سمّاهم ضيفاً لأنهم جاءوه في صورة الأضياف ﴿فقالوا سلاماً﴾ أي سلّموا عليه سلاماً على وجه الدعاء والتحية وبشّروه بالولد وباهلاك قوم لوط ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿إنا منكم وجلون﴾ أي خائفون ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف ﴿إنا نبشرك﴾ أي نخبرك بما يسرُّك ﴿بغلام عليم﴾ أي بولد يكون غلاماً إذا ولد ويكون عليماً إذا بلغ ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿أبشرتموني﴾ بالمولود ﴿على أن مسني الكبر﴾ أي في حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد ﴿فبم تبشرون﴾ أبأمر الله تعالى فأثق به ام من جهة أنفسكم ومعنى مسني الكبر غيَّرني الكبر عن حال الشباب الذي يطمع في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبر ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي قالت الملائكة لإبراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله ﴿فلا تكن من القانطين﴾ أي اليائسين فأجابهم إبراهيم ( ع ) بأن ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من إبراهيم ( ع ) يدل على أنه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطاً فنفى ذلك عن نفسه ﴿قال﴾ إبراهيم ( ع ) بعد ذلك

للملائكة ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وسمّاهم مرسلين لما علم أنهم ملائكة ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي مذنبين وقيل كافرين اخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم ان الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك ﴿إلا آل لوط﴾ استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط وممن بعث إليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ أي نخلصهم أجمعين من العذاب ﴿إلا امرأته﴾ استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة ﴿قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ أي من الباقين في المدينة مع المهلكين أي قضينا أنها تهلك كما يهلكون .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ
هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

[ اللغة ] الاسراء سير الليل يقال سرى يسري سرى وأسرى إسراء لغتان قال امرؤ القيس

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ(١)

والقطع كأنه جمع قطعة مثل يسرة ويسر وتمرة وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتباع في المذهب والاقتداء بمعنى وخلافه الابتداع والادبار جمع دبر هو جهة الخلف والقبل جهة القدام وقد يكنى بهما عن الفرج والدابر الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعُمر والعَمر واحد غير انه لا يجوز في القسم إلا بالفتح لأن الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعَمرك فلزموا الأخف .

[ الإعراب ] ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصباً على حذف الجار فكأنه قال وقضينا اليه بأن دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون أيضاً في موضع نصب على الحال لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسمي او لعمرك ما اقسم به ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول والله لأفعلن وبالله لأفعلن والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم ( ع ) اتوا لوطاً ( ع ) يبشرونه بهلاك قومه فقال ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون﴾ وإنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المرد على هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم وهيأتهم وقيل انه أراد اني انكركم فعرّفوني انفسكم ليطمئنّ قلبي ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي بالعذاب الذي كانوا يشكّون فيه إذا خوّفتهم به ﴿وأتيناك بالحق﴾ أي بالعذاب المستيقن به ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك أنّ أمره سبحانه حق ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ ومعناه سر بأهلك بعدما يمضي أكثر الليل ويبقى قطعة منه ﴿واتبع أدبارهم﴾ أي اقتف اثرهم وكن وراءهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلف احد منهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل لا ينظر أحد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن وأبي مسلم ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي اذهبوا إلى الموضع الذي أمركم الله بالذهاب إليه وهو الشام عن السدي ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي أعلمنا لوطاً وأخبرناه وأوحينا إليه ما تنزل به من العذاب ﴿أن

(١) مر البيت في صفحة ٢٧٧ .

دابر هؤلاء مقطوع﴾ يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد أنهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم أثر ولا نسل ولا عقب ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ يبشر بعضهم بعضاً بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا طمعاً في ان ينالوا الفجور منهم ﴿قال﴾ لوط لهم ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ فيهم والفضيحة الزام العار والشنار بالإنسان ومعناه لا تلزموني فيهم عاراً بقصدكم إياهم بالسوء ﴿واتقوا الله﴾ باجتناب معاصيه ﴿ولا تخزون﴾ في ضيفي والخزي الانقماع بالعيب الذي يستحيي منه ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ معناه أولم ننهك أن تجير أحداً أو تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر مؤخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة ﴿قال﴾ لوط لهم وأشار إلى بناته لصلبه ﴿هؤلاء بناتي﴾ فتزوجوهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله ﴿إن كنتم فاعلين﴾ كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك أيضاً جائزاً في صدر شريعتنا ثم حُرّم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والأول أوضح ﴿لعمرك﴾ أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حياً وقال المبرد هو دعاء ومعناه اسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال لعمرك ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحيرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤) ﴾

[ القراءة ] قرأ جميع القراء الأيكة هاهنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام .

[ الحجة ] إذا خففت الهمزة في الأيكة وقد ألحقتها الألف واللام حذفتها وألقيت حركتها على اللام ويجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن قال الحْمَرُ(١) قال اليكَةُ ومن قال الحمْرُ قال لَيْكَةُ .

[ اللغة ] الايكة الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية

كَبُكَا الحَمَامِ عَلى فُرُو ع الأَيْكِ في الطَّيْرِ الجَوَانِحِ(٢)

وقيل الأيكة الغيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة ويقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمةومنه الوسمي اول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلأ الوسمي قال

وَأَصْبَحْنَ كَالدَّوْمِ النَّوَاعِمِ غُدْوَةً عَلى وِجْهَةٍ مِنْ ظَاعِنٍ مُتَوَسِّمِ(٣)

وتوسم فيه الخير إذا عرف سمة ذلك فيه والامام الطريق والإمام المبين اللوح المحفوظ والإمام في اللغة هو المتقدم الذي يتبعه من بعده الحِجْر اخذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح .

[ الإعراب ] إنتصب قوله ﴿ مشرقين ومصبحين ﴾ على الحال يقال إشرقوا وهم مشرقون إذا صادفوا شروق الشمس وهو طلوعها كما يقال أصبحوا إذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وإنْ في قوله ﴿ وإن كان أصحاب الايكة ﴾ مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ أي أخذهم الصوت الهائل في حال شروق الشمس ﴿ فجعلنا عاليها سافلها

(١) في قولهم الأحمر جاءني .

(٢) من قصيدة قالها في رثاء من أصيب من قريش يوم بدر وقبل هذا البيت وهو أول القصيدة ؛ الا بكيت على الكرام بني الكرام اولى الممادح ؛ والجوانح : الموائل يقال : جنح إذا مال .

(٣) الدوم : شجر يشبه النخل . وشجرة ناعمة الورق ورقها كورق السلق ولا تنبت إلى على ماء ولا تمر لها وهي خضراء غليظة الساق .

**وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ مضى تفسيره في سورة هود ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ معناه إن فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ معناه إن مدينة لوط لبطريق مسلوك يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة إن قرى قوم لوط بين المدينة والشام ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي عبرة ودلالة ﴿ **للمؤمنين** ﴾ وخصَّ المؤمنين لأنهم هم الذين إنتفعوا بها ﴿ **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** ﴾ وأصحاب الأيكة هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شعيب ( ع ) وأرسل إلى أهل مدين فأهلكوا بالصيحة وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي إحترقوا بنارها عن قتادة وجماعة من المفسرين ومعنى الآية أنه كان أصحاب الأيكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما إجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقة فأحرقتهم جميعاً ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبناهم بما إنتقمناه منهم والانتقام هو المجازاة على جناية سابقة وفرّق علي بن عيسى بين الإنتقام والعقاب بأن الإنتقام هو نقيض الأنعام والعقاب هو نقيض الثواب ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ معناه وإن مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة بطريق يؤم ويتبع ويهتدى به عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي الطريق إماماً لأن الإنسان يؤمّه وقيل معناه وإن حديث مدينتيهما لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ أو حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ والمبين الظاهر ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم صالح فقال ﴿ **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين** ﴾ والحجر إسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سموا أصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الإعراب الذين يسكنون البوادي أصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل إن الحجر إسم لواد كان يسكنها هؤلاء عن قتادة وإنما قال تعالى ﴿ **المرسلين** ﴾ لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم إلى ما دعا إليه المرسلون وإلى الإيمان بالمرسلين فكان في تكذيب أحدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله إليهم رسلاً منهم صالح عن الجبائي ﴿**وآتيناهم آياتنا**﴾ أي آتينا أصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الأنبياء وقيل آتينا الرسل

الآيات عن الحسن ﴿ فكانوا عنها ﴾ أي عن الآيات ﴿ معرضين ﴾ إعرضوا عن التفكر فيها والاستدلال بها ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ﴾ أي وكان قوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول أعمارهم ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴾ أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح ﴿ فما أغنى عنهم ﴾ أي فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ أي يجمعون من المال والأولاد وأنواع الملاذ .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

[ اللغة ] عضين جمع عضة وأصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزة وعزون والأصل عزوة والتعضية التفريق مأخوذ من الأعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبعضته قال روبة « وليس دين الله بالمعضي » وقال آخر :

تِلْكَ دِيَارُ تَأْزِمُ المَآزِمَا ... وَعَضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا[1]

وقيل أصل عضة عضهة فحذفت الهاء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفهة وشاهة بدلالة أن الجمع شفاه وشياه بالهاء والتصغير شفيهة وشويهة .

(١) المآزم جمع المأزم : المضيق . وعضوات جمع عضة : كل شجر له شوك واللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة - بالكسر - وفي اللسان « هذا طريق يأزم . ا . هـ » وقال ابن منظور ويروى « عصوات » جمع عصا .

[ المعنى ] ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ معناه وما خلقناهما عبثاً بل لما اقتضته الحكمة وهي أنا قد تعبدنا أهلها ثم نجازيهم بما عملوا ﴿ وإن الساعة ﴾ وهي يوم القيامة ﴿ لآتية ﴾ أي جائية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله إلا بالحق ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ أي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم وأعف عنهم عفواً جميلاً واختلف في الآية فقيل إنها منسوخة بآية القتال عن إبن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم . أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله ﴿ فاعرض عنهم وعظهم ﴾ عن الحسن قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن أبي طالب ( ع ) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ ﴿ إن ربك هو الخلاق ﴾ للأشياء ﴿ العليم ﴾ بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويجوز أن يريد إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم إن الصفح أصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خصّ به نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم من النعم فقال ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ وقد تقدّم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي ( ع ) وابن عباس والحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وإنما سميت مثاني لأنه يثني فيها الإخبار والعبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله ﴿ كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ عن أبي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها تثنى قراءتها في الصلاة عن الحسن وأبي عبد الله ( ع ) وقيل لأنها تثني بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها الثناء مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبده على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيماً وتشريفاً لها وقيل لأن حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصراط وقيل لأنها تثني أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالمثاني القرآن كله فإن من في قوله من المثاني يكون للتبعيض ومن قال أنها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز :

نَشَدْتُكُمْ بِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ ... أُمِّ الْكِتَابِ السَّبْعِ مِنْ مَثَانِي
ثِنْتَيْنِ مِنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ ... وَالسَّبْعِ سَبْعِ الطُّوَلِ الدَّوَانِي

﴿ والقرآن العظيم ﴾ تقديره وآتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأحسن نظم وأتم معنى ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ أي لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وأنعمنا عليهم به أمثالاً في النعم من الأموال والأولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون أزواجاً منصوباً على الحال والمراد به الإشباه والأمثال وقيل إن معناه لا تنظرنَّ إلى ما في أيديهم من النعم التي هي أشباه يشبه بعضها بعضاً فإن ما أنعمنا عليك وعلى من اتبعك من أنواع النعم وهي النبوة والقرآن والإسلام والفتوح وغيرها أكثر وأوفر مما آتيناهم وقيل إن معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عينيك ولا تمدهما إلى ما متعنا به أصنافاً من المشركين والأزواج الأصناف ويكون على هذا مفعولاً به نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمدَّ عينيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلبي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائي ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ أي ألِن لهم جانبك وأرفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً حليماً وأصله أن الطائر إذا ضمَّ فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك ﴿ وقل إني أنا النذير المبين ﴾ معناه وقل إني أنا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون إليه وما أرسلت به إليكم ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ قيل فيه قولان ( أحدهما ) إن معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي فرَّقوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل سماهم مقتسمين لأنهم إقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس ( والآخر ) إن معناه إني أنذركم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين إقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شر ميتة ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزاوه أجزاء فقالوا سحر وقالوا أساطير الأولين وقالوا مفترى عن ابن عباس .

[ النظم ] وجه إتصال الآية الأولى بما قبلها هو أن الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن

الله تعالى ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق وإن الساعة آتية للجزاء وإن جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم يدبّره واتصل قوله ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ بقوله ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بيّن ما خصّه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله ﴿ كما أنزلنا ﴾ على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن وعلى القول الثاني يتصل بقوله أنا لنذير .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

[ اللغة ] الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهاراً قال أبو ذؤيب :

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يُفِيضُ عَلَى القِداحِ وَيَصْدَعُ[1]

والصديع الصبح قال « كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ الصَّدِيعُ » .

[ الإعراب ] فاصدع بما تؤمر إن جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفاً ويكون تقديره على إستعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي في به فيصير بالصدعة ولا يجوز الإضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلاً بحذفه إلى الإضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف ويقيم المضاف إليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك أمرتك الخير في

(١) الربابة جعبة يجعل فيها القدام . واليسر بمعنى الياسر : اللاعب بالقداح وأفاض القداح : ضرب بها يصف .

إمرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف أسرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة أنه قال في هذه اللفظة أفصح ما في القرآن .

[ المعنى ] لما بيّن سبحانه كفرهم بالقرآن وتعضيتهم له بيّن عقيب ذلك لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يسألهم عما فعلوه ويجازيهم عليه فقال ﴿ فوربك ﴾ يا محمد ﴿ لنسئلنهم أجمعين ﴾ أقسم بنفسه وأضاف نفسه إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً له وتنبيهاً للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ وتقريع بأن نقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيمان برسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجابوا المرسلين عن أبي العالية ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ أي أظهر وأعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل أبن ما تؤمر به وأظهره عن الزجاج قال وتأويل الصدع في الزجاج وفي الحائط أن تبين بعض الشيء عن بعض ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ أي لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت إليهم ولا تخف عنهم عن أبي مسلم وقيل واعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك عن الجبائي ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ أي كفيناك شر المستهزئين واستهزاءهم بأن أهلكناهم وكانوا خمسة نفر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن الطلاطلة وأمه عيطلة قالوا وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمستهزؤون يطوفون بالبيت فقام جبرائيل ورسول الله إلى جنبه فمرَّ به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمرَّ الوليد على قين لخزاعة وهو يجرُّ ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى مات ومرَّ به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطىء العاص على شوكة فدخلت في أخمص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات ومرَّ به الأسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومرَّ به

الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومرَّ به الحارث بن الطلاطلة فأومى إلى رأسه فامتخط قيحاً فمات وقيل إن الحرث بن قيس أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقدَّ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال ﴿ **الذين يجعلون مع الله إلٰهاً آخر** ﴾ أي إتخذوا معه إلٰهاً يعبدونه ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد ﴿ **ولقد نعلم أنك** ﴾ يا محمد ﴿ **يضيق صدرك** ﴾ أي قلبك ﴿ **بما يقولون** ﴾ من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لنبيه وتطييب لقلبه ﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿ **وكن من الساجدين** ﴾ أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه إحمد ربك على نعمه إليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم إليه ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقيناً لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى إعبد ربك أبد الأبدين ولو قال إعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الإنسان مطيعاً إذا عبد الله مرة فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة أبداً ما دام حياً .

# (١٦) سورة النحل مكية
## وآياتها ثمان وعشرون ومائة

أربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم**﴾ إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في إنصراف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحد وإن عاقبتم فعاقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكي وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ﴿ **ولكن عذاب عظيم** ﴾ والمدني قوله ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

[ **عدد آيها** ] مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها إختلاف .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دارالدنيا وأعطي من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان .

[ **تفسيرها** ] لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم أيضاً فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

[ **القراءة** ] تشركون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير وأبو عمرو يخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون يشددون .

[ **اللغة** ] قيل إن التسبيح بالتشديد في اللغة على أربعة أقسام ( الأول ) التنزيه كقوله ﴿ **سبحان الذي أسرى** ﴾ ( والثاني ) بمعنى الاستثناء كقوله ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ أي تستثنون بقولكم إن شاء الله ( والثالث ) بمعنى الصلاة كقوله ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ ( والرابع ) بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح يأتي على عشرة أقسام الروح حياة النفوس بالإرشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وريحان والروح النبوة كقوله ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل من غير فحل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعوهم إلى الله والروح جبرائيل ( ع ) والروح النفخ يقال أحييت النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة يصف الزند والزندة :

فَلَمَّا بَدَتْ كَفَنْتُها وَهْيَ طِفْلَةٌ ... بِطَلْسَاءَ لَمْ تَكْمُلْ ذِراعاً وَلَا شِبْراً
وَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْها إِلَيْكَ وَأَحْيِها ... بِرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لَها قِيتَةً قَدْراً(١)

والروح الوحي في قوله ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ وقيل أنه جبرائيل والروح ملك في السماء من أعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفاً والروح روح الإنسان وقال ابن عباس في الإنسان روح ونفس فالنفس هي التي يكون فيها التميز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معاً .

[ **المعنى** ] ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) إن معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن إن

---

(١) الزند : العود الذي يقتدح به النار والزندة : العود الأسفل الذي فيه الفرضة . ويقال للنار ساعة تقدح : طفلة .

المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ائتنا بعذاب الله فقال سبحانه ﴿ **إن أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان** ﴾ ( وثانيها ) إن أمر الله أحكامه وفرائضه عن الضحاك ( وثالثها ) إن أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي ههنا لصدق المخبر بما أخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى ولأن سبحانه قرب أمر الساعة فجعله أقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة لعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منهما في وقته وحينه كما تقتضيه حكمته ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص ﴿ **ينزل الملائكة** ﴾ أي ينزل الله الملائكة أو تنزل الملائكة ﴿ **بالروح من أمره** ﴾ أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وسمي روحاً لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله ﴿ **من أمره** ﴾ أي بأمره ونظيره قوله ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ أي بأمر الله لأن أحداً لا يحفظه عن أمره ﴿ **على من يشاء من عباده** ﴾ ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه ﴿ **إن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ هذا تفسير للروح المنزل وبدل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن أنذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا أي مروهم بتوحيدي وبأن لا يشركوا بي شيئاً ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على أن الغرض من بعثة الأنبياء الأنذار والدعاء إلى الدين .

[ النظم ] وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ﴿ **إن الكفار كانوا يستعجلون العذاب** ﴾ على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فبيّن سبحانه أنه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف فترك المجازاة قبيح وقيل إنهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة الخلق فنزّه نفسه عن قولهم واتصل قوله ﴿ **ينزل الملائكة** ﴾ بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بيّن أنه ينزل الملائكة للتخويف وأنه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يحتج عليه بالنذر وقيل أنه سبحانه بيّن أن الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب وإن الصلاح الآن إنزال الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي والكتاب للإنذار وبيان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا
دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ
إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر بشَقّ الأنفس بفتح الشين والباقون بكسرها .

[ الحجة ] الشَق والشِق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة قال عمرو بن مِلقط وهو جاهلي « وَالْخَيْلُ قَدْ تَجْشَمُ أَرْبَابَهَا * الشَّقَّ وَقَدْ تَعْتَسِفُ الرَّاوِيَة »(١) والرواية بفتح الشين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[ اللغة ] الأنعام جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها والدفء ما استدفأت به ودفؤ يومنا دفأ فهو دفيء والإراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة يقال سرحت الماشية سرحاً وسروحاً وسرحها أهلها قال :

كَأَنَّ بَقَايَا الإِثْرِ فَوْقَ مُتُونِهِ مَدَبُّ الدَّبَا فَوْقَ النَّقَا وَهْوَ سَارِحُ(٢)

والأثقال جمع الثقل وهو المتاع الذي يثقل حمله .

[ الإعراب ] والأنعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الأنعام خلقها وقوله ﴿ لكم فيها دفء ﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال من الأنعام والتقدير كائنة بهذه الصفة .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر بعث الملائكة للإنذار وبيان التوحيد وشرائع الإسلام إتبعه

(١) جشمه : تكلفه على مشقة . والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .
(٢) الدبا : الجراد قبل أن يطير .

سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق وتعداد صنوف الأنعام فقال ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ ومعناه أنه خلقهما ليستدل بهما على معرفته ويتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بهما في الدين والدنيا وليعمل بالحق ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ أي تقدس عن أن يكون له شريك ثم بيّن سبحانه دلالة أخرى فقال ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ والنطفة الماء القليل غير أنه بالتعارف صار إسماً لماء الفحل ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾ اختصرها هنا ذكر تقلب أحوال الإنسان لذكره ذلك في أمكنة كثيرة من القرآن فالمعنى أنه خلق الإنسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبّرها وصوّرها بعد أن قلبها حالاً بعد حال حتى صارت إنساناً يخاصم عن نفسه ويبيّن عما في ضميره فبيّن سبحانه أنقص أحوال الإنسان وأكملها منبهاً على كمال قدرته وعلمه وقيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر المخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى أنه خلقه ومكنه فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بيّن سبحانه نعمته في خلق الأنعام فقال ﴿ والأنعام خلقها ﴾ معناه وخلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ وأكثر ما يتناول الأنعام الإبل ويتناول البقر والغنم أيضاً وفي اللغة هي ذوات الأخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر ﴿ لكم فيها دفء ﴾ أي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به مما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الأكسية واللحف والملبوسات وغيرها قال الزجاج أخبر سبحانه أن في الأنعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع آخر سرابيل تقيكم الحر فعلم أنها تقي البرد أيضاً فكذلك هاهنا وقيل إن معناه وخلق الأنعام لكم أي لمنافعكم ثم ابتدأ وأخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة ﴿ ومنافع ﴾ معناه ولكم فيها منافع آخر من الحمل والركوب وإثارة الأرض والزرع والنسل ﴿ ومنها تأكلون ﴾ أي ومن لحومها تأكلون ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ أي حسن منظر وزينة ﴿ حين تريحون ﴾ أي حين تردونها إلى مراحها وهي حيث تأوى إليه ليلاً ﴿ وحين تسرحون ﴾ أي حين ترسلونها بالغداة إلى مراعيها وأحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاماً ضروعها ممتلئة بطونها منتصبة أسنمتها وكذلك إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ أي أمتعتكم ﴿ إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ﴾ أي وتحمل الإبل وبعض البقر أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفة ومشقة تلحق أنفسكم فكيف تبلغونه مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخر هذه الأنعام لكم حتى حملت أثقالكم إلى

أين شئتم وقيل إن الشق معناه الشطر والنصف فيكون المراد إلا بأن يذهب شطر قوتكم أي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل أثقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة ﴿ إن ربكم لرؤوف ﴾ أي ذو رأفة ﴿ رحيم ﴾ أي ذو رحمة ولذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداء منه بهذه الأنعام .

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ
السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ
لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

[ **القراءة** ] قرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم ننبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباقون كل ذلك بالنصب .

[ **الحجة** ] من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قوله ﴿ **هو الذي أنزل** ﴾ فالياء أشكل بما تقدم من الأفراد والنون لا يمتنع أيضاً ويقال نبت البقل وأنبته الله قال أبو علي والنصب في قوله ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ أحسن ليكون معطوفاً على ما قبله وداخلاً في إعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله ﴿ **وكلا ضربنا له الأمثال والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً** ﴾ يختار فيه

النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلاً له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان أشبه فإن قلت فقد جاء مسخرات بعد هذه الأشياء المنصوبة المحمولة على سخر فإن ذلك لا يمتنع لأن الحال تكون مؤكدة ومجيء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله ﴿ وهو الحق مصدقاً ﴾ وأنا ابن دارة معروفاً « وكفى بالنأي من أسماء كاف » ويقوي النصب قوله تعالى ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر ﴾ دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الأخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾ وكأن ابن عامر قطعه عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبراً عنها ويدل على جواز ذلك أنه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا أنها مسخرات فجاز الإخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فإنما رفع والنجوم مسخرات لأنه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها مما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلاً آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات .

[ اللغة ] القصد إستقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجائر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه أشجار ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الأزهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسيمون من الاسامة يقال أسمت الإبل إذا رعيتها وأطلقتها فترعى متصرفة حيث شاءت وسامت هي إذا رعت وهي تسوم وإبل سائمة ويقال سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفاً إذا ذل واهتضم قال الكميت في الإسامة :

راعِياً كانَ مُسْجِحاً فَفَقَدْناهُ وَفَقْدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ ما سَكَنْتُ بِبَطْنِ وادٍ وَأَظْعَنُ إنْ ظَعَنْتُ فَلا أسيمُ

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنكسر عيوبه

فيدخل في بيع الغرر المنهي عنه والذرأ إظهار الشيء بإيجاده يقال ذرأه يذرأه وذرأه وفطره وأنشأه نظائر وملح ذرء أني ظاهر البياض .

[ الإعراب ] نصب الخيل والبغال والحمير على أنها مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعول لها . وخلقها زينة وما ذرأ « ما » بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالعطف على ذلك أي أن في ذلك ما ذرأ لكم . مختلفاً نصب على الحال وألوانه فاعله .

[ المعنى ] ثم عطف سبحانه على ما عدّه من صنوف إنعامه فقال ﴿ والخيل ﴾ أي وخلق لكم الخيل ﴿ والبغال والحمير لتركبوها ﴾ في حوائجكم وتصرفاتكم ﴿ وزينة ﴾ أي ولتتزينوا بها مَنَّ الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم أكل لحومها وقد روى البخاري في الصحيح مرفوعاً إلى أسماء بنت أبي بكر قال أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ من أنواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ أي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعنا واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتبع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إنَّ علينا للهدى ﴿ ومنها جائر ﴾ معناه من السبيل ما هو جائر أي عادل عن الحق ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ إلى قصد السبيل بالإلجاء والقهر فإنه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلاً عن الجبائي وأبي مسلم وقيل إن معنى الآية وعلى الله الممر . ومن الطرق التي الممر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج أحداً عن قبضته وحكمه كقوله ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ وقيل على الله ممر ذي السبيل القصد والسبيل الجائر وإليه مرجع كل واحد منهما لا يخرج واحد عن سلطانه ولو أراد أن يحمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطرق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عدَّ سبحانه نعمة أخرى دالَّة على وحدانيته فقال ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء ﴾ أي مطراً ﴿ لكم منه شراب ﴾ أي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ﴿ ومنه شجر ﴾ فيه وجهان ( أحدهما ) أن يكون المراد ومنه شرب شجر أو سقي شجر فحذف المضاف ( والآخر ) أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف المضاف إلى الهاء في منه كما قال زهير :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ(١)

أي أمن ناحية أم أوفى وقال أبو ذؤيب :

أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا ... فَبِتُّ إِخَالُهُ دُهْماً خِلاَجَا(٢)

أي أمن جهتك وقال الجعدي :

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالتَّهْطَالِ ... بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أي على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر ونبات ﴿ **فيه تسيمون** ﴾ أي ترعون أنعامكم من غير كلفة والتزام مؤنة لعلفها ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي عددُها لتنتفعوا بها ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ أي دلالة وحجة واضحة ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ فيه فيعرفون الله تعالى به وخصّ المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر** ﴾ قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الفجر إلا أنه سبحانه أجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع ﴿ **والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ مضى بيانه ﴿ **إن في ذلك** ﴾ التسخير ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾ عن الله ويتبنون أن المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدبر لذلك قادر عالم حكيم ﴿ **وما ذرء لكم في الأرض** ﴾ أي سخّر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام أبدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من أنواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم ﴿ **مختلفاً ألوانه** ﴾ لا يشبه بعضها بعضاً ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ أي دلالة ﴿ **لقوم يذكرون** ﴾ أي يتفكرون في الأدلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

---

(١) الدمنة : ما أسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما . وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان قوله لم تكلم . نعت لدمنة . والبيت من المعلقة .

(٢) الخلاج جمع الخلوج : الناقة التي جذب عنها ولدها بذبح أو موت .

وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا
وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون .

[ **الحجة** ] هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن .

[ **اللغة** ] المخر شق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخراً فهي ماخرة والمخر أيضاً صوت هبوب الريح إذا إشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتطيب والميد الميل يميناً وشمالاً وهو الإضطراب ماد يميد ميداً والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية .

[ **الإعراب** ] قوله ﴿ **أن تميد بكم** ﴾ في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم وانتصب قوله ﴿ **وأنهاراً وسبلاً** ﴾ بمحذوف تقديره وجعل لكم أنهاراً لدلالة قوله ﴿ **ألقي** ﴾ عليه لأنه لا يجوز أن يكون عطفاً على القى ومثله قوله ﴿ **عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً** ﴾[1] وقول الآخر :

تَسْمَعُ فِي أَجْوافِهِنَّ صَرَدا وَفِي الْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدا[2]

أي وترى في اليدين يبساً وتفرقاً وعلامات منصوب عطف على قوله ﴿ **وأنهاراً وسبلاً** ﴾ وقيل ﴿ **وخلق لكم علامات** ﴾

---

(١) هذا المصراع يجعله بعض العلماء صدراً عجزه « حتى شتت همالة عيناها » ما في جامع الشواهد ويجعله بعضهم عجزاً ويجعل صدره « لما حططت الرحل عنها وارداً » ، كما في شرح الأشموني . والشاهد في قوله ﴿ وماءاً ﴾ فإن معناه وسقيتها ماءاً .

(٢) وفي رواية التبيان في سورة الأنفال « تسمع للأحشاء منه لغطا » .

[ المعنى ] ثم عددَّ سبحانه نوعاً آخر من أنواع نعمه فقال ﴿ وهو الذي سخر البحر ﴾ أي ذلَّله لكم وسهل لكم الطريق إلى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع ﴿ لتأكلوا منه لحماً ﴾ أي لتصطادوا منه أنواع السمك وتأكلوا لحمه ﴿ طرياً ﴾ ولا يجوز أن يهمز طرياً لأنه من الطراوة ﴿ وتستخرجوا منه حلية ﴾ يعني اللالىء التي تخرج من البحر بالغوص ﴿ تلبسونها ﴾ وتتزينون بها وتلبسونها نساءكم ولولا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والغوص فيه ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ أي وترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع لمائه عن عكرمة وقيل جواري عن ابن عباس ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ أي ولتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو إنما دخلت في ذلك للدلالة على أن الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاماً منه على عباده ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ أي جبالاً عالية ثابتة واحدها راسية ﴿ أن تميد بكم ﴾ الأرض أي كراهة أن تميد بكم أو لئلا تميد بكم أي تتحرك وتضطرب ﴿ وأنهاراً ﴾ أي وجعل فيها أنهاراً ﴿ وسبلاً ﴾ أي طرقاً لكي تجروا الماء في الأنهار إلى بساتينكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد وقيل أراد بالأنهار النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وأمثالها ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها إلى توحيد الله ﴿ وعلامات ﴾ وجعل لكم علامات أي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهاراً ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ ليلاً عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس أي جميع النجوم الثابتة وقيل تمَّ الكلام عند قوله ﴿ وعلامات ﴾ ثم ابتدأ ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقيل إن العلامات هي النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدي بها ومنها يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الإهتداء في القبلة قال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال الجدي علامة قبلتكم وبه تهتدون في برّكم وبحركم وقال أبو عبد الله ( ع ) نحن العلامات والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال إن الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء وجعل أهل بيتي أماناً لأهل الأرض ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإلٓهية كالأصنام التي لا تخلق شيئاً حتى يسوّى بينهما في العبادة وبين خالق جميع ذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أي أفلا تتذكرون أيها المشركون فتعتبرون وتعرفون أن ذلك من الخطأ الفاحش وجعل من فيما لا يعقل لما إتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكر كثرة نعمه فقال ﴿ وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ معناه وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لَمْ يمكنكم إحصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم أن تعرفوا جملها بيْن

سبحانه أن من وراء النعم التي ذكرها نعماً له لا تحصى ﴿ إن الله لغفور ﴾ لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه ﴿ رحيم ﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها .

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

[ القراءة ] ﴿ والذين يدعون ﴾ بالياء عاصم غير الأعشى والبرجمي عن أبي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء .

[ الحجة ] من قرأ بالتاء فلأن ما بعده وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون الخبر عن المشركين .

[ المعنى ] لما قدّم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته عقّبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ أخبر سبحانه أنه يعلم ما يسرونه وما يظهرونه فيجازيهم على أفعالهم إذ لا يخفى عليه الجلي والخفي من أحوالهم ﴿ والذين يدعون من دون الله ﴾ آلهاً ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ يعني الأصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربوبة منحوتة من الحجر والخشب ونحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال ﴿ أموات ﴾ أي هي أموات ﴿ غير أحياء ﴾ أكّد كونها أمواتاً بقوله غير أحياء لنفي الحياة عنها على الإطلاق فإن من الأموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الأصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال أموات ولم يقل موات وإن كان الأموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزالت لأنهم صور والأصنام على صور العقلاء وهيئاتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسمية

واعتقاداً ولذلك قال لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ معناه وما تشعر هذه الأصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية أن معناه هم أموات يعني أن الكفار في حكم الأموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل أن المعنى ولا تدري الأصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب يبعثون وقرىء في الشواذ إيان بكسر الهمزة والفتح أفصح وأصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال ﴿ إلهكم إلـه واحد ﴾ لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواه فأثبتوا على عبادته ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ أي جاحدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ ﴿ وهم مستكبرون ﴾ عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه ﴿ لا جرم ﴾ أي حقاً وهو بمنزلة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جواباً لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حقٌّ أن الله ووجبَ أن الله ولا ردٌّ لفعلهم قال الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا

المعنى أحقت فزارة بالغضب وقال أبو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لا يحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم ﴿ إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على أقوالهم وأفعالهم ﴿ لأنه لا يحب المستكبرين ﴾ أي المتعظمين الذين يأنفون أن يكونوا اتباعاً للأنبياء أي لا يريد ثوابهم وتعظيمهم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ
بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت ( ع ) فأتى بنيتهم من القواعد .

[ **الحجة** ] قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله ﴿ **فبم تبشرون** ﴾ فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والإمالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء وإذ قالت الملائكة .

[ **اللغة** ] قد مضى معنى الأساطير والأوزار في سورة الأنعام والقواعد الأساس والواحدة القاعدة وقواعد الهودج خشبات أربع معترضات في أسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين أي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعاً معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم .

[ **الإعراب** ] ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل أساطير الأولين وتقديره وإذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضماره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم** ﴾ من زيادة على قول الأخفش أي وأوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره وأوزاراً من أوزار الذين يضلونهم وما يزرون في موضع رفع كما يرفع بعد بئس ونعم وتقديره وبئس الشيء وزرهم فما حرف موصول ويزرون صلته وظالمي أنفسهم

نصب على الحال أي في حال ظلمهم أنفسهم .

[ **المعنى** ] ثم ابان سبحانه عن أحوال المشركين وأقوالهم فقال ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ أي لمشركي قريش ﴿ **ماذا أنزل ربكم** ﴾ على محمد ﷺ ﴿ **قالوا أساطير الأولين** ﴾ أي أجابوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا أحاديث الأولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروى أنها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً خرجوا إلى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس على كل عقبة أربعة منهم ليصدّوا الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وإذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم عن الكلبي وغيره ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة** ﴾ اللام للعاقبة والمعنى كان عاقبة أمرهم حين فعلوا ذلك أن حملوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أي ويحملون مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله وأغووهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاغواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله ﴿ **بغير علم** ﴾ معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ﴿ **ألا ساء ما يزرون** ﴾ أي بئس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل اثمه ودخل النار كان سبباً فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾ أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لنبينا ﷺ والوعيد لقومه ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد** ﴾ أي أتى أمر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني نمرود بن كنعان بنى صرحاً طويلاً ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر وخرّ عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من أساطين البناء التي تعمده وقيل هو بخت نصر وقيل أن هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمعنى فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الأنباري وهذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتي فلان من مأمنه أي أتاه الهلاك من جهة مأمنه وإنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته ﴿ **فخرّ عليهم السقف من فوقهم** ﴾ إنما قال من فوقهم مع حصول العلم بأن السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه ( منها ) أنه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني ( ومنها ) إنما قال ذلك ليدل على أنهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيتي قد تهدم عليّ

وإن لم يكن هو تحته ( ومنها ) أن يكون على في قوله فخرَّ عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخرَّ عنهم السقف من فوقهم أي خرَّ عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من أجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه أي من أجل الدواء قال الشاعر « أرمي عليها وهي فرع أجمع »[1] أراد أرمي عنها ولو قال على هذا المعنى فخرَّ عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرَّ وليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه ﴿ **وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ أي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا أنهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله ﴿ **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا** ﴾ ﴿ **ثم يوم القيامة يخزيهم** ﴾ معناه ثم أنه تعالى مع ذلك يذلّهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب أي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا ﴿ **ويقول** ﴾ على سبيل التوبيخ لهم والتهجين ﴿ **أين شركائي** ﴾ الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم ﴿ **الذين كنتم تشاقون فيهم** ﴾ أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادونني فيهم ﴿ **قال الذين أوتوا العلم** ﴾ بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس ﴿ **أن الخزي اليوم والسوء على الكافرين** ﴾ أي أن الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر ﴿ **فألقوا السلم** ﴾ أي استسلموا للحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والإذعان ﴿ **ما كنا نعمل من سوء** ﴾ أي يقولون ما كنا نعمل عند أنفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم ﴿ **إن الله عليم بما كنتم تعملون** ﴾ في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل أنه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة ﴿ **فادخلوا أبواب جهنم** ﴾ أي طبقات جهنم ودركاتها ﴿ **خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين** ﴾ أي بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق واللام للتوكيد .

﴿ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ

(١) قوس فرع أي غير مشقوق وقيل: التي عملت من رأس القضيب وطرفه. وهذا صدر بيت وبعده « وهي ثلاث أذرع وإصبع » .

ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ
عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ
كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

[ **الإعراب** ] ماذا أنزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيراً منصوب على أنه جواب ماذا أي أنزل خيراً وقوله ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ يجوز أن يكون تفسيراً لقوله ﴿ **خيراً** ﴾ ويجوز أن يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله ﴿ **دار المتقين جنات عدن** ﴾ وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين .

[ **المعنى** ] لمّا قدّم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ﷺ عقّبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال ﴿ **وقيل للذين اتقوا** ﴾ الشرك والمعاصي وهم المؤمنون ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً** ﴾ أي أنزل الله خيراً لأن القرآن كله هدى وشفاء وخير ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على ألسنة المؤمنين والهدى والتوفيق للإحسان ﴿ **ولدار الآخرة خير** ﴾ أي وما يصل إليهم من الثواب في الآخرة خيراً مما يصل إليهم في الدنيا ويجوز أن يكون الجمع من كلام المتقين وأجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين

وقوله ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ أي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ كما يقال نعم الدار دار ينزلها ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ سبق معناه ﴿ لهم فيها ما يشاؤون ﴾ أي يشتهون من النعم ﴿ كذلك يجزي الله المتقين ﴾ أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ أي طيبي الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ قيل أنهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك ﴾ قد مضى تفسيره في سورتي البقرة والأنعام ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء من أن يهلكهم الله ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك ﴿ فأصابهم سيئات ما عملوا ﴾ أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ﴿ وحاق بهم ﴾ أي وحلّ بهم جزاء ﴿ ما كانوا يستهزؤون ﴾ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل أنها مضمومة الياء مكسورة الضاد .

[ الحجة ] قال أبو علي الراجع على اسم أن هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يُهدي ومن قرأ يَهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز أن يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل من يضل مرتفعاً به فالراجع إلى اسم أن الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى أن من حكم باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدى ومثل هذا المعنى قوله ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه باضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله ﴿ من يضل الله فلا هادي له ﴾ وهذا كقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وقوله ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ فموضع من نصب بيهدي وقد قيل أن يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله ﴿ لا يهدي إلا أن يهدى ﴾ فموضع من على هذا رفع كما أنه لو قال يهتدي كان كذلك وقوله ﴿ لا يضل ﴾ من قولك ضل الرجل وأضله الله أي حكم بإضلاله كقولك كفر زيد وكفّره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا أنه كافر كما أن أسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة .

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبِثُّهُ ... تُكَلِّمُني أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ[1]

[ اللغة ] البلاغ والإبلاغ إيصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصاً وحرِص يحرَص بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لغة وقد روي في الشواذ عن الحسن وإبراهيم أن تحرَص بفتح الراء والأول لغة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه .

[ المعنى ] ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال ﴿ وقال الذين أشركوا ﴾

(١) هذا من كلمة لذي الرمة بائية ومطلعها ، وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه ، والربع الدار وابثه أي أظهر له بثي أي حزني وملاعب جمع ملعب مكان اللعب .

مع الله إلّهاً آخر ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان ﴿ نحن ولا آباؤنا ﴾ الذين اقتدينا بهم ﴿ ولا حرمنا من دونه من شيء ﴾ من البحيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك ﴿ فعل الذين من قبلهم ﴾ من الكفار والضلال كذّبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الأنعام ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة ﴾ أي في كل جماعة وقرن ﴿ رسولاً ﴾ كما بعثناك يا محمد رسولاً إلى أمتك ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ أي ليقول لهم أعبدوا الله ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم أنه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز أن يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز أن يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله ﴿ فأما ثمود فهديناهم ﴾ لأنه سبحانه سوّى في ذلك بين المؤمن والكافر ﴿ ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ معناه ومنهم من أعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمى الله سبحانه العقاب ضلالاً بقوله ﴿ ان المجرمين في ضلال وسعر ﴾ ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ أي أرض المكذبين الذين عاقبهم الله ان لم تصدقوني ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ أي فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم ﴿ ان تحرص على هداهم ﴾ أي على أن يؤمنوا بك ﴿ فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه في الكفر وإشارة إلى أن ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ وإعلام له أنهم لا يؤمنون أبداً وإذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلّهم على المعنى الذي فسّرناه قبل ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان أن الإضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره أهل الجبر .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وفي يۤس مثله والباقون بالرفع .

[ الحجة ] من نصب فإنه يحمله على أن قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى أن ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين ( أحدهما ) أن يكون عطفاً على أن تقول ( والآخر ) أن يكون نصباً على جواب كن قال أبو علي اعلم أن الذي أجازه من النصب على أن يكون جواب كن لم يجزه أحد من أصحابنا غيره لأن كن وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر إنما هو والله أعلم الإخبار عن كون الشيء وحدوثه .

[ الإعراب ] جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهاداً في إيمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهدك أي تجهد جهدك وعداً منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله وعد الله ذلك وعداً وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث أيضاً أي يبعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ويجوز أن يتعلق بقوله ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً** ﴾ أي ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره أن القول والمعنى إنما قولنا لكل مراد قولنا له كن .

[ النزول ] قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي أرجوه بعد الموت أنه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم أنك تبعث بعد الموت وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن أبي العالية .

[ المعنى ] ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعاً آخر من كفرهم فقال ﴿ **وأقسموا بالله جهد ايمانهم** ﴾ أي حلفوا بالله مجتهدين في إيمانهم والمعنى أنهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ ﴿ **لا يبعث الله من يموت** ﴾ أي لا يحشر الله أحداً يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال ﴿ **بلى** ﴾ يحشرهم الله ويبعثهم ﴿ **وعداً** ﴾ وعدهم به ﴿ **عليه** ﴾ انجازه وتحقيقه من حيث الحكمة ﴿ **حقاً** ﴾ ذلك الوعد ليس له خلف إذ لولا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف إنما يحسن لإثابة من عوض به ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نبوة أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في

البعث فلا يؤمنون به ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ هذا بيان من الله تعالى إنه إنما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث أحداً بعد موته وإذا تعلق اللام قوله ﴿ ولقد بعثنا ﴾ فالمعنى بعثنا إلى كل أمة رسولاً ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهديهم إلى طريق الحق وينبّههم عليه ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاهنا بيان أنه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه إذا أراد شيئاً كونه .

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

[ القراءة ] قرأ حفص نوحي بالنون وقد تقدّم ذكره في سورة يوسف وروي عن علي (ع ) لنثوينهم بالثاء والقراءة لنبوّءنهم بالباء .

[ الحجة ] قال ابن جني نصب حسنة ههنا أي نحسن إليهم إحساناً ووضع حسنة موضع الإحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لنبوئنهم على ذلك الفعل لأنه إذا أقرهم على الفعل بإطالة مدتهم فقد أحسن إليهم كما قال ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالعاصين الذين يصطلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم .

[ النزول ] الآية الأولى نزلت في المعذبين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب

وغيرهم مكَّنهم الله بالمدينة وذكر أن صهيباً قال لأهل مكة أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم وإن كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أخّره لك أفضل ثم تلا هذه الآية .

[ المعنى ] ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ﴾ معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم وأهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبيهم في الله أي في سبيله لابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذّبوهم بمكة وبخسوهم حقوقهم ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعدّ الله لهم في الجنة لازدادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين ﴿ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على أذى المشركين وفوّضوا أمورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ إلى الأمم الماضية ﴿ إلا رجالاً ﴾ من البشر ﴿ نوحي إليهم ﴾ أي أوحينا إليهم كما أوحينا إليك وأرسلناهم إلى أممهم كما أرسلناك إلى أمتك وذلك أن مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبيّن سبحانه أنه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وأنه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) أن المعني بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن أن يقع موقعه وينبيء عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري ( وثانيها ) أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ يخاطب مشركي مكة وذلك أنهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي ﷺ لشدة عداوتهم له ( وثالثها ) أن المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر ( ع ) أنه قال نحن أهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله ﴿ ذكراً رسولاً ﴾ على أحد الوجهين وقوله ﴿ بالبينات والزبر ﴾ العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما

أرسلنا بالبينات والزبر أي بالبراهين والكتب إلا رجالاً نوحي إليهم وقيل أن في الكلام إضماراً وحذفاً والتقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى :

وَلَيْسَ مُجيراً إنْ أتَى الْحَيَّ خائِفٌ ... وَلا قائِلاً إلاّ هُوَ الْمُتَعَيِّبا[1]

أي أعني المتعيبا ونظير الأول قول الشاعر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنّارِ جارَتَهُمْ ... وَهَلْ يُعَذِّبُ إلاّ اللهُ بِالنّارِ

﴿ وأنزلنا إليك الذكر ﴾ يعني القرآن ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فيه من الأحكام والشرائع والدلائل على توحيد الله ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ في ذلك فيعلموا أنه حق وفي هذا دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي إلى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر .

[ النظم ] قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه ( أحدها ) أنها اتصلت بقوله ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزي المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدّم ذكر الكفار وما أعدّ لهم من الدمار ودخول النار عقّبه بذكر المؤمنين المهاجرين والأنصار تحريضاً لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض وقيل أنه لما تقدّم ذكر البعث بيَّن بعده حكم يوم البعث وأنه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم .

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ

(١) وفي نسخة مخطوطة « المتعينا » بالنون .

وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

[ القراءة ] قرأ ﴿ أولم تروا ﴾ بالتاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تتفيؤ بالتاء والباقون بالياء .

[ الحجة ] حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ﴿ ان يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم أو يأخذهم أولم يروا ﴾ ومن قرأ بالتاء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله ﴿ يتفيؤ ظلاله حسنان ﴾ وقد تقدّم ذكر ذلك في عدة مواضع .

[ اللغة ] التخوف التنقص وهو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقي منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر :

تَخَوَّفَ السَّيْرِ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[1]

أي ينقص السير سنامها بعد تموكه وقال آخر :

تَخَوَّفَ غَدْرُهُمْ مَالِي وَأَهْدَى ... سَلاسِلَ فِي الحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ

قال الفراء تحوفته وتخوفته بالحاء والخاء إذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا يقال تحوفته وإنما يقال تحيفته بالياء والتفيؤ التفعل من الفيء يقال فاء الفيء يفيء إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه فيء المسلمين لما يعود عليهم وقتاً بعد وقت من الخراج والغنائم ويعدى فاء بزيادة الهمزة نحو أفاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفياه الله فتفيأ والفيء ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر :

فَلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ... وَلَا الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[2]

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع الفيء أفياء وفيؤ قال :

---

(١) قائله ابن مقبل والسفن : الحديدة التي تبرد بها القسي ، أي تنقص كما تأكل هذه الحديدة خشب القسي .

(٢) قائله حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة .

أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظِّلَالِ فَتَارَةً يَؤُوبُ وَأُخْرَى يَحْبِلُ المَالَ حَابِلُهْ(١)

وقال النابغة الجعدي :

فَسَلَامُ الإِلَهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ وَفُيُوءُ الفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظِّلَالِ(٢)

وإنما قال عن اليمين على التوحيد والشمائل على الجمع لأنه أراد باليمين الإيمان كما قال الشاعر :

بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ هَدَّنِي رَزِيَّةُ شِبْلَي مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ

والمعنى بأفواه وقال آخر :

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسُ(٣)

والداخر الخاضع الصاغر قال :

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دَاخِرٌ فِي مُخَيَّسٍ وَمُنْجَحِرٌ فِي غَيْرِ أَرْضِكَ فِي جُحْرِ(٤)

[ المعنى ] ثم أوعد سبحانه المشركين فقال ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه أي شيء أمن هؤلاء القوم الذين دبّروا التدابير السيئة في توهين أمر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وإيذاء المؤمنين من ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك أنهم أهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ يعني أو أن يأخذهم العذاب في تصرفهم في أسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الأحوال ليلاً ونهاراً فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً عن مقاتل ﴿ فما هم بمعجزين ﴾ أي فليسوا بفائتين وما يريده الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ قال أكثر المفسرين معناه على تنقص أما بقتل أو بموت أي بنقص من أطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب أي يعذب أهل قرية ويخوف به

(١) حبل الشيء : شده بالحبل .

(٢) يصف حال أهل الجنة .

(٣) كناية عن الإسارة

(٤) نسبه في التبيان إلى ذي الرمة وفي اللسان إلى الفرزدق والخيس : السجن .

أهل قرية أخرى فيتخوفون أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالأولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الأموال والأنفس بالبلايا والاسقام إن لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبّه غيرهم ويزجرهم عن الجبائي ﴿ **فإن ربكم لرؤوف رحيم** ﴾ بكم ومن رأفته ورحمته بكم أنه أمهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بيّن سبحانه دلائل قدرته فقال ﴿ **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء** ﴾ معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذّبوا نبيّه ﷺ إلى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم ﴿ **يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله** ﴾ أي يتميل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال وأضاف الظلال إلى مفرد ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال لأن الذي يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال يميناً وشمالاً أن الشمس إذا طلعت وأنت متوجه إلى القبلة كان الظلال قدامك وإذا ارتفعت كان عن يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل عن الكلبي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب إلى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله ﴿ **وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾ وقد مرَّ تفسيره وقيل أن المراد بالظل هو الشخص بعينه ويدل على ذلك قول علقمة :

لَمَّا نَزَلْنا رَفَعْنا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وَفارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ المَراجِيلُ[1]

ألا ترى أنهم لا ينصبون الظل وإنما ينصبون الأحبية ويقوّي ذلك قول عمارة :

كَأَنَّهُنَّ الْفَتَياتُ اللُّعْسُ كَأَنَّ في أَظْلالِهِنَّ الشَّمْسُ[2]

أي في أشخاصهن وقول الآخر :

يُتَبِّعُ أَفْياءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً عَلى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُيُوفُ[3]

أي أفياء الشخوص فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام التي عنها الظلال ﴿ **وهم داخرون** ﴾ أي أذلة صاغرون قد نبّه الله بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام

(١) المراجيل جمع المرجل: القدر .

(٢) جارية لعساء : كان في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة .

(٣) وفي بعض النسخ « سبوب » بدل « سيوف » .

طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذلّه ثم قال سبحانه ﴿ **ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة** ﴾ أي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى مِنْ في قوله ﴿ **من دابة** ﴾ تبيين الصفة أي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض ﴿ **والملائكة** ﴾ أي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وإنما خصَّ الملائكة بالذكر تشريفاً لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم أولو الأجنحة فصفة الطيران أغلب عليهم ﴿ **وهم لا يستكبرون** ﴾ عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لأنه قال ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وإنما قال من فوقهم لوجهين ( أحدهما ) أن المراد يخافون عقاب ربهم وأكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق ( والآخر ) أن الله سبحانه لما كان موصوفاً بأنه عال متعال بمعنى أنه قادر على الكمال حسن أن يقال من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذلك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين ومثله في المعنى قوله ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ وقوله إخباراً عن فرعون ﴿ **وانا فوقهم قاهرون** ﴾ وذهب بعضهم إلى أن قوله ﴿ **من فوقهم** ﴾ من صفة الملائكة والمعنى أن الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم فلأن يخافه من دونهم أولى وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال أن لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة إلا صارت ملكاً فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك أورده الكلبي في تفسيره .

﴿ * وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٥٥) ﴾

[ اللغة ] وصب الشيء وصوباً إذا دام ووصب الدين وجب وقال أبو الأسود :

لا أَبْتَغي الْحَمْدَ الْقَليلَ بَقاؤُهُ ... يَوْماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِباً

والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال :

لا يَغْمِزُ السّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصَبٍ ... وَلا يَعَضُّ عَلى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[1]

والجؤار الاستغاثة برفع الصوت ويقال جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الأعشى :

وَما أَيْبُلِيٌّ عَلى هَيْكَلٍ ... بَناهُ وَصَلَّبَ فيهِ وَصَارا[2]
يُراوِحُ مِنْ صَلَواتِ الْمَليكِ ... طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤارا

وبناء الأصوات على فُعال وفَعيل نحو الصراخ والبكاء والعويل والصفير والفُعال أكثر .

[ الإعراب ] ذكر اثنين توكيداً لقوله إلٰهين كما ذكر الواحد في قوله ﴿ إلٰه واحد ﴾ ﴿ واصباً ﴾ نصب على الحال وما بكم موصول وصلة في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله ﴿ فمن الله ﴾ تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن قوله ﴿ بكم ﴾ قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة .

[ المعنى ] لما بيَّن سبحانه دلائل قدرته وإلٰهيته عقَّبه بالتنبيه على وحدانيته فقال ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلٰهين اثنين ﴾ أي لا تعبدوا مع الله إلٰهاً آخر فتشركوا بينهما في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه وذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل أن تقديره لا تتخذوا اثنين إلٰهين يريد به نفسه وغيره ﴿ إنما هو إلٰه واحد ﴾ وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه فكأنه قال هو إلٰه واحد لا إلٰه غيره ﴿ فإياي فارهبون ﴾ أي ارهبوا أعقابي وسطواتي ولا تخشوا غيري وورد عن بعض الحكماء أنه قال نهاك ربك أن تتخذ إلٰهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأنى تكون موحداً ﴿ وله ما في السماوات والأرض ﴾ مُلكاً ومِلكاً وخلقاً ﴿ وله الدين واصباً ﴾ أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاد ومعناه أنه سبحانه الذي يعبد دائماً وغيره

(١) الشرسوف : رأس الضلع مما يلي البطن . والصفر: دابة تعض الضلوع والشراسيف وفي اللسان في « صفر » قال أعشى باهلة يرثي أخاه : « لا يتاري لما في القدر يرقبه * ولا يعض عن شرسوفه الصفر » .
(٢) الأيبلي : الراهب وصلَّب الراهب: اتخذ في بيعته صليباً . وصار أي صور .

إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الفراء أي يجب على العبد أن يطيعه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ أي أفغير الله تخشون وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تعبدون غيره ولا تتقونه ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ معناه أن جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته ﴿ ثم إذا مسكم الضر ﴾ مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال ﴿ فإليه تجئرون ﴾ أي فإليه تتضرعون في كشفه وإليه ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم ﴾ معناه ثم إذا دفع ما حلَّ بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر ﴿ إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ أي دعا طائفة منكم إلى الشرك بربهم في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ معنى اللام هاهنا هو البيان عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى أنهم بمنزلة من أشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بأنعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل أن اللام للأمر على وجه التحديد أي ليفعلوا ما شاؤوا فإنه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن أبي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمتعوا فسوف يعلمون بالياء فيهما فإن يمتعوا يكون معطوفاً مجزوماً ويجوز أيضاً أن يكون معطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا أيها الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تعلمون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب وأليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ
سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن
سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

[ اللغة ] يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظللت أظل ظلولاً ومثله أضحى غير أنه كثر حتى صار بمنزلة أخذ يفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به فم القربة والكظامة أيضاً العقب على رؤوس القذذ والكظامة أيضاً البئر ومنه الحديث أن النبي ﷺ أتى كظامة فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لغة قريش قال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعَيْنُ مُمْسِكٌ　　عَلَىٰ رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْخَيْلَ حَافِرُهُ

ودسست الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفيته والدساسة حية صماء تندس تحت التراب .

[ الإعراب ] ولهم ما يشتهون إن شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإن شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره أو مرفوعاً على أن الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسكه يعود إلى قوله ما بشّر به فلذلك ذكّر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الأنعام والزرع فكنّى عن لفظة ما في قوله ﴿ لما لا يعلمون ﴾ بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء عن أبي علي الفارسي وقال أيضاً يجوز أن يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه إلّهاً نصيباً ويكون الضميران في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه فعلاً آخر من أفعال المشركين دالاً على جهلهم فقال ﴿ويجعلون لما لا يعلمون﴾ والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون أنه يضر وينفع ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ يتقربون بذلك إليه كما يجب أن يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال ﴿تالله لتسألن﴾ في الآخرة ﴿عما كنتم تفترون﴾ أي تكذبون به في دار الدنيا لتلتزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على أنفسكم ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم فقال ﴿ويجعلون لله البنات﴾ أي ويثبتون لله البنات ويضيفون إليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة

الذين هم عباد الرحمن إناثاً ثم نزّه سبحانه نفسه عما قالوا فقال ﴿سبحانه﴾ أي تنزيهاً له عن اتخاذ البنات ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ويحبُّونه من البنين دون البنات. وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ أي وإذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم وهذا غاية الجهل ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلىء غيظاً وحزناً ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ يعني ان هذا الذي بشر بالبنت يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكافاً منه وخجلاً وحياء من سوء ما بشر به من الانثى وقبحه عنده ﴿أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ يعني يميل نفسه ويدبر في أمر البنت المولودة له أيمسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حياً وهو الوأد الذي كان من عادة العرب وهو أن أحدهم كان يحفر حفيرة صغيرة وإذا وله لد انثى جعلها فيها وحثا عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء فيهن ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أي بئس الحكم ما يحكمونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون ولله ما يكرهون وقيل معناه ساء ما يحكمونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس أنه قال لو أطاع الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد إلا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكوراً لما كان لهم أولاد فيفنى الناس ثم قال سبحانه ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى﴾ أي لهؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن ولله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والعمى وصفة الحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الأبناء وقتل البنات خوف الفقر ولله صفات الإلّهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى وقوله فلا تضربوا لله الأمثال والجواب ان المراد بالأمثال هناك الأشباه أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الأعلى هنا الوصف الأعلى الذي هو كونه قديماً قادراً عالماً حياً ليس كمثله شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الأعلى المثل المضروب بالحق وبقوله فلا تضربوا لله الأمثال الأمثال المضروبة بالباطل ﴿وهو العزيز﴾ أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها على ما هو حكمة وصواب وفي الآية دلالة على أنه لا يضاف إلى الله تعالى الا دون فإن الله سبحانه قد عاب المشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأنفسهم فإذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز أن

يضيفه إلى الله تعالى .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ
ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ
ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون ساكنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ أبو جعفر (ع) مفرّطون مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون ساكنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج بفتح الراء وتشديده .

[ **الحجة** ] قال الزجاج اما تفسير مفرطون فجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة التقدم وقد فرط منّي قول أي تقدّم فمعنى مُفْرطون مقدّمون إلى النار وكذلك مُفرَّطون بالتشديد ومن فسر متروكون فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبداً متروكين فيه ومن قرأ مُفرّطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مُفْرطون فالمراد

انهم أفرطوا في معصية الله كما تقـول أفرط فلان في مكروهي وتأويله انه آثر العجز وقدمه قال أبو علي وكأنه من افرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه أنهم ذوو فرط إلى النار وسبق إليها .

[ الإعراب ] الكذب مفعول تصف وان لهم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وبصف ألسنتهم ان لهم الحسنى أي تصفون ان لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب بجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسب ان لهم النار وقيل إنَّ ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها لتبين لهم أي لأن تبين لهم الجار والمجرور في محـل النصب بأنـه مفعول لـه وكذلـك قولـه وهدى ورحمـة وكلاهما معطوف على ما قبله بأنه مفعول له أيضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى ورحمة بالرفع فيكـون المعنى وما أنـزلنا عليـك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة .

[ المعنى ] ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ أخبر سبحانه أنه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قـال عليها ولم يجر ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونـون على ظهر الأرض ومثله كثيـر في محاورات العرب يقولون ما بين لابتيهـا مثل فـلان يعنون المـدينة وأصبحت بـاردة يريـدون الغداة إذ اللابتان بالمدينة والاصباح لا يكون الا غدوة وقوله ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل في مَن المعلومُ من حاله أنه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لان التكليف تفضل فلا تجب تبقية وهو قول أبي هاشم وإليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اخترامه ويجب تبقيته وهو قول البلخي وأبي علي الجبائي وان اختلفـا في علته فقـال الجبائي لأنـه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه ذهب الشيخ المفيد أبو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة « سؤال » متى قيل ان المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم « فجوابه» ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأمراض النـازلة بـالأولياء وغير

المكلفين فيعوّضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها انما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بعدهم ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعني البنات أي يحكمون لله بما يكرهونه لأنفسهم ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ أي وتخبر ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون ﴿إن لهم الحسنى﴾ وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والمثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فإن المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد من أمر البعث والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ أنه قرأ وتصف ألسنتهم الكُذُب بضم الذال والباء فعلى هذا يكون الكذب وصفاً للألسنة جمع كاذب أو كذوب ثم ردَّ سبحانه قولهم فقال ﴿لا جرم ان لهم النار﴾ أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم اي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقاً ان لهم النار أو لا بد أن لهم النار ﴿وانهم مفرطون﴾ أي مقدمون أي معجلون إلى النار ثم أقسم سبحانه فقال ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ يا محمد ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل ﴿فهو وليهم اليوم﴾ معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن أبي مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أي يكلهم الله تعالى إلى الشيطان أياساً لهم من رحمته ﴿ولهم عذاب اليم﴾ أي وللتابع والمتبوع عذاب مؤلم وجميع ثم بيّن سبحانه أنه قد أقام الحجة وأزاح العلة وأوضح المحجة فقال ﴿وما أنزلنا عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ أي القرآن ﴿إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ معناه إلا وقد أردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام ﴿وهدى﴾ أي وأنزلناه دلالة على الحق ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ثم أخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال ﴿والله انزل من السماء ماء﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿فأحيا به﴾ أي بذلك الماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي حجة ودلالة ﴿لقوم يسمعون﴾ أي يستصغون أدلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ
سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ
ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

[ القراءة ] قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقيكم بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرأ أبو جعفر في المؤمنين تسقيكم بالتاء .

[ الحجة ] قيل بين سقيت وأسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب وأسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء وأسقيته سألت الله أن يسقيه وعليه بيت ذي الرمة .

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُه(١)

وقيل إذا سقاه مرة يقول سقيته وإذا سقاه دائماً يقال أسقيته عن أبي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد واستدل ببيت لبيد

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى ... نُمَيْراً وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ

فإنه أتى باللغتين .

[ اللغة ] العبرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والفرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش

(١) مر البيت في صفحة ٥١٠ و ٥٥٣ .

وساغ الطعام في الحلق وسوغته وأسغته . السكر في اللغة على أربعة أوجه ( الأول ) ما أسكر من الشراب ( والثاني ) ما طعم من الطعام قال الشاعر « جَعَلْت عَيْبَ الأكْرَمين سَكَرا »[١] أي أعلت ذمهم طُعْماً لك ( والثالث ) السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلاَ سَاكِرَه »[٢] ويقال سكرت الريح سكنت قال « وَجَعَلَتْ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكُرُ »[٣] ( والرابع ) المصدر من قولك سكر سكراً ومنه التسكير التحيير في قوله سكرت أبصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة ذلول بيّن الذل ورجل ذلول بيّن الذل والذلة والرذل الدون الرديء وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلته انا .

[ الإعراب ] الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الأنعام جمع والجمع يذكر ويؤنث فجاء هاهنا على لغة من يذكر وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الانعام وأنشد للراجز « وَطَابَ البَانُ اللِّقاحِ فَبَرَدْ »[٤] رده الى اللبن عن الفراء وقيل ان الانعام والنعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدي

إنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمِّنَا قَبْراً بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

فكأنه قال شيئان ضمنا وقال الأعشى

فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمَّةٌ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا[٥]

حمله على الحدثان[٦] ويجوز أن يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور وقيل ان من يدل على التبعيض فكأنه قال نسقيكم مما في بطون بعض الأنعام لأنه ليس لجميعها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان ( أحدها ) انه يعود الى المذكور ( والثاني ) انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله ، لكيلا يعلم بعد علم

(١) ورواية اللسان هكذا « جعلت اعراض الكرام سكراً » .

(٢) قائله اوس وقبله « تزاد ليالي في طولها » .

(٣) مر البيت بتمامه في صفحة ٥٠٧ .

(٤) وقبله « بال سهيل في الفصيخ ففسد » . والقاح : اسم ماء الفحل .

(٥) اللمة : الشعر الجعد خلف الاذن . وأودى بها أي أهلكها . ورواية اللسان « فأما تريني ولي لمة ا هـ » .

(٦) أي كان عليه ان يقول « اودت بها » فذكر على اراده الحدثان .

شيئاً ان نصبت شيئاً بعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد أعملت الثاني وأضمرت المفعول في يعلم على شريطة التفسير وان أعملت يعلم وهو مذهب الفراء أضمرت لعلم مفعولاً وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه .

[ المعنى ] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ يعني الابل والبقر والغنم ﴿لعبرة﴾ أي لعظة واعتباراً ودلالة على قدرة الله تعالى ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾ وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً وأعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث ﴿سائغاً للشاربين﴾ أي جائزاً في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلٓهي بيَّن سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بهما قادر على اخراج الموتى من الأرض من غير أن يختلط شيء من أبدانهم بأبدان غيرهم ثم قال ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾ قيل معناه ولكم عبرة فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضمر ما الموصولة كثيراً قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكراً ﴿ورزقاً حسناً﴾ فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والأعناب عطف على الثمرات أي ومن الأعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر. والرزق الحسن ما أحل منهما كالخل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالإسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال أبو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدَّد أنعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبائي فالمعنى تتخذون منه أصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأيّ رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه أنه سبحانه أخبر أنه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا

بين قوله تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي دلالة ظاهرة ﴿لقوم يعقلون﴾ عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه بيّن الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستلخص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أي ألهمها إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال أبو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي ا لنبوة ومنها الإلهام ومنها الاشارة ومنها الكتاب ومنها الاسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه والإلهام في قوله ﴿وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى﴾ والاشارة في قوله فأوحى إليهم أن سبّحوا قال مجاهد معناه أشار اليهم وقال الضحاك كتب لهم والأسرار في قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب أن يلقي الانسان إلى صاحبه شيئاً بالإستتار والإخفاء وأما ما روي عن ابن عباس أنه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال اوحي له وأوحي اليه قال العجاج « أوحى لَهَا القَرَار فَاسْتَقَرَّت »[1] والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمساكن والأوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ للعسل ولا يقدر على مثلها احد ﴿ومن الشجر ومما يعرشون﴾ أي ومن الكرم لأنه الذي يعرش ويتخذ منه العريش وفيه لغتان يَعرِشون ويعرُشون بضم الراء وكسرها وقد قرىء بهما وقيل معنى يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعسل فيها ولولا الهام الله إياها ما كانت تأوي إلى ما بني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لا تعقل الأمر ولا تكون مأمورة لأنه لما أتى بلفظ الوحي أجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ أي من انواع الثمرات من أيّ ثمرة شئت ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك ﴿ذللاً﴾ أي مذللة موطأة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذللاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذللاً أي مطيعة لله منقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾ وهو العسل فإن ألوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك أن النحل تتناول ألواناً مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلاً على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن

(١) وبعده « وشدها بالراسيات الثبت » وقد مر .

آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن أنها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها ﴿فيه شفاء للناس﴾ من الادواء عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والأحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والعسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع ومنها ما ركّب الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن أعجبها ان جعل سبحانه لكل فئة يعسوباً هو أميرها يقدمها ويحامي عنها ويدبّر أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتفي أثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى هذا المعنى فيما قال أشار امير المؤمنين ( ع ) في قوله أنا يعسوب المؤمنين ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ معناه ان فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بيَّن نعمته علينا في خلقنا واخرجنا من العدم إلى الوجود فقال ﴿والله خلقكم﴾ أي أوجدكم وأنعم عليكم بضروب النعم الدينية والدنيوية ﴿ثم يتوفاكم﴾ ويقبضكم أي يميتكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أدون العمر وأوضعه أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورووا عن علي ( ع ) ان ارذل العمر خمس وسبعون سنة وروي في مثل ذلك عن النبي ﷺ وعن قتادة تسعون سنة ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾ أي ليرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه ﴿إن الله عليم﴾ بمصالح عباده ﴿قدير﴾ على ما يشاء من تدبيرهم وتقدير أحوالهم .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء والباقون بالياء .

[ **الوجه** ] الوجه في القراءة بالياء أنه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحود نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفبنعمة الله التي تقدم اقتصاصها تجحدون ويقوي الياء قوله ﴿ **وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ .

[ **اللغة** ] الحفدة جمع حافد وأصل الحفد الإسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء وإليك نسعى ونحفد ومرَّ البعير يحفد حفداً[١] إذا مرَّ يسرع في سيره قال الراعي :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً ... إذا الحُداةُ عَلىٰ أكْسائِها حَفَدُوا[٢]

ومنه قيل للأعوان حفدة لإسراعهم في الطاعة قال جميل :

حَفَدَ الْوَلائِدُ حَوْلَها وَاسْتَسْلَمَتْ ... بِأكُفِّهِنَّ أزِمَّةَ الأجْمالِ[٣]

[ **الإعراب** ] فهم فيه سواء جملة إسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء والتقدير فيستووا شيئاً إنتصب على أحد وجهين إما أن يكون بدلاً من رزقاً بمعنى أنه لا يملك لهم رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول الأخفش وإما أن يكون مفعولاً لقوله ﴿ **رزقاً** ﴾ فكأنه قال ما لا يملك لهم أن يرزق شيئاً وهو مما أعمل من المصادر المنونة .

[ **المعنى** ] ثم عدَّد سبحانه نعمة منه أخرى فقال ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** ﴾ فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة ﴿ **فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء** ﴾ اختلف في معناه على قولين ( أحدهما ) أنهم

---

(١) [ وحفداناً ] .

(٢) الحداة : جمع الحادي . وإكساء جمع كسيء : مؤخر الشيء .

(٣) لولائد : الشواب من الجواري .

لا يشركون عبيدهم في أموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقرب إليهم كما يوجهونها إليَّ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى إلَهاً معه وهو عبده ونزلت في نصارى نجران ( والثاني ) إن معناه فهؤلاء الذين فضّلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليكهم بل الله تعالى رازق الملاك والمماليك فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ أي أفبهذه النعمة التي عددتها واقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدّد سبحانه نعمة أخرى فال ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجاً لكم لتسكنوا إليهن وتأنسوا بهن ﴿ وجعل لكم من أزواجكم ﴾ يعني من هؤلاء الأزواج ﴿ بنين ﴾ تسرُّون بهم وتزيّنون بهم ﴿ وحفدة ﴾ إختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الموالبي هم اختان الرجل على بناته وهو المروي عن أبي عبد الله وعن ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه أيضاً أنهم بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الأولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أي الأشياء التي تستطيبونها قد أباحها لكم وإنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيبه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأحد منعه منه ﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرّم عليهم وزيّنه الشيطان من البحائر وغيرها أي أفبذلك يصدّقون ﴿ وبنعمة الله ﴾ التي عدّدها ﴿ هم يكفرون ﴾ أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً ﴾ أي لا يملك أن يرزقهم ﴿ من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾ شيئاً مما ذكرناه وقيل إن رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثمار وغير ذلك من أنواع النعم التي تخرج من الأرض ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ أي لا تجعلوا لله الأشباه والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواه وإنما قال ذلك في إتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة ﴿ إن الله يعلم ﴾ إن من كان إلَهاً فإنه منزّه عن الشركاء ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ذلك بل تجهلونه ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وأنتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

[ القراءة ] في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد أينما يُوَجِّهْ وروي عن علقمة يُوَجَّهْ بفتح الجيم .

[ الحجة ] قال ابن جني أما يُوَجِّه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي أينما يوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول أن نظيره ما جاء في المثل « أينما أوجه ألق سعداً » ومعناه أينما أوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في التحاسد وأما يوجّه بفتح الجيم فمعناه أينما يرسل أو يبعث لا يأت بخير .

[ اللغة ] الأبكم الذي يولد أخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الأبكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال كلّ عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها وكلّ لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالأصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الإرسال في وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه .

[ الإعراب ] ﴿ ومن رزقناه منا رزقاً حسناً ﴾ رزقاً مفعول ثان لرزقناه وفي هذا دليل على أن رزق يتعدى إلى مفعولين الا ترى أن قوله رزقاً حسناً لو كان مصدراً لما جاز أن يقول

فهو ينفق منه لأن الإنفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال ﴿ **ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء** ﴾ أي بيَّن الله مثلاً فيه بيان المقصود تقريباً للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبداً مملوكاً لا يقدر من أمره على شيء ﴿ **ومن رزقناه منا رزقاً حسناً** ﴾ يريد وحُرّاً رزقناه وملكناه مالاً ونعمة ﴿ **فهو ينفق منه سراً وجهراً** ﴾ لا يخاف من أحد ﴿ **هل يستوون** ﴾ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ﴿ **ومن رزقناه** ﴾ وقوله ﴿ **عبداً مملوكاً** ﴾ الشيوع في الجنس لا التخصيص يريد أن الإثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مالكاً قادراً على الإنفاق والآخر عاجزاً عن الإنفاق لا يستويان فكيف يستوي بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل إن هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة نبَّه الله سبحانه بذلك على اختلاف حاليهما ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر ﴿ **الحمد لله** ﴾ أي الشكر لله على نعمه وفيه شارة إلى أن النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلّنا على توحيدة ومعرفته وهدانا إلى شكر نعمته وأوضح لنا السبيل إلى جنته ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ يعني أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون أن الحمد لي وإن جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلاً آخر فقال ﴿ **وضرب الله مثلاً** رجلين أحدهما أبكم **لا يقدر على شيء** ﴾ من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر أن يدبر أمر نفسه ﴿ **وهو كل على مولاه** ﴾ أي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره ﴿ **أينما يوجهه لا يأت بخير** ﴾ معناه أنه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة ﴿ **هل يستوي هو** ﴾ أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة ﴿ **ومن يأمر بالعدل** ﴾ أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر ﴿ **وهو على صراط مستقيم** ﴾ أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي به ويذر والمراد أنهما لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون وقيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان ( أحدهما ) أنه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه وأصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة ( والآخر ) أنه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس وقيل إن الأبكم أبي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل إن الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاتل ثم وصف

سبحانه نفسه مؤكداً لما قدم ذكره من أوصاف الكمال فقال ﴿ ولله غيب السماوات والأرض ﴾ ومعناه أنه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق مما يصح أن يكون معلوماً قال الجبائي ويمكن أن يكون المعنى ولله ما غاب عنكم مما في السماوات والأرض ثم قال ﴿ وما أمر الساعة ﴾ في قدرته ﴿ إلا كلمح البصر ﴾ أي كطوف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما أمر إقامة الساعة في قدرته إلا كلمح البصر أي لا يتعذر عليه شيء ﴿ أو هو أقرب ﴾ من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنا لأحد أمرين إما للإبانة على أنه على إحدى هاتين المنزلتين وإما لشك المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فهو قادر على إقامة الساعة وعلى كل شيء يريده لأن القدير مبالغة في صفة القادر .

[ النظم ] وجه إتصاله بما قبله أن أمر القيامة من الأمور الغائبة ومن أعظمها وأهمها لما فيه من الثواب والعقاب والإنصاف والإنتصاف والساعة إسم لإماتة الخلق وإحيائهم .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

[ القراءة ] قد ذكرنا القراءة في أمهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وسهل وخلف ﴿ ألم تروا ﴾ بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين .

[ الحجة ] من قرأ ﴿ ألم تروا ﴾ بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله ﴿ وجعل لكم السمع ولعلكم تشكرون ﴾ ومن قرأ بالياء فإنه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظَعَن والظعن بفتح العين وسكونها لغتان ومثله النهر والنهر والشمع والشمع قال الأعشى :

فَقَدْ أشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِينَ يَوْمَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

قال أبو علي ولا يجوز أن يكون الظعن مخففاً عن الظعن كما أن عَضْداً مخفف عن عَضُد وكتفا مخففاً عن كتف ألا ترى أن من قال ذلك لم يخفف نحو جمل ورسن كما أن الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ لا يقول والليل إذا يغش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء .

[ اللغة ] الأمهات أصله الأمات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في أهرقت الماء والأصل أرقت والأفئدة جمع فؤاد كما يقال غراب وأغربة ولم يجمع الفؤاد على أكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غربان . الجو الهواء البعيد من الأرض وأبعد منه السُكاك واللُوح وواحد السكاك سكاكة عن الزجاج قال الشاعر :

وَيْلُمِّهَا فِي هَوَاءِ الجَوِّ طَالِبَةً وَلاَ كَهٰذَا الَّذِي فِي الأَرْضِ مَطْلُوبُ(١)

والسكن كل ما يسكن إليه والسكن أيضاً المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها أهل الدار ومنه الحديث أن الرمانة لتشبع السكن وأصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس الأكوان التي يكون الجسم بها كائناً في الجهات ومنه السكين لأنه يسكن حركة المذبوح والأثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر أثيث أي كثير وأثَّ النَبْتُ يَإِثُّ أثّاً إذا كثر والتف وكذلك الشعر ولا واحد للأثاث كما أنه لا واحد للمتاع قال الشاعر :

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بِذِي الزِّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ(٢)

[ الإعراب ] قوله ﴿ لا تعلمون شيئاً ﴾ في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله ﴿ شيئاً ﴾ يجوز أن يكون منتصباً على المصدر أي لا تعلمون علماً ويجوز أن يكون مفعولاً ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد وأثاثاً ومتاعاً نصب بجعل

(١) قائله امرىء القيس ورواية الديوان لا « كالتي في هواه اهـ . »ونسبه في التبيان والطبريّ إلى إبراهيم بن عمران الأنصاري . وقوله « ويلمها » مخفف « ويل أمها .

(٢) قائله محمد بن نمير الثقفي . وفي بعض النسخ « الزي » . ورواية اللسان « أشاقتك الظعائن ا .هـ » .

أي يجعل لكم أثاثاً ومتاعاً .

[ **المعنى** ] ثم عدد سبحانه نعما لـه أخر فقـال ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم** ﴾ منعمـاً عليكم بذلـك وأنتم ﴿ **لا تعلمون شيئـاً** ﴾ من منـافعكم ومضـاركم في تلك الحـال ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ أي تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدركات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهـون بها الأشياء إذ هي محل المعارف ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ أي لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال ﴿ **ألم تروا** ﴾ أي ألم تتفكروا وتنـظروا ﴿ **إلى الطيـر مسخرات في جو السماء** ﴾ أي كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذللات للطيران في الهواء بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شيء ﴿ **ما يمسكهن إلا الله** ﴾ أي ما يمسكهن من السقوط على الأرض من الهواء إلا الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كإمساك الماء تحت السائح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل إمساك الهواء تحتها إمساكاً لها على التوسع فإن سكونها في الجـو إنما هـو فعلها فالمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا إن لها مسخراً ومدبِّراً لا يعجزه شيء ولا يتعـذر عليه شيء وإنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك لمجردِ الأنعام على العبيد لكان حسناً لكنه سبحانه وتعالى ضمَّ إلى ذلـك التعريض للثواب ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدَّد سبحانه نعماً أخر في الآية الأخرى فقال ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكناً** ﴾ أي موضعاً تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك أنه سبحانه خلق الخشب والمـدر والآلة التي يمكن بهـا تسقيف البيـوت وبنـاؤهـا ﴿ **وجعـل لكم من جلود الأنعام** ﴾ يعني الإنطاع والأدم ﴿ **بيوتاً تستخفونها** ﴾ أي قباباً وخياماً يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم ﴿ **يوم ظعنكم** ﴾ أي ارتحالكم من مكان إلى مكـان وقيل معنى الـظعن سير أهـل البوادي لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع ﴿ **ويوم إقامتكم** ﴾ أي اليوم الذي تنزلون موضعاً تقيمون فيه أي لا يثقل عليكم في الحالتين ﴿ **ومن أصوافها** ﴾ وهي للضأن ﴿ **وأوبارهـا** ﴾ وهي للإبل ﴿ **وأشعارها** ﴾ وهي للمعز ﴿ **أثاثاً** ﴾ أي مالاً عن ابن عباس وقيل نوعاً من متاع البيت من الفراش والأكسية وقيل طنافس وبسطاً وثيابـاً وكسوة والكـل متقارب ﴿ **ومتـاعاً** ﴾ تتمتعون به ومعاشاً تَتجِرون فيه ﴿ **إلى حين** ﴾ أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل أن يكون أراد به موت المالـك أو موت الأنعـام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى أنهار فانية فلا ينبغي للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ
تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ
يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

[ اللغة ] الأكنان جمع كنّ وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كننت الشيء في كِنّه أي صنته وأكننته أي أخفيته وكل ما لبسته من قميص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل أعتب والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعتبه طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب والعتب وأصله دبغ الأديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الأديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستعتبته إذا أنكرت منه فعلاً واستنزلته عنه وأردت إصلاحه وأعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب وزال عما تكره .

[ الإعراب ] فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإنّ الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الإذن عليه .

[ المعنى ] ثم عدَّد سبحانه نعماً أخر أضافها لى ما عدَّده قبل من نعمه فقال ﴿ **والله جعل لكم مما خلق** ﴾ من الأشجار والأبنية ﴿ **ظلالاً** ﴾ أي أشياء تستظلون بها في الحرّ والبرد ﴿ **وجعل لكم من الجبال أكناناً** ﴾ أي مواضع تسكنون بها من كهوف وثقوب وتأوون إليها ﴿ **وجعل لكم سرابيل** ﴾ أي قميصاً من القطن والكتان والصوف عن ابن عباس وقتادة

﴿ تقيكم الحر ﴾ ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وإنما خصَّ الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حرٍّ في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر أكثر عن عطا على أن العرب تكتفي بذكر أحد الشيئين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر .

وما ادْرِي إذا يَمَّمْتُ أرْضاً أُرِيدُ الْخَيْرَ أيهما يَلِيني[1]

فكنّى عن الشر ولم يذكره لانه مدلول عليه ذكره الفراء ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع عنكم سلاح أعدائكم ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما جعل لكم هذه الأشياء وأنعم بها عليكم ﴿ يتم نعمته عليكم ﴾ يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله ﴿ لعلكم تسلمون ﴾ قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحدوه وتصدقوا رسوله ﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ﴾ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه فإن أعرضوا عن الإيمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبر لما عددته في هذه السورة من النعم وبنيت فيها من الدلالات فلا عتب علك ولا لوم فإنما عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما أمرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم وإكمال عقولهم وخلق أنواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل أن معناه يعرون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويجحدونه عن السدي ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾ إنما قال أكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفاً أو لم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه إسم الكفر وقيل إنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن فيهم من يؤمن وقيل أنه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون وإنما عدل عن البعض إحتقاراً له أن يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة أنه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وإن جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نصَّ في هذه الآية على خلاف قولهم ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ يعني يوم القيامة بيَّن سبحانه أنه

---

(١) قائله المثقب العبدي ومرجع الضمير في قوله « ايهما » في بيت بعده وهو « أألخير الذي انا ابتغيه * أم الشر الذي هو يبتغيني .

يبعث فيه من كل أمة شهيداً وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم وقال الصادق ( ع ) لكل زمان وأمة إمام تبعث كل أمة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك أن ذلك أهول في النفس وأعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى ولأنهم إذا علموا أن العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجراً لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبعث ﴿ **ثم لا يؤذن للذين كفروا** ﴾ أي لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أي إستمعت كما قال عدي بن زيد :

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِيٍّ مُشَارْ(١)

عن أبي مسلم ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ أي لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون أن يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها ﴿ **وإذا رأى الذين ظلموا العذاب** ﴾ معناه إذا رأى الذين أشركوا بالله تعالى النار ﴿ **فلا يخفف عنهم** ﴾ العذاب ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي لا يمهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فإن وقت التوبة والندم قد فات .

[ **النظم** ] وجه اتصال قوله ﴿ **فإن تولوا** ﴾ بما قبله أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يذكرهم بهذه النعم ويحتج عليهم بهذه الحجج فإن أسلموا فذاك وإن أعرضوا فلا شيء على الرسول فإنما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ﴿ **ويوم نبعث من كل أمة شهيداً** ﴾ أنها تتصل بقوله ﴿ **فإنما عليك البلاغ** ﴾ لأن المعنى أن نجازيهم على أعمالهم يوم نبعث من كل أمة شهيداً وقال أبو مسلم أنه عطف على قوله ﴿ **والله خلقكم ثم يتوفاكم** ﴾ يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل أمة شهيداً .

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ

(١) الماذي : العسل الأبيض . والمشار من أشرت العسل إذا جنيته .

يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

[ اللغة ] تقول ألقيت الشيء إذا طرحته والملقي الشيء الملقى وألقيت إليه مقالة أي قلتها له وتلقاها إذا قبلها والسلم الإستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد. الأزهري قال العرب تقول بينت الشيء تبييناً وتبياناً.

[ المعنى ] ثم أبان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾ يعني الأصنام والشياطين الذين أشركوهم مع الله في العبادة وقيل سمّاهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيباً من الزرع والأنعام فهم إذا شركاؤهم على زعمهم ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾ أي يقولون هؤلاء شركاؤنا التي أشركناها معك في الإلهية والعبادة وأضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا ﴿ فألقوا إليهم القول أنكم لكاذبون ﴾ معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء انكم لكاذبون في أنا أمرناكم بعبادتنا ولكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم وقيل أنكم لكاذبون في قولكم انا آلهة وإلقاء المعنى إلى النفس إظهاره لها حتى تدركه متميزاً عن غيره ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾ معناه واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه أن المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسراً لا اختياراً واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى ﴿ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنونه من الأماني الكاذبة من أن

آلهتهم تشفع لهم وتنفع ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي أعرضوا عن دين الله وقيل صدُّوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل صدُّ المسلمين عن البيت الحرام عن أبي مسلم ﴿ **زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ أي عذّبناهم على صدِّهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأفاعي والعقارب في النار لها أنياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل هي أنهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات كأمثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدلم عن سعيد بن جبير ﴿ **ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم** ﴾ أي من أمثالهم من البشر ويجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيّهم الذي أرسل إليهم ويجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على أن كل عصر لا يجوز أن يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي وأكثر أهل العدل وهذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا وإن خالفوهم في أن ذلك العدل والحجة منه هو ﴿ **وجئنا بك** ﴾ يا محمد ﴿ **شهيداً على هؤلاء** ﴾ يريد على قومك وأمتك وإنما أفرده بالذكر تشريفاً له وتمّ الكلام هاهنا ثم قال سبحانه ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب** ﴾ يعني القرآن ﴿ **تبياناً لكل شيء** ﴾ أي بياناً لكل أمر مشكل ومعناه ليبين كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب أما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن ﴿ **وهدى ورحمة** ﴾ أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والأحكام ولأنه يؤدّي إلى نعم الآخرة ﴿ **وبشرى للمسلمين** ﴾ أي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ وهو الانصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج ﴿ **والإحسان** ﴾ إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان جامع لكل خير والأغلب عليه استعماله في التبرع بإيتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والإحسان أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل العدل أن ينصف وينتصف والإحسان أن ينصف ولا ينتصف ﴿ **وإيتاء ذي القربى** ﴾ أي ويأمركم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذي القربى قرابة النبي ﷺ الذين أرادهم الله بقوله فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى على ما مر تفسيره وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال نحن هم ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** ﴾ إنما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مع أن الكل منكر فاحش ليبين بذلك

تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغي ما يتطاول به من الظلم لغيره وقيل أن الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغي الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل أن العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تكون السريرة أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر أن تكون العلانية أحسن من السريرة عن سفيان بن عيينة ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا وتتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الأخلاق(١) وجاءت الرواية أن عثمان بن مظعون قال كنت أسلمت استحياء من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض عليَّ الإسلام ولما يقرّ الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً فلما سري عنه سألته عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآية أن الله يأمر بالعدل والإحسان وقرأها عليَّ إلى آخرها فقرَّ الإسلام في قلبي وأتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمداً ﷺ ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق وأتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال إن كان محمد قاله فنعم ما قال وإن قاله ربه فنعم ما قال قال فأنزل الله ﴿ أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ يعني قوله فنعم ما قال ومعنى قوله وأكدى أنه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال أن النبي ﷺ قرأ هذه الاية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخي أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو قول البشر .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ بما قبله أنه سبحانه لما بيَّن أن الأنبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بيَّن عقيبه أنه سبحانه قد كلَّف الجميع وأزاح عللهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وأنهم إذا عوقبوا فإنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ الآية بما قبله أنه سبحانه لما ذكر القرآن بيَّن عقيبه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل أنه يتصل بقوله ﴿ ويوم نبعث ﴾ كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود أنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلموا أنه سبحانه لا يظلم أحداً بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أممهم أنهم أتوا فيما لاقوه من العذاب من

(١) السفساف : الرديء من كل شيء .

قبل أنفسهم .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ
أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ
مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

[ اللغة ] التوكيد التشديد وأوكد عقدك أي شدّه وهي لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون أكدت تأكيداً والانكاث الانقاض واحدها نكث والنكث المصدر وهذا قول لا نكثة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد الفتل فهو انكاث حبلاً كان أو غزلاً والحبل منتكث أي منتقض ومنه سموا من تابع الإمام طائعاً ثم خرج عليه ناكثاً لأنه نقض ما وكد على نفسه بالأيمان والعهود كفعل الناكثة غزلها والدخل ما أدخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والخديعة وإنما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال أبو عبيدة كل أمر لم يكن صحيحاً فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول وأربى أفعل من الربا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا في المال وأربى فلان للزيادة التي تريدها على عزيمة في رأس ماله قال الشاعر :

وَأَسْمَرَ خَطِّيٍّ كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْبَى ذِراعاً عَلَى العَشْرِ[(١)]

[ الإعراب ] انكاثاً منصوب لأنه في معنى المصدر دخلاً بينكم منصوب لأنه مفعول له والمعنى تتخذون إيمانكم للدخل والغش وقوله ﴿ ان تكون أمة ﴾ على تقدير بأن تكون أمة وهي أربى موضع أربى رفع مبتدأ وخبر وكلاهما في محل النصب بأنه خبر كان وقال الفراء ان موضع أربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لأن الفصل الذي يسميه الكوفيون عماداً لا يدخل بين النكرة وخبره وقد أخطأ أيضاً بأن شبه ذلك بقوله ﴿ تجدوه عند الله هو خيراً ﴾ فإن الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا أمة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز أن تكون الجملة صفة لأمة ولا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث ويقع وأمة فاعله وتقديره كراهة أن تكون فهو مفعول له ولئلا يكون عند الكوفيين .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والعدوان عقّبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعلنه فإنه يصير واجباً عليه ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو أن ينقضها بمخالفة موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله ﴿ بعد توكيدها ﴾ أي بعد عقدها وإبرامها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن أبي مسلم ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ أي حسيباً فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلاً بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف وقيل أنه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به أن الكفيل بالشيء يكون حفيظاً له والإنسان إنما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر ﴿ إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ من نقض العهد والوفاء به فإياكم أن تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الإسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول وأكدتموه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خالفوا قوماً فجاءهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم وأعز وأقوى فانقضوا ذلك العهد وخالفونا

---

(١) البيت منسوب إلى حاتم الطائي والطي : الرمح المنسوب إلى الخط وهو موضع باليمامة والقسم : نوع من التمر اليابس ونواه أصلب النوى وفي بعض الكتب « أرمى » بالميم وأرمى وأربى لغتان . يصف الشاعر رمحاً وشبه كعوبه بنوى القسب .

**﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ﴾** أي لا تكونوا كالامرأة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وفتل للغزل وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكّة عن الكلبي وقيل أنه مثل ضربه الله تعالى شبّه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك **﴿ انكاثاً ﴾** جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية **﴿ تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴾** أي دخلاً وخيانة ومكراً وذلك أنهم كانوا يحلفون في عهودهم ويضمرون الخيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكراً وخيانة **﴿ ان تكون أمة هي أربى من أمة ﴾** أي لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم وأمة أعلى من أمة ولأجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذيها دغلاً وغدراً وخديعة لمداراتكم قوماً هم أكثر عدداً ممن حلفتم له ولقلتكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه **﴿ إنما يبلوكم الله به ﴾** أي إنما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في به عائدة على الأمر وتحقيقه أنه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل **﴿ وليبينن ﴾** أي وليفصلن **﴿ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه ﴾** أي في صحته **﴿ تختلفون ﴾** وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل **﴿ ولو شاء لجعلكم أمة واحدة ﴾** أي لجعلكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى **﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾** بالخذلان أو بالحكم عليه بالضلال **﴿ ويهدي من يشاء ﴾** بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة **﴿ ولتسئلن ما كنتم تعملون ﴾** من الطاعات والمعاصي فستجازون على كل منهما بقدرة **﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾** نهى سبحانه عن الحلف على أمر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضمر الخلف والحنث فيه **﴿ فتزل قدم بعد ثبوتها ﴾** هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في أمر كذا إذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاء الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على نصرة الإسلام وأهله فنهوا عن نقض ذلك **﴿ وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﴾** أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله **﴿ولكم﴾** مع ذلك **﴿عذاب عظيم﴾** يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي « ره » أنه قال تهلك هذه الأمة بنقض مواثيقها وروي عن أبي عبد الله ( ع ) أنه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي ( ع ) وما كان من قول رسول الله ﷺ سلِّموا على

عليّ بإمرة المؤمنين .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ الآية بما قبله أنه أخبر في الآية المتقدمة أنه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك أنه يقدر على ذلك أيضاً في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم .

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروى عياش عن أبي عمرو بالنون أيضاً .

[ الحجة ] حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء .

[ اللغة ] النفاد الفناء ونفد الشيء ينفد نفاداً إذا فني وأنفد القوم إذا فني زادهم ونافدت الرجل مثل حاكمته ومعناه يرجع إلى أن كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجة الآخر ومنه الحديث أن نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى أن قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضدّه الفاني وهو المعدوم

بعد الوجود واختلف المتكلمون في الباقي فقال البلخي أنه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الأكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستعاذة طلب المعاذ استفعال من العوذ والعياذ والله سبحانه معاذ من عاذ به وقال النبي ﷺ للمرأة التي قالت له أعوذ بالله منك لقد عذت بمعاذ فالحقي بأهلك وأصل السلطان من التسلط وهو القهر وإنما سميت الحجة سلطاناً لأن الخصم به يقهر وقيل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطاناً لاضاءتها وفي الحديث عن ابن عباس أرأيت علياً وكأن عينيه سراجاً سليط .

[ الإعراب ] ما عند الله اسم أن وهو فصل وخير وخبره وما عندكم مبتدأ وينفد خبره وكذلك ما عند الله باق وإنما قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد والجمع فردّ الضمير على المعنى .

[ النزول ] قال ابن عباس ان رجلاً من حضرموت يقال له عبدان الأشرع قال يا رسول الله إن امرأ القيس الكندي جاورني في أرضي فاقتطع من أرضي فذهب بها مني والقوم يعلمون أني لصادق ولكنه أكرم عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره أن يحلف فقال عبدان أنه فاجر لا يبالي أن يحلف فقال إن لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ﴾ الآيتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس أما ما عندي فينفذ وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما أكلت من ثمرها فنزل فيه ﴿ ومن عمل صالحاً ﴾ الآية .

[ المعنى ] لمّا تقدَّم النهي عن نقض العهد أكد سبحانه فقال ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ﴾ أي لا تخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير ﴿ إن ما عند الله هو خير لكم ﴾ معناه إن الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم وأشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضها فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يفنى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي يفنى ﴿ إن كنتم تعملون ﴾ الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل الفاني والكثير الباقي ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ بيَّن سبحانه بهذا أن العلة التي لأجلها كان الثواب خيراً من متاع الدنيا هو أن الثواب الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم أخبر سبحانه أنه يجزي الصابرين فقال ﴿ ولنجزين الذين صبروا ﴾ أي لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهود ﴿ أجرهم ﴾ وثوابهم ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أي

بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن أفعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحاً لا يقع الجزاء عليه ولا يُستحق عليه أجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه بأحسن فإن الطاعة أحسن من المباح وهذا يدل على فساد قول من يقول أنه لا يكون حسن أحسن من حسن ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** ﴾ هذا وعد من الله سبحانه أي من عمل عملاً صالحاً سواء كان ذكراً أو أنثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرٌ بصدق أنبيائه ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) أن الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء ( وثانيها ) أنها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ ( وثالثها ) أنها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة وقال ابن زيد ألا ترى إلى قوله يا ليتني قدمت لحياتي ( ورابعها ) أنها رزق يوم بيوم ( وخامسها ) أنها حياة طيبة في القبر ﴿ **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ مرَّ تفسيره وإنما كرَّره تأكيداً ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ معناه إذا أردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود الملعون وهذا كما يقال إذا أكلت فاغسل يديك وإذا صليت فكبّر ومنه إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الأدنى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدَّم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في أول الفاتحة ﴿ **انه** ﴾ يعني الشيطان ﴿ **ليس له سلطان** ﴾ أي تسلط وقدرة ﴿ **على الذين آمنوا** ﴾ بالله ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ والمعنى أنه لا يقدر على أن يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي عن قتادة ﴿ **إنما سلطانه على الذين يتولونه** ﴾ معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه ﴿ **والذين هم به** ﴾ أي بسبب طاعته ﴿ **مشركون** ﴾ بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون أي يشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد .

[ النظم ] اتصل قوله ﴿ **فإذا قرأت القرآن** ﴾ الآيات بما قدَّمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقَّب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الآمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خصَّ بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله ﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته .

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً
مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ يَلْحَدون بفتح الياء والحاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون يُلحِدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون إليه بالألف واللام .

[ **الحجة** ] حجة من قرأ يُلْحِدون قوله ومن يرد فيه بإلحاد ومن قرأ يَلْحَدون فلأن لحد لغة في ألْحَد وذلك إذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم أرجح من حيث لغة التنزيل .

[ **اللغة** ] التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وأبدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر :

لِسانَ السُّوءِ تَهْدِيها إلَيْنا وَحِنْتَ وَما حَسِبْتُكَ أنْ تَحِينا[١]

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه مخبراً عن أحوال الكفار ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية** ﴾ معناه .

(١) أي ضللت وما ظننتك أن تضلّ .

وإذا نسخنا آية وآتينا مكانها آية أخرى إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿ **والله أعلم بما ينزل** ﴾ معناه والله أعلم بمصالح ما ينزل فينزل كل وقت ما توجبه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الأوقات كما تختلف باختلاف الأجناس والصفات ﴿ **قالوا إنما أنت مفتر** ﴾ أي قال المشركون إنما أنت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً يأمرهم بأمر وانه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي لا يعلمون أنه من عند الله أو لا يعلمون جواز النسخ ولأي سبب ورد النسخ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **نزله روح القدس** ﴾ أي أنزل الناسخ جبرائيل ( ع ) ﴿ **من ربك بالحق** ﴾ أي بالأمر الحق الصحيح الثابت ﴿ **ليثبت الذين آمنوا** ﴾ بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقاً ويقيناً ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بألطافه ومعونته إلى الثبات على الإيمان والطاعة ﴿ **وهدى** ﴾ أي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف ﴿ **وبشرى للمسلمين** ﴾ أي بشارة لهم بالجنة والثواب ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر** ﴾ يقول سبحانه أنا نعلم أن الكفار يقولون ان القرآن ليس من عند الله وإنما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قريش إنما يعلمه بلعام وكان قينا بمكة رومياً نصرانياً وقال الضحاك أراد به سلمان الفارسي ( ره ) قالوا أنه يتعلم القصص منه وقال مجاهد وقتادة أرادوا به عبداً لبني الحضرمي رومياً يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب أسلم وحسن أسلامه وقال عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار واسم الآخر خير كانا صيقلين يقرآن كتاباً لهما بلسانهم وكان رسول الله ﷺ ربما مرّ بهما واستمع لقراءتهما فقالوا إنما يتعلم منهما ثم ألزمهم الله تعالى الحجة وأكذبهم بأن قال ﴿ **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي** ﴾ أي لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية ولم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً ألا ترى أن سيبويه كان عجمياً وإن كان لسانه لسان اللغة العربية وقيل يلحدون إليه يرمون إليه ويزعمون أنه يعلمك أي لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان ﴿ **وهذا** ﴾ القرآن ﴿ **لسان عربي مبين** ﴾ أي ظاهر بيّن لا يشكك يعني إذا كانت العرب تعجز عن الاتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي أي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله** ﴾ أي بحجج الله التي أظهرها والمعجزات التي صدق بها قومك يا محمد ﴿ **لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم** ﴾ أي لا يثبتهم الله على الإيمان أو لا

يهديهم إلى طريق الجنة بدلالة أنه إنما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر أنه أراد بذلك الهدى الذي يكون ثواباً على الإيمان لا الهداية التي في قوله ﴿ **فأما ثمود فهديناهم** ﴾ ثم بيَّن سبحانه أن هؤلاء هم المفترون فقال ﴿ **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** ﴾ أي إنما يخترع الكذب الذين لا يصدّقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب ﴿ **وأولئك هم الكاذبون** ﴾ لا أنت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى أن الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وأنت كاذب فيكون قولك أنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث أخبر سبحانه أنه إنما يفتري الكذب مَن لا يؤمن وقد روي مرفوعاً أنه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية .

[ النظم ] قيل في اتصال قوله ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية** ﴾ بما تقدَّم وجهان (أحدهما) أنه من تمام صفة أولياء الشيطان المذكورين في قوله﴿**على الذين يتولونه**﴾وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى ﴿ **إنما أنت مفتر** ﴾ ( والآخر ) أن الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والأول أوجه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ
بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ

إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فُتِنوا بضم الفاء وكسر التاء .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قرأ فُتِنوا أن الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فَتنوا وحُملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من أعطى التقية وعمار منهم فإنه ممن أظهر ذلك تقية ثم هاجر ومن قرأ فَتَنوا فيكون على معنى فتن نفسه بإظهار ما أظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من إظهار ما أخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **إلا المستضعفين** ﴾ وقوله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

[ **الإعراب** ] قال الزجاج قوله ﴿ **من كفر بالله** ﴾ في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو تفسير للكاذبين ولا يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ ليس بكلام تام وقوله ﴿ **فعليهم غضب من الله** ﴾ خبر قوله ﴿ **من شرح بالكفر صدراً** ﴾ وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كقوله من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف وقوله ﴿ **انهم في الآخرة هم الخاسرون** ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع على أن يكون قوله لا من لا جرم رداً للكلام والمعنى وجب أنهم ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون المعنى جرم فعلهم هذا أنهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز أن يكون معناه لا بد أنهم فيكون على حذف الجار أي لا بدّ من ذلك ثم أن ربك خبر أن قوله ﴿ **غفور رحيم** ﴾ وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان فيه مكرراً وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ﴿ **ان ربك للذين عملوا السوء** ﴾ الآية .

[ **النزول** ] قيل نزل قوله ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر أبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وأمه وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا أن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما وراءك فقال شرٌّ يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخيرٍ فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت

فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنوهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل أن ياسراً وسمية أبوي عمار أول شهيدين في الإسلام وقوله ﴿ من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدراً ﴾ وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي وأما قوله ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا ﴾ الآية فقيل انها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة وأبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم أنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم .

[ المعنى ] ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ اختلف في تقديره فقيل ان تقديره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الإسلام وشرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴿ إلا من أكره ﴾ فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقية مكرهاً ﴿ وقلبه مطمئن ﴾ أي ساكن ﴿ بالإيمان ﴾ ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل أنه يتصل بما تقدّم فمعناه إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من أكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به ﴿ فعليهم غضب من الله ﴾ وله العذاب في الآخرة ثم أشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال ﴿ ذلك بأنه استحبوا ﴾ أي آثروا ﴿ الحياة الدنيا ﴾ والتلذذ فيها والركون إليها ﴿ على الآخرة ﴾ عنى بذلك أنهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلباً لها دون طلب الآخرة ﴿ وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ قد سبق معناه ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ قد سبق معنى الطبع القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ وصفهم بعموم الغفلة مع أن الخواطر تزعجهم لجهلهم عما يؤدّي إليه حالهم في الآخرة وقيل أراد أنهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجينا لهم وذماً ثم قال ﴿ لا جرم أنه في الآخرة هم الخاسرون ﴾ هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني أنهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا في النار ﴿ ثم أن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ﴾ أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعد ما أرادوا ليسلموا من شرّهم ﴿ ثم جاهدوا ﴾ مع النبي ﷺ ﴿ وصبروا ﴾ على الدين والجهاد ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الفعلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر ﴿ لغفور رحيم ﴾ .

[ النظم ] واتصلت هذه الآية الأخيرة بقوله ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾

فبيّن سبحانه حالهم بعدما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن أبي مسلم وقيل أنه لما تقدّم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من ربحت صفقته وهو من هاجر وجاهد .

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾

[ القراءة ] قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرج وابن يعمر وابن إسحاق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما تصف ألسنتكم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكُذُب .

[ الحجة ] من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس أولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف وأما الكُذُب فهو وصف الألسنة وهو جمع كاذب أو كذوب .

[ اللغة ] الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة وأشد وقيل أن واحدها نعم فهو كغصن

وأغصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وأبؤس وقوله ﴿ أذاقها الله ﴾ استعارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه أي اختبره قال الشماخ :

فَـذاقَ فَـأَعْـطَتْـهُ مِنَ اللّيـنِ جَـانِبـاً كَفىٰ وَلَهـا أَنْ يُغْـرِقَ السَّهْمَ حَـاجِـزُ(١)

يصف قوساً وقال الآخر:

وإنّ الله ذاقَ حُـلُومَ قَـيْسٍ فَـلَمّـا رآهُ خِـفّـتَـهـا قَـلاهـا(٢)

[ الإعراب ] يوم تأتي منصوب على أحد شيئين أما على معنى أن ربك لغفور رحيم يوم تأتي وأما أن يكون على معنى العظة والتذكير أي اذكر يوم تأتي عن الزجاج .

[ المعنى ] ﴿ يوم تأتي كل نفس ﴾ أراد به يوم القيامة ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ويحتمل أن يكون المراد أنها تحتج عن نفسها بما تقدر به إزالة العقاب عنها ﴿ وتوفى كل نفس ما عملت ﴾ أي جزاء ما عملت من خير وشر ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ في ذلك ﴿ وضرب الله مثلاً قرية ﴾ أي مثل قرية ﴿ كانت آمنة ﴾ أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ﴿ مطمئنة ﴾ قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق ﴿ يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ أي يحمل إليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴿ فكفرت بأنعم الله ﴾ أي فكفر أهل تلك القرية بأنعم الله ولم يؤدوا شكرها ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعالهم وسمى أثر الجوع والخوف لباساً لأن أثر الجوع والهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس والبدن وقيل أن هذه القرية هي مكة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ وأصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل أنها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله إليهم نبياً

(١) أغرق السهم : بالغ في نزعه وقوله « حاجز » . أي لها حاجز يمنع من اغراق أي فيها لين وشدة وفي المنقول عن الاساس « لها ولها أن يغرق اه » . وفي اللسان « أن يغرق النبل » .

(٢) راه لغة في رأى .

فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذَّبهم الله بعذاب الاستئصال ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولاً من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم ﴿ فكذبوه ﴾ وجحدوا نبوته ﴿ فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ أي في حال كونهم ظالمين وعذابهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال أن المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا ﴾ صيغته صيغة الأمر والمراد به الإباحة أي كلوا مما أعطاكم الله من الغنائم وأحلها لكم ﴿ واشكروا نعمة الله ﴾ فيما خلقه لكم وأحله لكم ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة[1] .

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

[ الإعراب ] متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الأمر الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله ﴿ لا يفلحون ﴾ .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر ما أحلّه الله سبحانه لهم وحرّمه عليهم عقّبه سبحانه بالنهي عن مخالفة أوامره ونواهيه في التحليل والتحريم فقال ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ وتقديره لوصف ألسنتكم الكذب ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ أي لا تقولوا لما

(١) راجع الجزء الأول من هذه الطبعة .

حللتموه بأنفسكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتموه مثل السائبة هذا حرام ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ أي لتكذبوا على الله في إضافة التحريم إليه ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ أي لا ينجون من عذاب الله ولا ينالون خيراً ﴿ متاع قليل ﴾ معناه الذين هم فيه من الدنيا بشيء قليل ينتفعون به أياما قلائل ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بتحريم ذلك عليهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجحود بأنبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال ﴿ ثم ان ربك ﴾ الذي خلقك يا محمد ﴿ للذين عملوا السوء ﴾ أي المعصية ﴿ بجهالة ﴾ أي بداعي الجهل فإنه يدعو إلى القبيح كما أن داعي العلم يدعو إلى الحسن وقيل بجهالة السيئات أو بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة أنها سوء وقيل الجهالة هو أن يعجل بالاقدام عليها ويعد نفسه التوبة عنها ﴿ ثم تابوا ﴾ عن تلك المعصية ﴿ من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ نياتهم وأفعالهم ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي من بعد التوبة أو الجهالة أو المعصية ﴿ لغفور رحيم ﴾ وأعاد قوله ان ربك للتأكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها إلى الفعلة .

[ النظم ] إنما إتصل قوله ﴿وعلى الذين هادوا﴾ ﴿حرمنا ما قصصنا عليك﴾بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين أن ما كانوا يحرّمونه ويحلّلونه بزعمهم ليس في التوراة كما أنه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين أنه إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك .

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

[ المعنى ] ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ إختلف في معناه فقيل قدوة ومعلماً للخير قال ابن الأعرابي يقال للرجل العالم أمة وهو قول أكثر المفسرين وقيل أراد إمام هدى عن قتادة وقيل سمّاه أمة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل أمته وقيل لأنه إنفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والناس كفاراً عن مجاهد ﴿ قانتا لله ﴾ أي مطيعاً له دائماً على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصلياً عن الحسن ﴿ حنيفاً ﴾ أي مستقيماً على الطاعة وطريق الحق وهو الإسلام ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ بل كان موحداً ﴿ شاكراً لأنعمه ﴾ أي لأنعم الله معترفاً بها ﴿ اجتباه ﴾ الله أي إختاره الله واصطفاه ﴿ وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ أي دلّه إلى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد ﴿ وآتيناه ﴾ أي أعطيناه ﴿ في الدنيا حسنة ﴾ أي نعمة سابغة في نفسه وفي أولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي أنه ليس من أهل دين إلا وهو يرضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومسارعته إلى مرضاته حتى صار إماماً يقتدى به ويهتدى بهداه وقيل هي إجابة الله دعوته حتى أكرم بالنبوة ذريته ﴿ وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ ولم يقل لفي أعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عزّ اسمه بيَّن أنه ( ع ) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته تشريفاً لهم وتنويهاً بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لإبراهيم ( ع ) أن يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء إليها بأنه فيها ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ يا محمد ﴿ إن اتبع ملة إبراهيم ﴾ أي أمرناك بإتباع ملة إبراهيم ﴿ حنيفاً ﴾ أي مستقيم الطريقة في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الأنداد له وفي العمل بسنته ﴿ وما كان ﴾ إبراهيم ﴿ من المشركين ﴾ ومتى قيل أن نبينا كان أفضل منه فكيف أمر الفاضل بإتباع المفضول فجوابه أن إبراهيم ( ع ) سبق إلى إتباع الحق ولا يكون في سبق المفضول إلى متابعة الحق زراية على الفاضل في إتباعه ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ﴾ معناه إنما جعل السبت لعنة ومسخاً على الذين اختلفوا فيه وحرموه ثم استحلّوه فلعنهم الله ومسخهم عن الحسن ويجوز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد

وقيل معناه إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في أمر الجمعة وهم اليهود وكانوا قد أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أمروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل إن الذين إختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد أعظم لأنه ابتدأ بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم ﴿ **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ من أمور دينهم ويفصل بين المحق والمبطل منهم .

[ **النظم** ] وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها أنه لما أمر سبحانه بإتباع الحق حذر من الإختلاف فيه بما ذكر من أحوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم أمره وقيل أنه سبحانه ردّ على اليهود والنصارى دعوتهم أن إبراهيم كان منهم ثم ردّ عليهم في هذه الآية ما أوجبوه من تعظيم أمر السبت وأنه لا يجوز نسخه كما ردّ عليهم ذلك عن أبي مسلم .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وحده في ضِيق بكسر الضاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الضاد .

[ **الحجة** ] قال الزجاج من فتح أراد ضَيِّق فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز أن يكون

بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال أبو الحسن الضَيق والضِيق لغتان في المصدر قال أبو علي ينبغي أن يحمل على أنه مصدر لأنك إذا حملته على أنه مخفف من ضيّق فقد أقمت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن في أمر ضيق قال أبو عبيدة الضِيق بالكسر في المعاش والمسكن والضَيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر .

[ المعنى ] ثم أمر سبحانه نبيَّه بالدعاء إلى الحق فقال ﴿ إدع إلى سبيل ربك ﴾ أي أدع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته ﴿ بالحكمة ﴾ أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار وقيل أن الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل أنَّ الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي أحسن والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس على قدر عقولهم ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله﴾ أي عن دينه ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي القابلين للهدى وهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ معناه وإن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافأة فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ولا تزيدوا عليه وقالوا إن المشركين لما مثلوا بقتلى أحد وبحمزة بن عبدالمطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن أمكننا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطا بن يسار وقيل إن الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وإبراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ ﴿ ولئن صبرتم ﴾ أي تركتم المكافأة والقصاص وجرعتم

مرارته ﴿ **لهو خير للصابرين** ﴾ معناه الصبر خير وأنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب ﴿ **واصبر** ﴾ يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه إصبر على ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه ﴿ **وما صبرك إلا بالله** ﴾ أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله وأقداره وتيسيره وترغيبه فيه ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي ولا تحزن على المشركين في أعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في أعراضهم فقد بلغت ما أمرت به وقضيت ما عليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه وكرامته ﴿ **ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾ أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكرهم بك وبأصحابك فإن الله سبحانه يردّ كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾ الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة ﴿ **و** ﴾ مع ﴿ **الذين هم محسنون** ﴾ قال الحسن اتقوا ما حرَّم عليهم وأحسنوا فيما فرض عليهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# (١٧) سورة الإسراء مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ﴿ ولا تقتلوا النفس ﴾ الآية ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ الآية ﴿ اولئك الذين يدعون ﴾ الآية ﴿ أقم الصلاة ﴾ الآية ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثماني آيات ﴿وإن كادوا ليفتنونك ﴾ إلى قوله ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس .

[ عدد آيها ] مائة وإحدى عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقين .

[ اختلافها ] آية للأذقان سجداً كوفي .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة بني إسرائيل فرّق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي في الجنة قنطارين من الأجر والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والأوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن بن أبي العلاء عن الصادق (ع ) أنه قال من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ويكون من أصحابه .

[ تفسيرها ] ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وافتتح سورة بني إسرائيل أيضاً بذكره وبيان إسرائه إلى المسجد الأقصى فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

﴿ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③ ﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وحده ألا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء .

[ **الحجة** ] من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فللإنصراف من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين** ﴾ ثم قال ﴿ **إياك نعبد** ﴾ والضمير في ألا تتخذوا وإن كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى .

[ **الإعراب** ] سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح الله تسبيحاً قال أبو علي من زعم أن ألا تتخذوا على إضمار القول فكأنه يراد قال أن لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً وذلك لأن القول لا يخلو من أن يكون بعده جملة تحكى أو معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو أن يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقاً أن يقول الثلج حار فتقول قلت باطلاً فهذا معنى ما قاله وليس نفس المقول وقوله ﴿ **أن لا تتخذوا** ﴾ خارج من هذين الوجهين ألا ترى أن لا تتخذوا ليس هو القول كما أن قولك حقاً إذا سمعت كلمة الإخلاص بمعنى القول وليس قوله أن لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز أن تكون أن بمعنى أي التي للتفسير وانصرف الكلام في الغيبة إلى الخطاب كما إنصرف منها إلى الخطاب في قوله ﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشوا في الأمر** ﴾ فكذلك إنصرف في الغيبة إلى الخطاب في النهي في أن لا تتخذوا وكذلك قوله ﴿ **إن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز أن يضمر القول ويحمل يتخذوا على القول المضمر إذا جعلت أن زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني إسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذاً في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه ( أحدها ) أن تكون أن الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة أن يتخذوا من دوني وكيلاً أو لأن لا يتخذوا ( والآخر ) أن يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير أي لا تتخذوا ( والثالث ) أن تكون أن زائدة ويضمر القول فأما قوله ﴿ **ذرية من حملنا** ﴾ فإنه يجوز أن يكون مفعول الإتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين وأفرد الوكيل وهو في معنى

الجمع لأن فعيلاً يكون مفرداً للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ فإذا حمل على هذا كان مفعولاً ثانياً في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز أن يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في أن لا تتخذوا كان جائزاً ويكون التقدير ألا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ولو جعلته مجرداً بدلاً من قولك بني إسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح .

[ النزول ] قيل نزلت الآية في أسرائه وكان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فأما الموضع الذي أسري إليه أين كان فإن الإسراء إلى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون فيه ولا برهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ورواه كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وأنس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وأم هاني وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد بعضهم ونقص بعض وتنقسم جملتها إلى أربعة أوجه ( أحدها ) ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته ( وثانيها ) ما ورد في ذلك مما تجوّزه العقول ولا تأباه الأصول فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه ( وثالثها ) ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نأوّله على ما يطابق الحق والدليل ( ورابعها ) ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله فأما الأول المقطوع به فهو أنه أسري به على الجملة وأما الثاني فمنه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك وأما الثالث فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذّبون فيها فيحمل على أنه رأى صفتهم أو أسماءهم ﴿ وأما ﴾ الرابع فنحو ما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كلّم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روي أنه شقَّ بطنه وغسله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان طاهراً مطهَّراً من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الإعتقاد بالماء فمن جملة الأخبار الواردة في قصة المعراج ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتاني جبرائيل ( ع ) وأنا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل وإسرافيل فأتى جبرائيل ( ع ) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خدّه كخدّ الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس

وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال إركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس وفي بعضها بشَّر لي إبراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم أخذ جبرائيل ( ع ) بيدي إلى الصخرة فأقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسناً وجمالاً فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلّمون عليَّ ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس ثم صعد به إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعد بي إلى السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة وفي حديث أبي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة إبراهيم ( ع ) قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين ووصف ذلك إلى أن قال ثم كلّمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكة فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذَّبني أبو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي أتزعم أنك سرت مسيرة شهرين في ساعة أشهد أنك كاذب قالوا ثم قالت قريش أخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بني فلان وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب[1] مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح قالوا هذه آية واحدة قال ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم وبيَّن لهم إجمالها وهيئاتها وقال تقدَّمها جمل أورق عليه قرارتان محيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بيِّناً وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله إن الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فبهتوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالإسناد عن أبي بكر عن أبي عبد الله ( ع ) قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء الدنيا لم يمر بأحد من الملائكة إلا استبشر قال ثم مرَّ بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ .

وهكذا جعله الله قال فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل اسأله أن يرينيها قال فقال جبرائيل ( ع ) يا مالك هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد شكـا إليَّ فقال ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هـذا فأخبـرته أن هكـذا جعله الله وقد سألني أن اسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من أطباقها قال فما رئي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ضاحكاً حتى قبض وعن أبي بصير قال سمعته يقول إن جبـرائيل احتمـل رسول الله حتى انتهى بـه إلى مكان من السمـاء ثم تركـه وقال لـه ما وطـأ نبي قط مكانك .

[ المعنى ] ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ سبحان كلمة تنزيه وإبراء لله عزَّ إسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجيب يعني سبحان الذي سيّر عبده محمداً ﷺ وهو عجيب من قـدرة الله تعالـى وتعجيب ممن لـم يقـدر الله حق قـدره وأشرك بـه غيره وسرى بالليل وأسرى بمعنى وقد عدِّي هنا بالبـاء والوجـه في التأويـل أنه إذا كـان مشاهـدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل سبح أي عجب ﴿ ليلاً ﴾ قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة ﴿ من المسجد الحرام ﴾ وقال أكثر المفسرين أسري برسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم من دار أم هـاني أخت علي بن أبي طـالب وزوجهـا هبيـرة بن أبي وهب المخزومي وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الإسراء من نفس المسجد الحرام ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ أي جعلنا البركـة فيما حـوله من الأشجـار والأثمار والنبـات والأمن والخصب حتى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله أي البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد إجتمع فيه بركات الدين والدنيا ﴿ لنريه من آياتنـا ﴾ أي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها أن أراه الأنبياء واحداً بعد واحد وإن عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي أخبر بها الناس ﴿ أنه هـو السميع ﴾ لأقوال من صدَّق بذلك أو كذَّب ﴿ البصير ﴾ بما فعل من الإسراء والمعراج ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبياناً وإرشاداً لبني إسرائيل يهتدون به ﴿ ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ أي أمرهم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون إليه في النوائب وقيل ربا يتوكلون عليه ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾

أي أولاد من حملنا مع نـوح في السفينة فـأنجيناه من الـطوفان وقـد ذكرنـا وجوه ذلـك في الإعراب وعلى هذا يدور المعنى ﴿ أنه كان عبداً شكوراً ﴾ معناه أن نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكر له وقال الحمد لله وقيل أنه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن أبي عبد الله (ع) وأبي جعفر (ع) أن نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال اللهم إني أشهدك إن ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكـر بها عليَّ حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره .

[ النظم ] وجه اتصال قوله ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ بمـا قبله ان المعنى فيه سبحـان الذي أسرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى مـوسى الآيات والمعجـزات الباهـرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس ببدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتينا موسى التوراة فلم أقروا به وأنكروا أمرك والطريق فيهما واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرتهم به من اسرائك .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ
أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ
فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

[ القراءة ] ليسوءَ بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا أن الكسائي يقرأ بالنون والباقون ليسؤوا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتُفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لتَفسُدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي (ع) عبيداً لنا وقراءة أبي السماك فحاسوا بالحاء وقراءة أبي بن كعب ليسؤاً بالتنوين .

[ الحجة ] من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز أن يكون احد شيئين إمّا اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين وإمّا البعث ودلَّ عليه بعثنا المتقدم كقوله ﴿لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾ أي البخل خيراً لهم ومن قرأ لنسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدَّم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز أن ينسب إليه وأما قوله ليسوؤا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسؤا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسوؤا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوؤنهم بقتلهم إياهمْ وأسرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على أن الوجوه مفعول به ليسوء وعدّي إلى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة ﴾ ضاحكة مستبشرة وقال النابغة :

أَقَـارِعُ عَـوْفٍ لا أُحَـاوِلُ غَـيْـرَهَـا وُجُـوهُ قُـرودٍ تَبْـتَـغي مَـنْ تُـجَـادِعُ[1]

وأما قراءة أبي ليسوءاً فالوجه فيه على قول ابن جني أن يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتني فلأعطِكَ كأنك تأمر نفسك ومعناه فلأعطينك واللامان بعده للأمر أيضاً وهما وليدخلوا المسجد وليتبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لإذا جواب فيما بعد واما من قرأ لتُفسدن ولتَفسُدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من أفسد فقد فسد وأما حاسوا فمعناه معنى جلسوا بعينه .

[ اللغة ] القضاء فصل الأمر على إحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقصاهن سبع سماوات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الإعلام والإخبار بما يكون من الأمر وهو المعني هاهنا وأصله الإحكام والعلو

(١) جادعه مجادعة : شاتمه وشاره كأن كل واحد منها جدع أنف صاحبه .

الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطاقه ويقال عـلا في المكارم يعلى عـلا فهو علي وعـلا في المكان يعلو علواً فهو عال والجوس التخلل في الديار يقـال تركت فـلاناً يجـوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسته وجسته قال حسان

وَمِنّـا الَّـذي لاقىٰ بِسَيْفِ مُحَـمَّـدٍ فَجاسَ بِهِ الأَعْـداء عـرْضَ الْعَسـاكِرِ(١)

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجعة والـدولة والنفيـر العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضئين والمعيز والكليب ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافـرته رهـطه الذين ينصرونه وينفـرون معه والتتبيـر الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد

وَقَمَـاقِمٌ غُلْبُ الرِّقَـابِ كَـأَنَّهُمْ جِنٌّ لَـدىٰ بَـابِ الحَـصِيـرِ قِيـامُ(٢)

والحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج .

[ المعنى ] لمّا تقدم أمره سبحانه لبني إسرائيل عقّب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أي أخبـرناهم وأعلمنـاهم ﴿في الكتاب﴾ أي في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ أي حقاً لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون في البـلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عبـاس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلّط الله عليهم سابور ذا الاكتـاف ملكاً من ملوك فـارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف أنفه عن محمد بن إسحاق قال وأتاهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود ( ع ) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل أنه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن أبي علي الجبـائي ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ أي ولتستكبـرن ولتظلمن النـاس

(١) العرض: الجيش الضخم .

(٢) القماقم من الرجال: السيد الكثير الخير، وغلب جمع أغلب: الغليظ الرقبة وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها .

ظلماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه **﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾** معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم في المرة الأولى **﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾** أي سلّطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلّينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله **﴿أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾** عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب هؤلاء وسلّطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن أبي مسلم **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم أحد لم يقتلوه عن الزجاج **﴿وكان وعداً مفعولاً﴾** أي موعوداً كائناً لا خلف فيه ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدولة وأظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه **﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾** أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة **﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾** أي أكثر عدداً وأنصاراً من أعدائكم **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾** معناه ان أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم فنفع احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل إليكم تنصرون على أعدائكم في الدنيا وتثابون في العقبى **﴿وإن أسأتم فلها﴾** معناه وان أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضرة الاساءة عائدة إليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾** كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الإساءة وأنت المختص بالإساءة متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعليها كقوله تعالى لهم اللعنة أي عليهم اللعنة وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب وإذا أمكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى أن لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني إسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز أن يكون خطاباً لأمة نبينا ﷺ فيكون اعتراضاً بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بيّن ان بني إسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلّط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع احسانه إليه ومن أساء عاد ضرره إليه ترغيباً وترهيباً **﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾** أي وعد المرة الأخرى من قوله **﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾** والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في

المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد والعدوان على العباد ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ أي غزاكم اعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسؤكم بالقتل والأسر يقال سئته اسوءة مساءة ومسائية وسوائية إذا أحزنته وقيل معناه ليسؤا كبراءكم ورؤساءكم وفي مساءة الأكابر واهانتهم مساءة الأصاغر ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس ونواحيه فكنّى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنّى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ دلَّ بهذا على أن في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ أي وليدمّروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز أن يكو ن ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم ﴿عسى ربكم﴾ يا بني إسرائيل ﴿أن يرحمكم﴾ بعد انتقامه منكم ان تبتم ورجعتم إلى طاعته ﴿وإن عدتم عدنا﴾ معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلّط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ أي سجنا ومحبساً عن ابن عباس .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[ القصة ] اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ان نورد من جملتها ما هو الأهم على سبيل الإيجاز قالوا لما عتا بنو إسرائيل في المرة الأولى سلّط الله عليهم ملك فارس وقيل بختنصر وقيل ملكاً من ملوك بابل فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا أب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة وألقى الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفاً وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفاً وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه وتعالى فردُّهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحاق كان بنو إسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشّر بعيسى ( ع ) وبمحمد ﷺ وكان

لبني إسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فمرض الملك وجاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستمائة ألف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمسة نفر منهم سنحاريب فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني إسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضاً فقام شعيا فيهم خطيباً ووعظهم بعظات بليغة وأمرهم ونهاهم فهمُّوا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما راي من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني إسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل أيضاً ان سبب ذلك كان قتل يحيى ابن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفاً أو اثنين وسبعين ألفاً ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى بن زكريا هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل إنما غزا بني إسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة ألف وثمانين الفاً وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفاً وقيل إنما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله أعلم .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ

شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

[ اللغة ] مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال أبو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كاتم وقال الكسائي العرب تقول أبصر النهار إذا أضاء وقيل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبثاء ومضعف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدعُ في المصحف وهي ثابتة في المعنى .

[ الإعراب ] إن لهم أجراً كبيراً فتح أنّ على تقدير حذف الباء أي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد وأعتدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاءً فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء .

[ المعنى ] ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ معناه إن هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق وللطريق وإلى الطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي أعدل الحالات وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم﴾ أي بأن لهم ﴿أجراً كبيراً﴾ أي ثواباً عظيماً على طاعاتهم ﴿و﴾ يبشّرهم أيضاً بـ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي بالنشأة الآخرة ﴿اعتدنا لهم﴾ أي هيأنا لهم ﴿عذاباً أليماً﴾ وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب أجراً لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه أوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلاً منه وكرماً ﴿ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ قيل في معناه أقوال ( أحدها ) ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والغضب على نفسه وأهله وماله بما لا يحب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة ( والآخر ) ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستعجاله المنفعة (وثالثها) ان معناه ويدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجراً لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروي عنه أيضاً إنه أراد به آدم ( ع ) لما انتهت النفخة الى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبّه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي دلالتين يدلّان على

وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في أجزاء احدهما بالنقصان من أجزاء الآخر ولأن كل واحد منهما ينقضي لمجيء الآخر وذلك يدل على حدوثهما اذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء وعلى ان لهما محدثاً قادراً عالماً وقد علمنا ضرورة ان أحداً من البشر لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على أنه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثله شيء ولا يتعذر عليه شيء وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر ﴿فمحونا آية الليل﴾ وهي القمر اي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس ﴿وجعلنا آية النهار﴾ يعني الشمس ﴿مبصرة﴾ أي نيرة مضيئة للأبصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل ممحوة والمراد جعلنا الليل مظلماً لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب وجعلنا اية النهار مبصرة أي جعلنا النهار مضيئاً يبصر فيه وتدرك الأشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل إلا أنه ذكر احدهما وحذف الآخر للدلالة المذكور على المحذوف ثم بيّن سبحانه الغرض في ذلك وقال ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنواع التصرف في النهار إلا أنه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخر ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت ولتعلموا حسنات أعماركم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ أي ميّزناه تمييزاً ظاهراً بيّناً لا يلتبس وبيّناه تبياناً شافياً لا يخفى .

[ النظم ] اتصلت الآية الأولى بقوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ والوجه فيه انه لما أمر بني إسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الإسلام بيّن ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو أحسن الأديان وقيل يتصل بقوله﴿وآتينا موسى الكتاب﴾أي كما آتيناه التوراة آتينا محمداً ﷺ القرآن الذي يهدي الى الأحسن الأقوم وقيل اتصل بقوله ﴿سبحان الذي أسرى﴾كأنه قال أسرى بعبده وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وإنما اتصل قوله يدعو الإنسان بالشر الآية مما تقدّم من بشارة الكفار بالعذاب فبيّن عقيبه انهم يستعجلون العذاب جهلاً وعناداً ثم بيّن أنه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بيّن بالآية الأخرى أنه أنعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه .

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى
عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرُج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ أبو جعفر وابن عامر تلقّيه بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون يلقاه بفتح الياء وسكون اللام .

[ الحجة ] من قرأ ويُخْرَجُ له فمعناه أنه يخرج له عمله أو يخرج له طائره يوم القيامة كتاباً ويكون كتاباً منصوباً على الحال ومن قرأ ويَخْرُجُ فتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتاباً حالاً أيضاً من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتاباً مفعولاً لنخرج ويجوز أن يكون منصوباً على التميز على معنى ونخرج طائره له كتاباً ويجوز أن يكون نصباً على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب أي مثبتاً في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشوراً يكون منصوباً على الحال من الهاء في يلقاه على القراءات جميعاً ومن قرأ يلقاه منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ يُلقّاه فيدل عليه قوله ويلقون فيها تحية وسلاماً .

[ اللغة ] الإنسان يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة مثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحجر وفي الهماليج برذون ورمكة وكل بعير يقع على المذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت جمل وناقة واشتقاق الإنسان من الإنس أو الأنس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأصله إنسيان حذفت الياء منه إستخفافاً واحتجوا على ذلك بقول العرب في تصغيره إنيسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيشة ومغيربان الشمس ولييلية وأشباه ذلك والطائر هاهنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسنح ويتبرك به والطائر الذي يبرح

فيتشاءم به والسانح الذي يجعل ميامنه إلى مياسرك والبارح الذي يجعل مياسره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سانحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وأنشد لكثير :

فَلَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلَسْتُ بِتَارِكٍ إذَا أعْرَضَ الأُدْمُ الجَوَارِي سُؤَالَهَا
أأدْرِكُ مِنْ أمِّ الحَكِيمِ غَبِيطَةً بِهَا خَبَّرَتْنِي الطَّيْرُ أمْ قَدْ أتَى لَهَا(١)

يخبر في البيت الأخير أن الذي زجره طائر وأنشد لزهير في ذلك :

فَلَمَّا أنْ تَفَرَّقَ آلُ لَيْلَى جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ظِبَاءُ
جَرَتْ سُنُحاً فَقُلْتُ لَهَا مَروعاً نَوىً مَشْمُولَةً فَمَتَى اللِّقَاءُ(٢)

وقال وقولهم سألت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوّي ما ذكره قول الكميت :

وَلاَ أنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ، هَمُّهُ: أصَاحَ غُرَابٌ أمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ(٣)

وأنشد لحسان بن ثابت :

ذَرِينِي وَعِلْمِي بِالأُمُورِ وَشِيمَتِي فَمَا طَائِرِي فِيهَا عَلَيْكَ بِأخْيَلاَ(٤)

أي ليس رأيي بمشؤوم وأنشد لكثير :

أقُولُ إذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مُخِيلَةً(٥) لَعَلَّكَ يَوْماً فَانْتَظِرْ أنْ تَنَالَهَا

وإنما قال طائره في عنقه ولم يقل في يده لينبّه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا وألزمته إياك ومنه قلّده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قال الأعشى :

---

(١) الأدم من الظباء : بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة وقوله « سوالها » مفعول « تارك » . والغبيطة : شبه هودج للنساء .

(٢) السانح : ما أتاك من يمينك من ظبي أو طائر ومقابله البارح والعرب يتبرك بالسانح ويتشأم بالبارح وقد يتشأم بالسانح كما في هذا البيت وفي اللسان « فقلت لها أجيزي » والنوى : الموضع الذي تنويه ومشمولة أي شاملة . وقيل : أخذ بها ذات الشمال .

(٣) يجب الوقوف على « الطير » ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .

(٤) أخيل : طائر أخضر يتشاءم العرب به .

(٥) مخيلة أي مكروهة من الأخيل .

قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يَا سَلامَةُ ذَا الْإِ فْضَالِ وَالشِّعْرُ حَيْثُ مَا جُعِلا

وقال الآخر :

إنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكِ فَقَالَتْ بَيْنَ أُذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبة وطوقت عنقي أمانة ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حرٌّ عتق لأنه يعبّر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شعرك حرٌّ لا يعتق لأنه لا يعبّر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعتق في الحالين .

[ **الإعراب** ] موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى وحسيباً نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المعنى كفى الإكتفاء بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على أصله وحسيباً نصب على الحال من كفى .

[ **المعنى** ] لمّا قدّم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفيته فقال ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه ﴿ **قالوا طائركم معكم** ﴾ وقوله ﴿ **إنما طائرهم عند الله** ﴾ وقيل طائره يمنه وشؤمه عن الحسن وهو ما يتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن أبي عبدة والقتيبي وخصَّ العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والغسل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتاباً** ﴾ وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم ﴿ **يلقاه** ﴾ أي يرى ذلك الكتاب ﴿ **منشوراً** ﴾ أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والهاء في له يجوز أن تكون عائدة إلى الإنسان ويجوز أن تكون عائدة إلى العمل ﴿ **إقرأ كتابك** ﴾ فهاهنا حذف أي ويقال له إقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله ( ع ) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿ **كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ أي محاسباً وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء

أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيأ له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك ﴿ **من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه** ﴾ أي من إهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فمنفعة إهتدائه راجعة إليه ﴿ **ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ أي ومن ضل عن الدين فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يعذّبون مع آبائهم في النار ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ معناه وما كنا معذبين قوماً بعذاب الاستئصال إلا بعد الأعذار إليهم والإنذار لهم بأبلغ الوجوه وهو إرسال الرسل إليهم مظاهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الأكثرون من المفسرين وهو الأصح أن المراد بالآية أنه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فإنه يجوز العقاب بتركه وإن لم يبعث الرسول عند من قال إن التكليف العقلي ينفك من التكليف السمعي على أن المحققين منهم يقولون أنه وإن جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فإنه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغة في الكرم والفضل والإحسان والطول فقد حصل من هذا أنه سبحانه لا يعاقب أحداً حتى ينفذ إليهم الرسل المنبّهين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على أنه لو لم يبعث رسولاً لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا أن يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يوجه إليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علته .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ

رَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ
عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا
مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا
وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ
وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾
ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ
وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا
مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[ **القراءة** ] القراءة العامة أمرنا بالتخفيف غير ممدود وقرأ يعقوب آمرنا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب ( ع ) والحسن وأبي العالية وقتادة وجماعة وقرأ أمّرنا بالتشديد للميم ابن عباس وأبو عثمان النهدي وأبو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر .

[ **الحجة** ] قال أبو عبيدة أمِرنا أكثرنا من قولهم أمِر بنو فلان أي كثروا وأنشد للبيد :

إنْ يَغْبِطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْماً يَصِيرُوا لِلْهُلْكِ وَالنَّفَدِ

قال أبو علي لا يخلو قوله أمرنا مخففة الهمزة من أن يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وأمرتهم مثل شَتِرَتْ عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسرته فمن لم ير أن يكون أمرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي أن يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن قرأ آمرنا فإنه يكون افعلنا من أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله وكذلك إن ضاعف العين فقال أمّرنا ويقوي حمل أمرنا على النقل من أمر وأن لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي أن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل

أمّرنا على أنه مثل أمرنا ونظير هـذا كثر وأكثـره الله وكثّره ولا يحمـل أمَرنـا على أن المعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة جماعة أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وإنما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة ومما جاء فيه أمر بمعنى الكثرة قول زهير:

وَالْإِثْمُ مِنْ شَـرِّ مَـا يُصَـالُ بِـهِ وَالْـبِرُّ كَـالْـغَـيْـثِ نَـبْـتُـهُ أَمِـرٌ

وأما أمِرْنا فقد روى ابن جني بإسناده عن أبي حاتم قال قال أبو زيد يقال أمر الله ماله وآمره ومن قال إن أمرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال في قوله ( خَيْر المال سِكَّةٌ مَأْبُورة ومُهْرَةٌ مأمورة )(١) إن معنى مأمورة مؤمرة فإنما قال هذه لمكان الإزدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام .

[ اللغة ] الترفه النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع منه والتدمير والإهلاك والدمار الهلاك ويقال ذممته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذؤوم ومذيم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طردته ويقال إصنع ذلك وخلاك ذم أي ولاذم عليك والدحر الإبعاد والمدحور المبعد والمطرود يقال اللهم إدحر عنا الشيطان أي إبعده .

[ الإعراب ] كم أهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلاً وجاد بثوبك ثوباً وطاب بطعامك طعاماً وأكرم به رجلاً ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر :

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَـائِبِ الْمَـرْءِ هَـدْيُـهُ كَفَى الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِر (٢)

فرفع لما أسقط الباء ويصليها في موضع نصب على الحال لمن نريد بـدل من قولـه ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء ﴾ وأعاد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقولـه ﴿ لمن آمن منهم ﴾ ومذموماً حال من الضمير المستكن في يصليها كلاً نمد نصب كلا بنمد وهؤلاء

(١) الحديث منسوب إلى النبي ﷺ وفي بعض الكتب « أو مهرة مأمورة » والسكة : الطريقة المصطفة النخل . والمأبورة : الملحقة وقيل : السكة سكة الحرث والمابورة : المصلحة له والمهر : ولد الفرس والأنثى المهرة أراد ﷺ خير المال : نتاج أو زرع .

(٢) قائله زيادة بن زيد العدوي . والهدى: الطريقة والسيرة .

بدل من قوله ﴿ كلا ﴾ أي نمد كل واحد من هؤلاء وهؤلاء .

[ المعنى ] ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾ لما لم يجز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه ( أحدها ) إن معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة وإتباع الرسل أمراً بعد أمر نكرّره عليهم وبينة بعد بينة نأتيهم بها إعذاراً للعصاة وإنذاراً لهم وتوكيداً للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تمادياً في العصيان والكفران ﴿ فحق عليها القول ﴾ أي فوجب حينئذ عليها الوعيد ﴿ فدمرناها تدميراً ﴾ أي أهلكناها إهلاكاً وإنما خصَّ المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمراً لإتباعهم وعلى هذا فيكون قوله ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ جواباً لإذا وإليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن معناه أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله أمرتك فعصيتني ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله ﴿ من اهتدى ﴾ فإنما يهتدي لنفسه إلى قوله ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ ( وثانيها ) إن قوله ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ من صفة القرية وتقديره وإذا أردنا أن نهلك قرية صفتها أنا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون لإذا جواب ظاهر في اللفظ للإستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه ﴿ حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ﴾ إلى قوله ﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ فلم يأت لإذا جواب في طول الكلام للإستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة ومما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي :

حَتَّى إذا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ ... شَلاًّ كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدا[1]

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة ( وثالثها ) إن الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا أردنا إهلاكهم ومما يمكن أن يكون شاهداً لهذا الوجه قوله ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ﴾ وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الإتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ والطهارة إنما تجب قبل

---

(١) البيت لعبد مناف بن ربع الهذلي . وقتائدة : موضع . والجمالة : أصحاب الجمال كالبغالة والحمارة وانتصاب « شلا » على المصدر يعني إذا سلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاحمت على الماء .

القيام إلى الصلاة ( ورابعها ) أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والإتساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة كما يقال إذا أراد العليل أنْ يموت خلط في مأكله ويسرع إلى ما تتوق نفسه إليه وإذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل وجه ومعلوم أن العليل والتاجر لم يريدا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه ولكلام العرب إشارات واستعارات ومجازات لأجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي إذا تأولت الآية على معنى القراءتين الأخيرتين من آمرنا بالمد وأمّرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على أحد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بيّن سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال ﴿ **وكم أهلكنا من القرون** ﴾ أي من الأمم الكثيرة المكذبة ﴿ **من بعد نوح** ﴾ أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثير كما أن رب تفيد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن أبي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القسم المازني وروي ذلك مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبي وقيل أربعون سنة ورواه ابن سيرين مرفوعاً ﴿ **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا** ﴾ أي كفى ربك عالماً بذنوب خلقه ﴿ **بصيراً** ﴾ بها يجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بيّن سبحانه أنه يدبّر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال ﴿ **من كان يريد العاجلة** ﴾ أي النعم العاجلة وهي الدنيا فعبَّر عنها بصفتها ﴿ **عجلنا له فيها ما نشاء** ﴾ من البسط والتقتير وعلّق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله فلا يعطيه لكونه مفسدة ﴿ **لمن نريد** ﴾ أي لمن نريد إعطاءه بيّن بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى وإن أعطي أعطي قليلاً ﴿ **ثم جعلنا له جهنم يصليها** ﴾ أي يصير بصلاها ويحترق بنارها ﴿ **مذموماً** ﴾ ملوماً ﴿ **مدحوراً** ﴾ مبعداً من رحمة الله وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي إفترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجّل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك أن الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه ﴿ **ومن أراد الآخرة** ﴾ أي ومن أراد خير الآخرة ونعيم الجنة ﴿ **وسعى لها سعيها وهو مؤمن** ﴾ أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مع ذلك مصدّق بتوحيد الله مقرّ بأنبيائه ﴿ **فأولئك كان سعيهم مشكوراً** ﴾ أي تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكره أنه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى أنا أحللنا سعيهم محل ما يشكر عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن أنه

قال إطلبوا الآخرة فما رأيت طالباً لها إلا نالها وربمانال الدنيا وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا أيضاً ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء** ﴾ أي كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا وممن يريد الآخرة نمدهم أي نزيدهم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى أنا نعطي المؤمن والكافر فالدنيا وأما الآخرة فللمتقين خاصـة ﴿ **من عطاء ربك** ﴾ أي نعمة ربك ورزقه ﴿ **وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾ معناه ومـا كان رزق ربـك محبوساً عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه « سؤال » فإن قيل هل يجوز أن يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهـد في سبيل الله يقاتل لأعزاز الدين ويجعـل الغنيمة تبعـاً ﴿ **أنظر** ﴾ يـا محمد ﴿ **كيف فضلنـا بعضهم على بعض** ﴾ بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم مـوالي وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحّاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾ أي درجاتهـا ومراتبهـا أعلى وأفضل وهي مستحقـة على قدر الأعمـال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر قد روي أن ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على أن الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تـزيد في درجات الآخرة ﴿ **لا تجعل مع الله إلهاً آخر** ﴾ قيـل أن الخطاب للنبي صلى الله عليـه وآله وسلم والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر في إعتقادك وإقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك ﴿ **فتقعد مذموماً مخـذولاً** ﴾ معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يمنـع الله نصرتـه عنك ويكلك إلى مـا أشركت بـه « وقيل » معنى القعـود الـذل والخـزي والخسران والعجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أي عجز عنه .

[ النظم ] وجه إتصال الآية الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله ﴿ **حتى يبعث رسولاً** ﴾ والمعنى أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل وتقديم الأمر والنهي وإتمـام النعمة في الإنـذار والإعذار وظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل إنها تتصل بما تقدم من قصة بني إسرائيل وما فعل بهم في الكرة الأولى والثانية فبيّن سبحانه أن ما فعله موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه فإنما يهلك القـرى إذا أمر متـرفيها بـالطاعـة ففسقوا فيكـون إهلاكهم بـالإستحقاق لا على الإبتداء .

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل
لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

[ القراءة ] يبلغان بالألف وكسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلغن أف بفتح الفاء هاهنا وفي الأنبياء والأحقاف مكي شامي ويعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة أبي السماك اف مضمومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال .

[ الحجة ] قال أبو علي قوله ﴿ إمّا يبلغن ﴾ يرتفع أحدهما به وقوله ﴿ كلاهما ﴾ معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله ﴿ أحدهما ﴾ يغني عن إثبات علامة الضمير في يبلغان فلا وجه لقول من قال إن الوجه إثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين عني به الفراء وإنما الوجه في ذلك أنه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال نحو قوله ﴿ أموات غير أحياء ﴾ فقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الألف مجردة لمعنى التثنية ولاحظ للإسمية فيها ويرتفع أحدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدهما أو كلاهما بدلاً من الألف في يبلغان قال أبو علي من قرأ أفَّ بالفتح فإنه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا إهالة وهو إسم لسرع ومثله وشكان قال :

لَـوشْكَـانَ(١) مَـا عَنَّيْتُـمْ وَشَمِتُّمْ بِـإِخْـوَانِكُمْ وَٱلْـعِـزُّ لَمْ يَتَجَمَّـعُ

وكذلك أف إسم لأتضجر واتكره ونحو ذلك من قرأ أفٌّ فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مهٍ وصهٍ ومثله قولهم « فداء لك » بنوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً كما كان افّ في الأصل مصدراً من قولهم أُفّةً وتُفّةً يراد بها نتنا ودفرا ومن قرأ أف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما أن من قال صه وغاق فلم ينون أراد به المعرفة فإن قلت ما موضع

(١) وفي اللسان « أوشكان » .

أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول أن موضعه موضع الجمل كما أنك لو قلت رويد لكان موضعه موضع الجمل قال الزجاج في أف سبع لغات أف بالضم منوناً وغير منون وأف بالكسر منوناً وغير منون وأفَّ وافاً وأوفي ممالة وزاد ابن الأنباري أف خفيفة[1] مفتوحة قال أبو الحسن وقول الذين قالوا أفٌّ أكثر وأجود ولو قلت أف لك وافاً لك لاحتمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون الذي صار إسماً للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير ( والآخر ) أن يكون نصباً معرباً وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول ويل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الدابة والثاني في الإنسان .

[ **الإعراب** ] قوله ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ العامل في الباء قضى والتقدير وقضى بالوالدين إحساناً ويجوز أن يكون على تقدير وأوصى بالوالدين إحساناً وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إذْ تَشْكُونَا ... وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إذْ يُوصِينَا

خيراً بها كأننا جافونا

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فاعمل يوصينا في الخير « كما ربَّياني » أي كرحمة تربيتهما يعني رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على أرحمهما على ما ربياني عن الأخفش وكذا قال في قوله كما أمرت أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فحذف ويجوز أن يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمر لأنهم الصالحون .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم النهي عن الشرك والمعاصي عقَّب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه **﴿وقضى ربك﴾** أي أمر ربك أمراً باتاً عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم وأوجبه ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد **﴿أن لا تعبدوا إلا إياه﴾** معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإن قيل ان الأمر لا يكون أمراً بأن لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والإرادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبَّر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا إياه **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** أي وقضى بالوالدين احساناً أو

---

(١) [ ساكنة وأف خفيفة ].

أوصى بالوالدين إحساناً ومعناهما واحد لأن الوصية أمر **﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾** يعني به الكبر في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغاً يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخصَّ حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التعهد والخدمة وهذا مثل قوله **﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً﴾** مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه أخبر أن عيسى يكلم الناس في المهد وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خصَّ ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر في الآية راجع إلى المخاطب أي إن بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما **﴿فلا تقل لهما أف﴾** وروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جدّه أبي عبد الله ( ع ) قال لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من اف لأتى به وفي رواية أخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً أيسر منه وأهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذيهما بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه أن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تتقذرهما وامط عنهما كما كانا يميطان عنك في حال الصغر والمتبزم يكثر قول اف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الاف والتف وسخ الاصابع إذا فتلته عن أبي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه النتن وجاء في المثل أبرُّ من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان أبواه يزقانه **﴿ولا تنهرهما﴾** أي لا تزجرهما بأغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمتنع من شيء أراده منك كما قال وأما السائل فلا تنهر **﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾** أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقبيح يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾** أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً براً بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضمّ فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضمّ أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بك وأنت صغير وإذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال أبو عبد الله ( ع ) معناه لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامهما **﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾** معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إياك في صباك وهذا إذا كانا

مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن للأمر به معنى وقيل ان الله تعالى أوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبر لأنهما أحوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما وكونهما كلاً على الولد ففي الحديث أن النبي ﷺ قال رغم انفه رغم انفه رغم أنفه قالوا من يا رسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وروى أبو أسيد الانصاري قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابويّ شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما قال قتادة هكذا علمتم وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وأدبه ﴿**ربكم أعلم**﴾ أي أكثر معلوماً وقيل أثبت علماً فإنه سبحانه أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك ﴿**بما في نفوسكم**﴾ أي بما تضمرون من البر والعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقاً غفر الله له ذلك وقيل معناه أنه أعلم بجميع ما في ضمائركم وهذا أوجه ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾ أي طائعين لله ﴿**فإنه كان للأوابين غفوراً**﴾ والأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون إلى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسبّحون عن ابن عباس في رواية أخرى ويعضده قوله ﴿**يا جبال أوبي معه**﴾ وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال صلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ هي صلاة الأوّابين .

۞ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

[ **اللغة** ] التبذير التفريق بالاسراف وأصله أن يفرق كما يفرق البذر إلا أنه يختص بما يكون على سبيل الإفساد وما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيراً وان كثر قال النابغة

تَرَائِبُ يَسْتَضِيءُ الْحَلْيُ فِيهَا ... كَجَمْرِ النَّارِ بُذِّرَ بِالظَّلَامِ (١)

والإعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الأولى وقد يكون للإذلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً إذا كشف عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير إذا كلّت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده وانحساره عنه قال الهذلي :

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا ... فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ (٢)

ويقال حسرت الرجل بالمسألة إذا افنيت جميع ما عنده .

[ **الإعراب** ] وأما تعرضن تقديره وان تعرض وما مزيدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال أي مبتغياً رحمة من ربك ترجوها أي راجياً إياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن .

[ **المعنى** ] ثم حثّ سبحانه نبيّه ﷺ على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الانفاق فقال **﴿وآت ذي القربى حقه﴾** معناه وأعطِ القرابات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين ( ع ) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به ( ع ) عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذي القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين ( ع ) وأخبرنا السيد أبو

---

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر .

(٢) العسير: الناقة التي لم ترض والتي لم تحمل. وخامره الداء: خالط ونصف وشطرها على الظرف أي نحوها .

الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد أبو محمد قال حدثنا [ عبد الله ][1] عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكا قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية فردَّ المأمون فدكا إلى ولد فاطمة ( ع ) ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ معناه وآت المسكين حقه الذي جعله الله له من الزكاة وغيرها وآت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه أيضاً ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ قيل ان المبذر الذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لو انفق مدّاً في باطل كان مبذراً ولو أنفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذراً وروي عن أبي عبد الله ( ع ) ان أمير المؤمنين ( ع ) قال لعناية كن زاملة للمؤمنين وان خير المطايا أمثلها وأسلمها ظهراً ولا تكن من المبذرين ﴿إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾ معناه ان المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو أخو السفر وقيل معناه أنهم قرناء الشياطين في النار ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ أي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر مرة بعد أخرى ﴿وإما تعرضنَّ عنهم﴾ أي وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألتهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ أي لتبتغي الفضل من الله والسعة التي يمكنك معها البذل بأمل تلك السعة وذلك الفضل ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عدهم عدة حسنة وقل لهم قولاً سهلاً ليناً يتيسر عليك وروي ان النبي ﷺ كان لما نزلت هذه الآية إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تكن ممن لا يعطي شيئاً ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي عن الشح والإمساك ﴿ ولا تبسطها كل البسط ﴾ أي ولا تعط أيضاً جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف ﴿فتقعد ملوماً﴾ تلوم نفسك

(١) ما بين المعقفتين ليس في المخطوطة .

وتلام ﴿محسوراً﴾ منقطعاً به وليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزاً نادماً عن قتادة وقيل محسوراً من الثياب والمحسور العريان عن أبي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوماً مذموماً وان أسرفت بقيت متحسراً مغموماً عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعاً فيجيء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك وروي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله ﷺ وقالت قل له ان أمي تستكسيك درعاً فإن قال حتى يأتينا شيء فقل له انها تستكسيك قميصك فأتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه اليه فنزلت الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت إذ لم يجد شيئاً يلبسه ولم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمداً اشتغل بالنوم واللهو عن الصلاة ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسّع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي عالماً بأحوالهم بصيراً بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على آخر يدبّرهم على ما يراه من الصلاح .

[ النظم ] وإنما اتصلت هذه الآية الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثاً على الاعطاء اعتماداً على الله تعالى ونهياً عن البخل وحثاً على القصد إذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويملك طريق القصد .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾
وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ
وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا

كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأً بفتح الخاء والطاء من غير ألف بعدها وقرأ ابن كثير خطاءً بكسر الخاء وممدوداً والباقون خِطأً بكسر الخاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري وأبي رجاء خطا بكسر الخاء غير ممدود وقراءة الحسن خطاءً بالمد وفي رواية أخرى عنه خطأً بفتح الخاء والطاء خفيفة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم فلا تسرف بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر القسطاس بكسر القاف والباقون بضمها .

[ الحجة ] الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعاً عن صاحبه قال أبو علي قالوا اخطأ في معنى خطىء كما ان خطىء في معنى اخطأ في مثل قوله

عِبَادُكَ يَخْطَئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ ... كَرِيمٌ لاَ يَلِيقُ بِكَ الذُّمُومُ

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا والمؤاخذة عن المخطىء موضوع فهذا يدل على ان اخطأنا في معنى خطئنا وكما جاء اخطأ في معنى خطىء كذلك جاء خطىء في معنى الخطأ في قوله « يا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلاً »[(١)] وفي قول الآخر

وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الأمِيرَ إذا هُمُ ... خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلاَ يُلاَمُ المُرْشِدُ

فكذلك قراءة ابن عامر خطأً في معنى أخطأ كما جاء خطىء بمعنى اخطأ ويجوز أن يكون الخَطأ بمعنى الخطء ايضاً كالمِثْل والمَثَل والشِبْه والشَبَه والبِدْل والبَدَل واما قراءة ابن كثير خطاءً فإنه يجوز ايضاً أن يكون مصدر خاطأ وان لم يسمع خاطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله « تَخاطَأتِ النَّبْلُ اَحْشَاءَهُ » قال وأنشدنا محمد ابن السري في وصف كمأة .

وَأشْعَثَ قَدْ نَاوَلْتُهُ احْرَشَ القِرى ... أدَرَّتْ عَلَيْهِ المُدْجِنَاتُ الهَوَاضِبُ
تَخَاطَأهُ القُنَّاصُ حَتَّى وَجَدْتُهُ ... وَخُرْطُومُهُ في مَنْقَعِ المَاءِ رَاسِبُ[(٢)]

---

(١) هذا صدر بيت لامرىء القيس قاله عندما اغار على بني أسد . وبعده « نحن جلبنا القرح القوافلا » .

(٢) كل شيء خشن فهو أحرش وحرش وفي بعض النسخ « احوش » بالواو وفي التبيان والمنقول من تفسيري القرطبي وروح المعاني « أحرس » بالسين والراء والقرى: الطعام للضيف . وسحابة مدجنة: ذات المطر الكثير والهضبة: المطرة الدائمة العظيمة القطر: والقناص . الصيادون .

تخاطأ يدل على خاطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعَّل ووجه من قرأ خِطْأ بيِّنٌ فإنه يقال خطىء يخطأ خطأ إذا تعمد الشيء والفاعل منه خاطىء وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطاء فهو اسم بمعنى المصدر ومن اخطأت كالعطاء من أعطيت وقال ابن جنى يقال خطىء يخطأ خِطأة وخطأ في الدين واخطاء الغرض ونحوه وقد يتداخلان واما خطأ وخط فتخفيف خطاء وخطاء قال أبو علي وأما قوله فلا يسرف بالياء فإن فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين ( أحدهما ) أن يكون القاتل الأول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمراً وان لم يجر له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد ( فالجواب ) انه لا يمتنع أن يكون فيه الاسراف كما جاء في أموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافاً ولم يجز ان يؤكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله ﴿إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً﴾ الآية فكذلك لا يمتنع ان يقال للقاتل الأول لا يسرف في القتل لأنه بقتله يكون مسرفاً ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصوراً لقوله ومن قتل مظلوماً تقديره فلا يسرف القاتل المبتدىء بقتله في القتل لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له وليه أو السلطان ان لم يكن له وليّ غيره فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالوليّ إذا اقتص فإنما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو أبرىء من السبب المؤدّي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤدّي منه دينه ولا يمتنع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ( والآخر ) ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركو العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل إذ الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالتاء احتمل وجهين أيضاً ( أحدهما ) أن يكون المبتدىء القاتل ظلماً فقيل له لا تسرف أيها الانسان فتقتل ظلماً من ليس لك قتله ان من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له ( والآخر ) ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف أيها الولي في القتل فتتعدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلماً كان منصوراً وكل واحد من المقتول ظلماً ومن ولي المقتول قد تقدّم ذكره في قوله ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً واما القِسطاس والقُسطاس فهما لغتان مثل القِرطاس والقُرطاس والضم أكثر.

[ المعنى ] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم فقال ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ أي بناتكم ﴿خشية املاق﴾ أي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل أن يكون قوله ولا تقتلوا

منصوباً عطفاً على قوله ان لا تعبدوا ويجوز أن يكون على النهي فيكون مجزوماً وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهن احياء **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾** أخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم **﴿ان قتلهم كان خطأ كبيراً﴾** يعني ان قتلهم في الجاهلية كان إثماً عظيماً عند الله وهو اليوم كذلك **﴿ولا تقربوا الزنى﴾** وهو وطء المرأة حراماً بلا عقد ولا شبهة عقد **﴿إنه كان فاحشة﴾** أي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير **﴿وساء سبيلاً﴾** أي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولى به من بعض فيؤدّي الى قطع الأنساب وإبطال المواريث وابطال صلة الرحم وحقوق الأباء على الاولاد وذلك مستنكر في العقول وأخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ أبو جعفر الطوسي قال حدثنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حبيب الفارسي عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجرائي قال سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الأخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار أو الخلود في النار **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾** وهو أن يجب عليه القتل اما لكفره أوردته أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو زنى وهو محصن **﴿ومن قتل مظلوماً﴾** بغير حق **﴿فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾** أي قد اثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الدية او العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة **﴿فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً﴾** مرَّ تفسيره قبل **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾** فسَّرناه في سورة الانعام **﴿وأوفوا بالعهد﴾** في الوصية بمال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء أيضاً بالنذر والعهد به وان لم يجب ابتداء وانما يجب عند العقد **﴿إن العهد كان مسؤولاً﴾** عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل المؤودة بأيّ ذنب قتلت **﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾** أي أتموه ولا تبخسوا منه ومعناه وأوفوا الناس حقوقهم إذا أكلتم عليهم **﴿ وزنوا بالقسطاس﴾** وهو الميزان صغُر ام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقة اللغتين و **﴿المستقيم﴾** الذي لا بخس فيه ولا غبن **﴿ذلك خير﴾** أي خير ثواباً عن قتادة وقيل أقرب إلى الله عن عطا وقيل معناه أن ايفاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فإنه يكسب اسم

الأمانة في الدنيا ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي وأحسن عاقبة في الآخرة ومرجعاً من آل يؤول إذا رجع حثّ الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ
لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا
مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ
إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[ القراءة ] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة كان سيئه بضم الهمزة مضافاً الى الهاء وقرأ الباقون سيئة منصوباً منوناً غير مضاف.

[ الحجة ] من قرأ سيئُهُ مضافاً قال لأنه قد تقدّم ذكر أمور منها سيء ومنها حسن فخصّ الله سبحانه السيء منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروهاً ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فإن قيل ان التأنيث غير حقيقي فلا يمتنع أن يذكر.قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقياً لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله « وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَها »[1] مستقبح عندهم ولو قال أبقل الأرض لم يستقبح وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي أن يكون الراجع اليه وفقه كما يكون وفقه في التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئة فإنه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع

---

(١) عجز بيت قاله عامر بن جوين الطائي وقبله « فلا مزنة ودقت ودقها » والمزنة: القطعة من السحاب. والودق المطر. وأبقل: اخرج البقل والشاهد في أبقل حيث لم يقل أبقلت .

عند قوله وأحسن تأويلاً وكان الذي بعده من قوله ولا تقف ماليس لك به علم لا أمْرَ حسناً فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يضف فإن قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروهاً قلت فإنه يجوز أن لا نجعل مكروهاً صفة لسيئة ولكن نجعله بدلاً ولا يلزم أن يكون في البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز ان يكون مكروهاً حالاً من الذكر الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي في الظرف مؤنث كما ان السيئة مؤنث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وان حمله على التأنيث غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض أبقل أبقالها .

[ اللغة ] القفو اتباع الأثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال :

وَمِثْلِ الدُّمَى شُمُّ العَرانِينِ سَاكِنٌ بِهِنَّ الحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا[1]

أي التقاذف قال أبو عبيدة القفو العضيهة يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجبذ وأصل الخرق القطع ورجل خرق يتخرق في السخاء والخرق الفلاة لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبة وقاتمُ الأعْماقِ خاوِي المخترق »[2] أي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح .

[ الإعراب ] قال كل أولئك لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث وإذا أريد الكثير يقال كل هذه وتلك قال الشاعر :

ذُمَّ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى وَالْعَيْشُ بَعْدَ أُولئِكَ الأَيَّامِ

فأولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم وقوله ﴿ كان عنه مسؤولاً ﴾ الهاء تعود إلى كل أي يسأل عن استعمال هذه الأشياء وإن شئت كان الهاء يعود إلى الإنسان أي يسأل عن الإنسان فيما استعمل هذه الأشياء ويكون في مسؤولاً ضمير يعود إلى كل وقدره أبو علي أن أفعال السمع والبصر والفؤاد كل أفعال أولئك طولاً مصدر وضع موضع الحال أما عن الفاعل في لن تبلغ أو من الجبال وجوَّز الأمرين أبو علي وفتلقى منصوب بإضمار أن لكونه جواب النهي بالفاء ملوماً مدحوراً نصب على الحال ومرحاً نصب على التمييز ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضاً وجاء زيد راكضاً

(١) قائله النابغة الجعدي . والشمم : ارتفاع قصبة الأنف . والعرنين : الأنف وشمم الأنف من صفات المدح .

(٢) وبعده « مشتبه الأعلام لماع الخفق » ومكان قاتم الأعماق أي مغبر النواحي .

فركضا أو كد في الاستعمال لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضاً وعلى هذا يكون معناه ولا تمش في الأرض مختالاً وقيل أن طولاً نصب على التمييز .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ومعناه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاماً أي إذا مرَّ بك فلا تغتبه عن الحسن وقيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفية والأصل أنه عام في كل قول وفعل أو عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يقال ولا تفعل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم أنه مما يجوز أن يعتقد وقد استدل جماعة من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ معناه أن السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد أن أصحابها هم المسؤولون ولذلك قال كل أولئك وقيل بل المعنى كل أولئك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوالبي عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر ( ع ) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين كسبته وأين وضعته وعن حبنا أهل البيت ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ معناه لا تمش على وجه الأشر والبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً وقيل المرح شدة الفرح بالباطل ﴿ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بتطاولك والمعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنابزة على ما هذا سبيله مع أن الحكمة زاجرة عنه وإنما قال ذلك لأن من الناس من يمشي في الأرض بطراً يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه وعنقه فبيَّن سبحانه أنه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهي إلى آخرها وإن طوله لا يبلغ طول الجبال وإن كان طويلاً علَّم الله سبحانه عباده التواضع والمروءة والوقار ﴿ كل ذلك ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات ﴿ كان سيئه ﴾ أي معصيته ﴿ عند ربك مكروهاً ﴾ له سبحانه يكرهها ولا يريدها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك إشارة إلى جميع ما أمر به من المحسنات ونهى عنه من المقبحات أي كان سيء ما سبق من هذه

الأشياء مكروهاً عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فإنه سبحانه صرّح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريدها فإن من المحال أن يكون الشيء الواحد مراداً مكروهاً عنده ﴿ ذلك ﴾ الذي تقدَّم ذكره من الأوامر والنواهي ﴿ مما أوحى إليك ربك ﴾ يا محمد ﴿ من الحكمة ﴾ المؤدية إلى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر ﴾ في إقرارك وقولك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ليكون أبلغ في الزجر كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ﴿ فتلقى ﴾ أي فتطرح بمعنى أنك إذا فعلت ذلك ألقيت وطرحت ﴿ في جهنم ملوماً ﴾ يلومك الناس ﴿ مدحوراً ﴾ أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله تعالى ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثاً ﴾ هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه أخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصَّكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدون تقول أصفيت فلاناً بالشيء إذا آثرته به ﴿ انكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ أي كبيراً في الإثم واستحقاق العقوبة حيث أضفتم إلى الله سبحانه ما لم ترضوا لانفسكم به وجعلتم الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ
كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ
وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم لِيَذْكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقون ليذكروا بفتح الذال والكاف وتشديدهما في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وأبو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالتاء عما يقولون

بالياء تسبح له بالتاء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء تسبح بالتاء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالتاء حمزة والكسائي وخلف .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قال ليذكروا قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون فالتذكر هنا أشبه من الذكر لأنه كان يراد به التدبر وليس يراد الذكر الذي هو ضد النسيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم ووجه التخفيف أن التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فهذا ليس على معنى لا تنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون** ﴾ لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتمل وجهين ( أحدهما ) أن يعطف على كما يقولون ( والآخر ) أن يكون نزَّه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولون بالتاء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على أنه نزَّه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون وأما قوله ﴿ **تسبح له السماوات** ﴾ فكل واحد من الياء والتاء حسن .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

[ **المعنى** ] ثم احتج سبحانه على الذين تقدَّم ذكرهم فقال ﴿ **ولقد صرفنا** ﴾ أي كرَّرنا الدلائل وفصَّلنا المعاني والامثال وغير ذلك مما يوجب الاعتبار به ﴿ **في هذا القرآن ليذكروا** ﴾ أي ليتفكروا فيها فيعلموا الحق وحذف ذكر الدلائل والعبر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به ﴿ **وما يزيدهم إلا نفوراً** ﴾ أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعداً عن الاعتبار ونفوراً عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله ﴿ **فلم يزدهم دعائي إلا فراراً** ﴾ فإن قيل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في إنزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحجة وقطع المعذرة في إظهار الدلائل التي تحسن التكليف وأنه يصلح عند انزاله جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله ولو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد أعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإنما ازدادوا نفوراً عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم أنها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **لو كان معه آلهة كما يقولون** ﴾ هم أو تقولون أنتم على القراءتين ﴿ **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً** ﴾ أي لطلبوا طريقاً يقربهم إلى مالك العرش والتمسوا الزلفة

عنده لعلمهم بعلوّه عليهم وعظمته عن مجاهد وقتادة وقال أكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلاً إلى معازّة مالك العرش ومغالبته ومنازعته فإن المشتركين في الإلهية يكونان متساويين في صفات الذات ويطلب أحدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وفي هذا إشارة إلى دليل التمانع ثم نزّه سبحانه نفسه من أن يكون له شريك في الإلهية فقال ﴿ **سبحانه وتعالى عما يقولون** ﴾ أي عن قولهم ﴿ **علواً كبيراً** ﴾ وإنما لم يقل تعالياً كبيراً لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله تبتل إليه تبتيلا ومعنى تعالى أن صفاته في أعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد أعلم منه وخصّ العرش بإضافته إليه تعظيماً للعرش ويجوز أن يريد بالعرش الملك ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وأنه لا شريك له في الإلهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدّي إلى العلم ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل أن معناه وما من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل أن كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب وخرير الماء عن إبراهيم وجماعة ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده ﴿ **إنه كان حليماً** ﴾ يمهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم ﴿ **غفوراً** ﴾ لكم إذا تبتم وأنبتم إليه .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ
نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ

هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

[ اللغة ] الوقر بالفتح الثقل في الأذن وبالكسر الحمل والأصل فيه الثقل إلا أنه خولف بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه .

[ الإعراب ] قوله أن يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة أن يفقهوه. نفوراً نصب على الحال وتقديره ولّوا نافرين وقيل أنه مصدر ولو أخرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفوراً .

[ النزول ] قيل نزل قوله وإذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج والجبائي .

[ المعنى ] لمّا تقدَّم قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن بيَّن سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال ﴿ **وإذا قرأت القرآن** ﴾ يا محمد ﴿ **جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ وهم المشركون ﴿ **حجاباً مستوراً** ﴾ قال الكلبي وهم أبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه وقيل أراد حجاباً ساتراً عن الأخفش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشؤوم وميمون إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على أن المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول والمعنى حجاباً ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجاباً مستوراً عن الأعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله تعالى حجب نبيّه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل أن المعنى في الآية ﴿ **جعلنا بينك وبينهم حجاباً** ﴾ بمعنى باعدنا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين في آذانهم وقروعليهم عمى فهذا هو الحجاب عن أبي مسلم وهذا بعيد والأول أوجه لأنه الحقيقة ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا** ﴾ مرّ تفسيره في سورة الأنعام ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن**

وحده ﴾ معناه وإذا ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك ﴿ ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾ أي أعرضوا عنك مدبرين نافرين والمعني بذلك كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إلّه إلا الله ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك ﴾ معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع إليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ أي متناجون وقيل هم ذوو نجوى والمعنى أنا نعلمهم في حال ما يصغون إلى سماع قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعني به أبا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وخويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ فقال أبو جهل هو مجنون وقال زمعة هو شاعر وقال خويطب هو كاهن ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر ﴿ إذ يقول الظالمون أن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ قيل فيه وجوه ( أحدها ) أنهم يقولون ما يتبعون إلا رجلاً قد سحر فاختلط عليه أمره وإنما يقولون ذلك للتنفير عنه ( وثانيها ) أن المراد بالمسحور المخدوع المعلل كما في قول امرىء القيس :

أَرانـا مُـوضِعِينَ لِحَـتْـمِ غَـيْـبٍ ... وَنُسْحَرُ فِي الطَّعامِ وَفِي الشَّرابِ[1]

وقول أمية بن أبي الصلت :

فَـإِنْ تَسْـأَلِينـا فِيمَ نَحْنُ فَـإِنَّـنـا ... عَصـافِيرُ مِنْ هٰذَا الأَنامِ المُسَحَّرِ[2]

( وثالثها ) أن المعنى أن تتبعون إلا رجلاً ذا سحر أي رئة خلقه الله بشراً مثلكم ( ورابعها ) أن المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله ﴿ حجاباً مستوراً ﴾ أي ساتراً وقد زيف هذا الوجه والوجوه الثلاثة أوضح وعلى هذا فمعنى الآية البيان عما توجبه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كأنه في كنان عن تفهمه وكأن في أذنيه وقراً عن استماعه فهو مُوَلٍّ نافر عنه يناجي في حال الانحراف عنه جُهّالاً أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومة ما أتى به سبيل ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك

(١) قوله موضعين أي مسرعين وأراد من قوله لحتم غيب الموت الذي قد غيب عنا وقته وقد مر البيت في صفحة ٥٢ أيضاً .

(٢) نسبه في التبيان واللسان والصحاح إلى لبيد وهو موجود في ديوانه : ١ : ٨٠ .

الأمثال ﴾ أي شبّهوا لك الأشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر ﴿ فضلوا ﴾ بهذا القول عن الحق ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ أي لا يجدون حيلة ولا طريقاً إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلاً أي لا يجدون حيلة وطريقاً إلى صدِّ الناس عنك وإلى اثبات ما ادَّعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقاً بعد ما ضلوا عنه .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (٤٩) ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا (٥٠) أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا (٥١) يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا (٥٢)

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[ اللغة ] الرفات ما تكسر وبلى من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات وقال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشيء رفتاً فهو مرفوت إذا صير كالحطام ويقال انغض رأسه ينغضه ونغض رأسه ينغضه نغضاً إذا حركه قالوا والنغض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظليم[1] نغض لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج « أصكَّ نَغْضاً لا يَنِي مُسْتَهْدَجاً »[2] ونغض السن إذا تحرّكت قال « فَنَغَضَتْ مِنْ هرم أَسْنانها » .

[ الإعراب ] إذا في موضع نصب بفعل يدل عليه قوله ﴿ أإنا لمبعوثون ﴾ وتقديره

(١) الظليم : الذكر من النعام .

(٢) هذا عجز بيت صدره « واستبدلت رسومه سفنجاً » والصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبتين من الإنسان وغيره ومستهدجاً أي مستعجلاً .

أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله ﴿ مبعوثون ﴾ لأن ما بعد أن ولام الابتداء لا يجوز أن يعمل فيما قبلهما والباء في بحمده باء الحال أي تستجيبون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم إليه وتستجيبون عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذاك أن تظنوا وقليلاً نصب على الظرف وتقديره أن لبثتم إلا زمناً قليلاً .

[ المعنى ] لمّا تقدّم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكاره فقال ﴿ وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ أي غباراً عن ابن عباس وقيل تراباً عن مجاهد ﴿ ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ والمعنى قال المنكرون للبعث إنا إذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً أي متجدداً وهو انكار في صورة الاستفهام ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ كونوا حجارة أو حديداً ﴾ أي اجهدوا في أن لا تعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة أو حديداً في الشدة ﴿ أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ﴾ أي خلقاً هو أعظم من ذلك عندكم وأصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم إلا أن الكلام خرج مخرج الأمر لأنه أبلغ في الإلزام وقيل يعني بقوله ﴿ ما يكبر في صدوركم ﴾ الموت ﴾ عن ابن عباس وسعيد بن جبير أي لو كنتم الموت لأماتكم الله تعالى وليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والأرض والجبال عن مجاهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ معناه فإنك إذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم أول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على إعادته أقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء أصعب من إعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرُّون بالنشأة الأولى ﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ أي فسيحرّكون إليك رؤوسهم تحريك المستهزىء المستخف المستبطىء لما تنذرهم به ﴿ ويقولون متى هو ﴾ أي متى يكون البعث ﴿ قل عسى أن يكون قريباً ﴾ لأن ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ معناه عسى أن يكون بعثكم قريباً أيها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم إلى الموقف على ألسنة الملائكة وذلك عند النفخة الثانية فيقولون أيتها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت فتستجيبون مضطرين بحمده أي حامدين لله على نعمه وأنتم موحدون وهذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه أي جاء غضبان وقيل معنى تستجيبون بحمده أنكم تستجيبون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن المعارف هناك ضرورية قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانه وبحمدك ولا ينفعهم في

ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد ﴿ وتظنون أن لبثتم إلا قليلاً ﴾ أي وتظنون أنكم لم تلبثوا في الدنيا إلا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبون الله بحمده ويحمدونه على إحسانه إليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين وأيام السرور والرخاء قصار .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

[ اللغة ] الوسيلة القربة والواسل الراغب قال لبيد « بلى كل ذي دين إلى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤال والطلبة في معنى واحد .

[ الإعراب ] يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي أحسن يقولوا وكان أبو عثمان يزعم أنَّ يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى أن قوله ﴿ تؤمنون بالله ورسوله ﴾ واقع

موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الأسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا أنت « أولئك » رفع بالإبتداء والذين يدعون صفة لهم ويبتغون خبر الإبتداء وقوله ﴿ أيهم أقرب ﴾ قال الزجاج إن شئت كان أيهم رفعاً بالإبتداء والخبر وقوله أقرب ويكون معناه ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به والجملة متعلقة بينظرون المضمرة ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلاً من الواو في يبتغون .

[ النزول ] كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فيقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتالهم فيقول لهم إني لم أؤمر فيهم بشيء فأنزل الله سبحانه ﴿ قل لعبادي ﴾ الآية عن الكلبي .

[ المعنى ] ثم أمر سبحانه عباده بإتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال ﴿ وقل ﴾ يا محمد ﴿ لعبادي ﴾ وهذا إضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين ﴿ يقولوا التي هي أحسن ﴾ أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرهم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما ندب الله إليه من الأقوال وقيل معناه يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن أبي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ أي يفسد بينهم ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة ﴿ إن الشيطان كان ﴾ في جميع الأوقات ﴿ للإنسان ﴾ أي لآدم وذريته ﴿ عدواً مبيناً ﴾ مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ معناه أنه أعلم بأحوالكم فيدبّر أموركم على ما يعلمه من المصلحة لكم ﴿ أن يشأ يرحمكم أو أن يشأ يعذبكم ﴾ قيل أراد أنه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء إليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو إن يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه إن يشأ يرحمكم بإخراجكم من مكة وتخليصكم من إيذاء المشركين أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل إن يشأ يرحكم بفضله وإن يشأ يعذبكم بعدله وهو الأظهر ثم عاد إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ أي وما أرسلناك موكلاً عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الإيمان في قلوبهم شاؤوا أم أبوا ومعناه إنك لا تؤاخذ بأعمالهم فإنا أرسلناك داعياً لهم إلى الإيمان فإن أجابوك وإلا فلا شيء عليك فإن

عتاب ذلك يحلُّ بهم واللائمة تلزمهم ﴿ **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض** ﴾ أي هو أعلم بمن في السماوات من الملائكة وبمن في الأرض من الأنبياء بيَّن سبحانه بهذا أنه لم يختر الملائكة والأنبياء للميل إليهم وإنما إختارهم لعلمه بباطنهم وقيل معناه أنه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق والأحوال كما إقتضته المصلحة كما فضَّل بعض النبيين على بعض ﴿ **ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض** ﴾ والمعنى أن الأنبياء وإن كانوا في أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات في ذلك وبعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتاب ولما كان سبحانه عالماً ببواطن الأمور إختارك للنبوة وفضَّلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخَّر لبعضهم النار وألان لبعضهم الحديد وآتى بعضهم الملك وكلَّم بعضهم وكذلك خصَّك بخصائص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال ﴿ **وآتينا داود زبوراً** ﴾ قال الحسن كل كتاب زبور إلا أن هذا الاسم غلب على كتاب داود (ع) كما غلب إسم الفرقان على القرآن وإن كان كل كتاب من كتب الله فرقاناً لأنه يفرِّق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا أنه يقول لا تنكروا تفضيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإعطاءه القرآن فقد أعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ﴿ **إدعوا الذين زعمتم من دونه** ﴾ إنها آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحالة إلى حالة أخرى ﴿ **فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾ للحالة التي تكرهونها إلى حالة تحبّونها يعني تحويل حال القحط إلى الخصب والفقر إلى الغنى والمرض إلى الصحة وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم بيَّن سبحانه أن من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للإلهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه هم الملائكة والمسيح وعزيز عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود وقال واسلم أولئك النفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء في الآية الأولى فقال ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ ومعناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة إليه بفعل الطاعات ﴿ **أيهم أقرب** ﴾ أي ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى أن لا تعبدوا غير الله وإنما ذكر ذلك حثاً على الإقتداء بهم وقيل إن معناه أولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون أنهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة ﴿ **ويرجون رحمته**

ويخافون عذابه ﴾ أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته إن أطاعوا ويخافون عذابه إن عصوا ويعملون عمل العبيد ﴿ إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ أي متقى يجب أن يحذر منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله ﴿ وابتغوا ﴾ إليه الوسيلة .

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

[ اللغة ] المسطور المكتوب قال العجاج :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدْ قَدَر    فِي الصُّحُفِ الْأُولَى الَّذِي كَانَ سَطَرَ

والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى منعنا للمبالغة في أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وإن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح أن يمانعه شيء .

[ الإعراب ] وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أنْ الأولى نصب وأنْ الثانية رفع والمعنى وما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف إستتر الضمير في إسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجرة وقوله ﴿ فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ أي فما يزيدهم التخويف فأضمر التخويف لجري ذكر الفعل وانتصب قوله طغياناً على أنه

مفعول ثان لقوله يزيد .

[ المعنى ] ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾ معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها ﴿ أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه يفني الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائي ومقاتل وقيل إن المراد بذلك قرى الكفر والضلال دون قرى الإيمان والمراد بالإهلاك التدمير عن أبي مسلم ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ أخبر أن ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته وهو اللوح المحفوظ مكتوباً ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى أن كذب بها الأولون ﴾ ذكر فيه أقوال ( أحدها ) أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه إنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوِّل لنا الصفا ذهباً وفَجِّر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذَّبوا بها عذَّبناهم بعذاب الإستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كذِّب بها وجب عذاب الإستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الإستئصال لشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مؤبدة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم إلى ذلك وأنزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة ( والثاني ) إن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات ، والمعجزاتُ ضربان ( أحدهما ) ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع ( والثاني ) ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه ( والثالث ) إن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات أبصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها ﴿ فظلموا بها ﴾ أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ أي لا نرسل

الآيات التي نظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجراً أو تخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وإذ قلنا لـك ﴾ أي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ أي أحـاط علماً بـأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة أو معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيذائك إذا لم تأتهم ما إقترحوا منك من الآيـات وهذا حثٌ للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالعصمة من أذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيـل معناه أنـه أحـاط بأهـل مكـة فيستفتحهـا لك عـن مقاتـل وقـال الفـراء معنـاه أحاط أمره بالناس وقيل معناه أنه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما أمرت به من التبليغ فإن الله سبحانه أن أنـزلهـا فلمـا يعلـم فـي إنـزالها من اللطـف وإن لـم ينـزلهـا فلمـا يعلـم من المصلحة عن الجبائي ﴿ ومـا جعلنـا الـرؤيـا التـي أريناك إلا فتنة للنـاس والشجـرة الملعـونة في القـرآن ﴾ فيـه أقوال ( أحدهـا ) إن المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في أول السورة من إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى بيت المقدس وإلى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلاً وأخبر بها حين أصبح سمّاها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الإمتحان وشـدة التكليف ليعرض المصدِّق بذلك لجزيل ثـوابه والمكـذِّب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد ( وثانيها ) ما روي عن ابن عباس في رواية أخرى أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بـالمدينـة فقصدهـا فصدَّه المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شكَّ قـوم ودخلت عليهم الشبهة فقـالوا يـا رسول الله أليـس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال صلى الله عليه وآله وسلم أو قلت لكم أنكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ وهو قول الجبائي وأبي مسلم وإنما كان فتنة وامتحاناً وابتلاء لما ذكرناه ( وثالثها ) إن ذلـك رؤيـا رآهـا النبي ﷺ فـي منامـه ان قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلـك واغتمَّ بـه روى سهـل بـن سعيـد عـن أبيـه أن النبـيﷺ رأى ذلك وقـال له ﷺلـم يستجمع بعـد ذلك ضاحكاً حتـى مات وروى سعيد بن يسار أيضاً وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) أبـي عبـد الله ( ع ) وقـالوا عـلى هـذا التأويـل أن الشجرة الملعونـة في القرآن هـي بنـو أمية أخبره الله سبحـانه بتغلبهـم عـلى منامـه وقتلهم ذريتـه روي عـن المنهـال بـن عمـرو قـال دخلت على علي بن الحسيـن ( ع )

فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال أصبحنا والله بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وأصبح خير البرية بعد رسول الله صلى ا لله عليه وآله وسلم يلعن على المنابر وأصبح من يحبنا منقوصاً حقه بحبه إيانا وقيل للحسن يا أبا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل إن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن أبي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس قالوا وإنما سمى شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار وصدّق بها المؤمنون وروي أن أبا جهل قال إن محمداً يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن ﴿ ونخوفهم ﴾ أي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نرسل من الآيات ﴿ فما يزيدهم ﴾ ذلك ﴿ إلا طغياناً كبيراً ﴾ أي عتواً في الكفر عظيماً وتمادياً في الغي كبيراً لأنهم لا يرجعون عنه .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

[ القراءة ] قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها .

[ الحجة ] من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب وتاجر

وتجر وأما قراءة حفص بكسر الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل رجل للراجل ويقال جاءنا حافياً رجلاً وأنشد :

أمَــا أُقــاتِــلُ عَنْ دِيني عَلىٰ فَرَسٍ    وَلا كَــذا رَجِلاً إلاَّ بِــأصْحَــابِ(١)

كأنه قال أما أقاتل فارساً وراجلاً وروى ابن جني عن قطرب أنـه قال الـرجل الـرجال وعليه قراءة عكرمة وقتادة ورجالك قال زهير في الرجل :

هُمُ ضَــرَبُـوا عَنْ فَـرْجِهـا بِكَتيبَــةٍ    كَبَيْضاءِ حَرْسٍ فِي جَوانِبِها الرَّجْلُ(٢)

[ اللغة ] الإحتناك الإقتطاع من الأصل يقال إحتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا إستقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر :

أشْكُــو إلَيْـكَ سَنَــةً قَــدْ أجْحَفَتْ    جَهْــداً إلىٰ جَهْـدٍ بِنــا وَأضْـعَفَـتْ

وَاحْتَنَكَتْ أمْوالَنا وَجَلَفَتْ(٣)

وقيل أنه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبـلاً يقودهـا به والموفور المكمل يقال وفرته أفره وفراً قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ    يَفِـرْهُ وَمَنْ لا يَـتَّقِ الـشَّتْـمَ يُشْـتَـمِ

والاستفزاز الإزعاج والاستنهـاض على خفة وإسـراع وأصله القطع وتفـزز الثوب إذا تخرق وفززته تفزيزاً فكأن معنى استفـزه إستزلـه بقطعـه عن الصواب ورجـل فز أي خفيف والإستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الإنقياد للفعل والإجلاب السوق بجلبة من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الإعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش .

[ الإعراب ] قال الزجاج طيناً منصوب على الحال بمعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين ويجوز أن يكون تقديره مِنْ طين فحذف مِنْ فوصل الفعل ومثله قوله ﴿ أن تسترضعوا أولادكم ﴾ أي لأولادكم وقيـل أنه منصـوب على التمييز والكـاف في قولـه ﴿ أرأيتك ﴾ لا

(١) قائله يحيى بن وائل قيل أنه خرج يقاتل السلطان فقيل له أتخرج راجلاً تقاتل ؟ فقال البيت . وكأنه قال : أما أقاتل فارساً ولا راجلاً إلا ومعي أصحابي .

(٢) الفرج : الثغر وحرس : جبل ورواية الحموي في معجم البلدان « كبيضاء حرس في طوائفها الرجل » .

(٣) جلفه يجلفه ـ بالضم ـ نزعه ويقال للسنة الشديدة التي تذهب بالأموال جالفة .

موضع لها من الإعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب بأرأيت والجواب محذوف . المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليَّ ولِمَ كرمته عليَّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلاً عليه .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه قصة آدم ( ع ) وإبليس فقال ﴿ **وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس** ﴾ قد مرَّ تفسيره في سورة البقرة[1] ﴿ **قال** ﴾ إبليس ﴿ **أأسجد لما خلقت طيناً** ﴾ وهو استفهام بمعنى الإنكار أي كيف أسجد له وأنا أفضل منه وأصْلي أشرف من أصله وفي هذا دلالة على أن إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لإمتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم ( ع ) ولم يجز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراد به وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجنسه يبيِّن ذلك أنه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح ﴿ **قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليَّ** ﴾ أي قال إبليس أرأيت يا رب هذا الذي فضلته عليَّ يعني آدم ( ع ) ﴿ **لئن أخّرتني إلى يوم القيامة** ﴾ أي لئن أخّرت أجل موتي ﴿ **لأحتنكن ذريته إلا قليلاً** ﴾ أي لأغوين ذريته وأقودنَّهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شدَّ فيها حبل تجرّ به إلا القليل الذين تعصمهم وهم المخلصون عن أبي مسلمْ وقيل لأحتنكنهم أي لأستولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستأصلنهم بالإغواء من إحتناك الجراد الزرع وهو أن يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها فكأن العلم قد سبق له بذلك عن الجبائي وقيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً فقال إن أولاده أضعف منه عن الحسن ﴿ **قال** ﴾ الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستصغار ﴿ **إذهب** ﴾ يا إبليس ﴿ **فمن تبعك منهم** ﴾ أي من ذرية آدم ( ع ) واقتفى أثرك وقبل منك ﴿ **فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً** ﴾ أي موفراً كاملاً لا نقصان فيه عن الاستحقاق ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ أي واستزل من استطعت منهم أضلهم بدعائك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الإنسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة أن يؤمر الغير بإهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالغناء والمزامير والملاهي عن مجاهد وقيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من

(١) راجع ج ١

صوت الشياطين ﴿ واجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ أي أجمع عليهم ما قدرت عليه من مكايدك وأتباعك وذريتك وأعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بخيلك وكل راكب أو ماش في معصية الله من الإنس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من أجلب القوم وجلبوا أي صاحوا أي صح بخيلك ورجلك وأحشرهم عليهم بالأغواء ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ وهو كل مال أُصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل إن مشاركتهم في الأموال أنه أمرهم أن يجعلوها سائبة وبحيرة غير ذلك وفي الأولاد أنهم هوّدوهم ونصّروهم ومجّسوهم عن قتادة وقيل إن كل مال حرام أو فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي وقيل إن المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل المؤودة من أولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس ﴿ وعدهم ﴾ أي ومنّهم البقاء وطول الأمل وأنهم لا يبعثون وكل هذا زجر وتهديد في صورة الأمر ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ هذا إخبار من الله عز وجل أن مواعيد الشيطان تكون غروراً أي يزين لهم الخطأ أنه صواب وهو اعتراض ﴿ إن عبادي ﴾ يعني الذين يطيعونني أضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ أي قوة ونفاذ لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطلة فلا يغترون بها وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادي إلا في الوسوسة والدعاء إلى المعصية فأما في أن تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبراً وكرهاً فلا عن الجبائي ﴿ وكفى بربك وكيلاً ﴾ أي حافظاً لعباده من شرك .

[ النظم ] الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً محققين ظنّ إبليس فيهم يوم قيل له إسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل إتصلت بقوله ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الإيضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم ( ع ) عن أبي مسلم .

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ

أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم كله بالنون وقرأ أبو جعفر ويعقوب فتغرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء .

**الحجة** ] من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قولـه ﴿ **ضلَّ من يـدعون إلا إيـاه فلما نجاكم** ﴾ ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد تقطع بعضه من بعض ولأن الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز ومن قرأ فتغرقكم بالتاء فإنه ردَّ الضمير المؤنث في فتغرقكم إلى الريح .

[ **اللغة** ] الإزجاء سوق الشيء حالاً بعد حال والحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصباً إذا رماه بها رمياً متتابعاً قال القتيبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمْـالَ الشَّـامِ يَضْـرِبُنـا بِحَـاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْدُوفِ[1]

والقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفاً .

[ **المعنى** ] لمّا تقدَّم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان إحتجَّ عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال ﴿ **ربكم** ﴾ أي خالقكم ومدبّركم ﴿ **الذي يزجي لكم الفلك** ﴾ أي يجري لكم السفن ﴿ **في البحر** ﴾ بما خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجه يمكن جري السفن فيه ﴿ **لتبتغوا من فضله** ﴾ أي لتطلبوا من فضل الله تعالى بركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صـلاح دنياكم من التجـارة أو صلاح دينكم من الغـرق ﴿ **إنه كـان بكم رحيمـاً** ﴾ حيث أنعم عليكم بهذه النعم ﴿ **وإذا مسكم الضـر** ﴾ أي الشدة ﴿ **في البحـر** ﴾ بسكون الرياح واحتباس السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر ﴿ **ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ أي ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتـدعـونـه ولا تـدعـون غيـره ﴿ **فلمـا نجـاكم** ﴾ من البحـر ﴿ **إلى البـر** ﴾ وأمنتم الغـرق ﴿ **أعرضتم** ﴾ عن الإيمان به وعن طاعته كفراناً للنعمة ﴿ **وكان الإنسان كفـوراً** ﴾ أي كثير

---

(١) الندف : طرق القطن بالمندف . والنديف : القطن المندوف . وفي رواية التبيان « كنديف القطن منثور » .

الكفران ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ﴾ معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم إنه إذا صار إلى البرّ أمن المكاره حتى أعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمنتم أن يخسف بكم أي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض أي غاب به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فسمّاه جانباً لأنه يصير بعد الخسف جانباً وقيل إنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر ﴿ أو يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي أو هل أمنتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون بها أي ترمون بها والمعنى أنه سبحانه قادر على إهلاككم في البر كما أنه قادر على إغراقكم في البحر ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴾ أي حافظاً يحفظكم عن عذاب الله ودافعاً يدفعه عنكم ﴿ أم أمنتم ﴾ أي أم هل أمنتم ﴿ أن يعيدكم فيه تارة أخرى ﴾ أي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة أو يحدث لكم رغبة أو رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى ﴿ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ﴾ أي فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحاً شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ من نعم الله ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ أي تابعاً يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم ويقول لِمَ فعلت هذا بهم وهذا في معنى قول المفسرين يعني ثائراً ولا ناصراً .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾

[ القراءة ] قرأ أهل البصرة أعمى الأولى بالإمالة وأعمى الثانية بالتفخيم وقرأ حمزة

والكسائي بالإمالة فيهما والباقون بالتفخيم فيهما وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يُدعوا بضم الياء وفتح العين[1] .

[ الحجة ] قال أبو علي من أمالهما فإنه حسن لأنه ينجو بالألف نحو الياء ليعلم أنها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة أو مشبهة بالفاصلة فالإمالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تخفى في الوقف فإذا أمالها نحى بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين ومما يقوي ذلك أن من العرب من يقلب هذه الألفات في الوقف ياءآت ليكون أبين لها قالوا أفعى وحبلى ومنهم من يقول أفعو وهم كأنهم أحرص على البيان من الأولين من حيث كانت الواو أظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت أقرب إلى الألف من الواو إليها وأما من أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل أعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله أفعل من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه أفعل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن أخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الإمالة في الأواخر لما تقدم وقد حذف من أفعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله ﴿ فإنه يعلم السر ﴾ وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام أول أي أول من عامك وكذلك قوله ﴿ فهو في الآخرة أعمى ﴾ أي أعمى منه في الدنيا ومعنى أعمى في الآخرة أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة إن ضلاله في الدنيا قد كان ممكناً من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز أن يكون أعمى فيمن تأوله أفعل من كذا على هذا التأويل أيضاً قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعو على لغة من أبدل الألف في الوصل واواً نحو أفعو وحبلو ذكر ذلك سيبويه وأكثر هذا في الوقف .

[ المعنى ] لمّا تقدّم قول إبليس هذا الذي كرّمت عليّ ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمة لبني آدم بأنواع الإكرام وفنون الأنعام فقال ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ أي فضّلناهم عن ابن عباس وأجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وقيل إنما عمّهم بالتكرمة مع أن فيهم الكافر المهان لأن المعنى أكرمناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل إليهم وقيل معناه

(١) وفي نسخة « بضم الياء والعين » .

عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والنطق والتمييز عن ابن عباس والضحاك وقيل أنهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بفمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة وامتدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بها مايشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصُّوا بها وهو الأوجه ﴿ **وحملناهم في البر والبحر** ﴾ في البرّ على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي من الثمار والفواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خصّ بها بنو آدم ولم يشركهم شيء من الحيوان فيها ﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ إستدل بعضهم بهذا على إن الملائكة أفضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على أن ههنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكة بالإتفاق وهذا باطل من وجوه ( أحدها ) إن التفضيل ههنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به إبتداء وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التي عدَّدنا بعضها ( وثانيها ) إن المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى إنا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريض من جاهي وأبحته المنيع من حريمي ولا يراد بذلك إني بذلت له عريض جاهي ومنعته ما ليس بعريض وأبحته منيع حريمي ولم أبحه ما ليس منيعاً بل المقصود أني بذلت له جاهي الذي من صفته أنه عريض وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن أبي كاهل في شعره :

مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ    عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَع

ولم يرد أن في إخلاقهم فحشاً آجلاً ولو أراد ذلك لم يكن مادحاً لهم ( وثالثها ) أنه إذا سلّم أن المراد بالتفضيل زيادة الثواب وإن لفظة مِنْ في قوله ممن خلقنا يفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم أو أكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحداً فما معنى التكرار ( فجوابه ) إن قوله ﴿ **كرمنا** ﴾ ينبيء عن الأنعام ولا ينبيء عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل إن التكريم يتناول نعم

الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل أن التكريم بالنعم التي يصحُّ بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ﴾ فيه أقوال ( أحدها ) إن معناه بنبيهم عن مجاهد وقتادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيام فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروي أيضاً عن علي ( ع ) إن الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوالبي عنه بأئمتهم في الخير والشر ( وثانيها ) معناه بكتابهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك ( وثالثها ) إن معناه بمن كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمتهم عن الجبائي وأبي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى ( ع ) بالأسانيد الصحيحة أنه روى عن آبائه ( ع ) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فيه يدعى كل أُناس بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم وروي عن الصادق ( ع ) أنه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلا من يتولونه ودعانا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفزعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثاً ( ورابعها ) إن معناه بكتابهم الذي فيه أعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن وأبي العالية ( وخامسها ) معناه بأمهاتهم عن محمد بن كعب ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ أي فمن أعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته وثواب أعماله بيمينه ﴿ فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ فرحين مسرورين لا يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء والثواب ﴿ ولا يظلمون فتيلاً ﴾ أي لا ينقصون ثواب أعمالهم مقدار فتيل وهو المفتول الذي في شق النواة عن قتادة وقيل الفتيل في بطن النواة والنقير في ظهرها والقطمير قشر النواة عن الحسن جعل الله إعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلاص وإعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والهلاك ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ ذكر في معناه أقوال ( أحدها ) إن هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه أن من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى عن ابن عباس ( وثانيها ) إن هذه إشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالاً عن الحق ذاهباً عن الدين فهو في الآخرة أشد تحيراً وذهاباً عن طريق الجنة أو عن الحجة إذا سئل فإن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون يوم القيامة منقطع الحجة فالأول إسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ( وثالثها ) إن معناها من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة

أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا عن أبي مسلم قال وهذا كقوله ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ وتأول قوله سبحانه ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ بأن معناه الأخبار عن قوة المعرفة والجاهل بالله سبحانه يكون عارفاً به في الآخرة وتقول العرب فلان بصير بهذا الأمر وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الأبصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قوله ﴿ فهو في الآخرة أعمى ﴾ على سبيل المبالغة والتعجب وإن عطف عليه بقوله ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ و يكون التقدير وهو أضل سبيلاً قال ويجوز أن يكون أعمى عبارة عما يلحقه من الغم المفرط فإنه إذ لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين ( ورابعها ) إن معناه من كان في الدنيا ضالاً فهو في الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن واختاره الزجاج على هذا القول وقال تأويله إنه إذا عمي في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمي عن رشده ولم يتب فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية .

[ النظم ] قيل في وجه اتصال قوله ﴿ يوم ندعو كل إناس بإمامهم ﴾ بما قبله وجوه ( أحدها ) أنه سبحانه ذكر تفضيل بني آدم ثم بيّن أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم ( وثانيها ) أنها إتصلت بقوله ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بإمامهم ( وثالثها ) إنها اتصلت بقوله ﴿ يعيدكم ﴾ أي يعيدكم يوم يدعو ( ورابعها ) أنه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن ومن كفر ثم بيّن في هاتين الآيتين ما أعدّ للفريقين من ثواب وعقاب وأنه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في كتبهم عن أبي مسلم .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[ الإعراب ] لولا أن ثبتناك تقديره لولا تثبيتنا إياك فإن هاهنا في موضع رفع بالإبتداء وخبره مضمر وهذا يدل على بطلان مذهب أبي سعيد حيث قال « لولا حددت ولا عدوى

لمحدود » واستدل به على أن لولا تدخل على الفعل وخفي عليه إضمار أن في البيت .

[ النزول ] في سبب نزوله أقوال ( أحدها ) إن قريشاً قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال ما علي في أن ألمّ بها والله يعلم إني لكاره لها ويدعوني أستلم الحجر فأنـزل الله تعالى هـذه الآية عن سعيـد بن جبير ( وثانيها ) أنهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رائحتهم رائحـة الصنان[1] حتى نجـالسك ونسمـع منك فـطمع في إسلامهم فنزلت الآيـة ( وثالثها ) إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج الأصنام من المسجد فـطلبت إليه قريش أن يترك صنماً على المروة فهم بتركه ثم أمر بعد بكسـره فنزلت الآيـة رواه العياشي بإسناده ( ورابعها ) إنها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على أن تعـطينا ثـلاث خصال لا ننحني بفنون الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وتمتعنا باللات سنة فقـال صلى الله عله وآله وسلم لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة للات فإني غير ممتعكم بها وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتـوضأ فقـال عمر بن الخطاب ما بالكم آذيتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يدع الأصنام في أرض العرب فما زالوا به حتى أنزل هذه الآيات عن ابن عباس ( وخامسها ) أن وفـد ثقيف قالوا أجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا فهمّ بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطية عن ابن عباس .

[ المعنى ] ثم حكى الله سبحانه عن الكفـار فقال ﴿ وإن كـادوا ليفتنونـك عن الذي أوحينا إليك ﴾ إن هذه مخففة من الثقيلة والمعنى أن المشركين الذين تقدّم ذكرهم في هذه السورة همُّوا وقاربوا أن يزلُّوك ويصرفوك عن القرآن الذي أوحينا إليك أي من حكمه ﴿ لتفتري علينا غيره ﴾ أي لتخترع علينا غير ما أوحيناه إليك والمعنى لتحل محل المفتري لأنك تخبر إنك لا تنطق إلا عن وحي فإذا إتبعت أهواءهم أو هممت أنك تفعله بأمر الله فكنت كالمفتري ﴿ وإذا لاتخـذوك خليلاً ﴾ معناه وإنك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك أي صداقتك لموافقتك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة أي فقيـراً محتاجـاً إليهم والأول أوجـه ﴿ ولولا أن ثبتنـاك ﴾ أي ثبتنا قلبـك على الحق والـرشـد بـالنبـوة والعصمـة والمعجزات وقيل بالإلطاف الخفية ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ أي ركـوناً قليـلاً والمعنى لقد قاربت أن تسكن إليهم بعض السكون وأن تميل إليهم ميلاً قليلاً فتعطيهم بعض

(١) الصنان : نتن الإبط .

ما سألوك يقال كدت أفعل كذا أي قاربت أن أفعله ولم أفعله وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله أعلم بنبيه ثم توعده سبحانه على ذلك لو فعله فقال ﴿ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي لو فعلت ذلك لعذبناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أي مثلي ما نعذب به المشرك في الدنيا ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون أعظم وقيل إن المراد بالضعف العذاب المضاعف ألمه والمعنى لأذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر :

لِمَقْتَلِ مَالِكٍ إِذْ بَانَ مِنّي أَبِيْتُ اللَّيْلَ فِي ضِعْفٍ أَلِيمِ

أي عذاب قال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وماله وسلم معصوم ولكن هذا تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ أي ناصراً ينصرك وقال أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً عن قتادة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

[ القراءة ] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وأبو بكر خلفك بغير ألف والباقون خلافك بالألف وقرأ رويس عن عقوب بالوجهين .

[ الحجة ] قال أبو علي زعم أبو الحسن أن خلافك في معنى خلفك ومعناه بعدك فمن قرأ خلفك أو خلافك فهو في القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف أي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة :

لَهُ وَاجِفٌ بِالْقَلْبِ حَتَّى تَقَطَّعَتْ خِلَافَ الثُّرَيَا مِنْ أرِيكٍ مَآرِبُهْ[1]

والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك من جعل قوله ﴿ خلاف ﴾ وسول الله صلى الله

(١) وجف القلب : خفق . واريك : اسم واد أو جبل على خلاف ذكره الحموي في المعجم .

عليه وآله وسلم إسماً للجهة كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله ومن جعله مصدراً جعله مضافاً إلى مفعول به وعلى أيّ الأمرين حمل ذلك في سورة التوبة كان بمقعدهم المقعد فيه مصدر لا إسم المكان لأن إسم المكان لا يتعلق به شيء .

[ **الإعراب** ] قال لا يلبثون بالرفع لأن إذاً إذا وقعت بعد الواو جاز فيها الإلغاء لأنها متوسطة في الكلام كما أنه لا بدَّ من أن تلقى إذا وقعت حشو أو سنة من قد أرسلنا إنتصب بمعنى قوله ﴿ **لا يلبثون** ﴾ لأن تأويله إنا سننا هذه السنة فيمن أرسلناهم قبلك والتقدير أهلكناهم إهلاكاً وسنة مثل سنة من قد أرسلنا قبلك .

[ **النزول** ] نزلت في أهل مكة لما همُّوا بإخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة عن مجاهد وقتادة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أن الكفار لما يئسوا من إجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ معناه وإن المشركين أرادوا أن يزعجوك من أرض مكة بالإخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن أرض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستفزونك معناه ليقتلونك ﴿ **وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً** ﴾ معناه أنهم لو أخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وقتلهم يوم بدر عن الضحاك وقيل إنهم أخرجوه وأهلكوا والمراد بقوله ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ إلا ناساً قليلاً منهم يريد من إنفلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك ﴿ **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا** ﴾ معناه أنهم لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة يقول لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلا اهلكوا فقد سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك إليهم ﴿ **ولا تجد لسنتنا تحويلاً** ﴾ أي تبديلاً ومعناه ما يتهيأ لأحد أن يقلب سنة الله ويبطلها والسنة هي العادة الجارية والصحيح أن المعنيّين في الآية مشركو مكة وأنهم لم يخرجوه من مكة ولكنهم همُّوا بإخراجه كما في قوله ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ إلى قوله ﴿ **أو يخرجوك** ﴾ ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم لما أمر بالهجرة خوفاً منهم وندموا على خروجه ولذلك ضمنوا الأموال في ردّه فلم يقدروا على ذلك ولو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب ولماتوا طُرّاً .

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ
إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ
لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي
مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ
سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ
كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾

[ اللغة ] الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي الزوال دلوكا لأن الناظر اليها يدلك عينيه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلوكا لأن الناظر يدلك عينيه ليتبينها قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت بَراح وبراح أي مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحته قال الراجز.

هَـذا مَـقَـامُ قَـدَمَـيّ رَبَـاحِ    لِـلشَّمْسِ حَـتّـى دَلَـكَـتْ بَـراحِ (١)

ورباح اسم ساقي الإبل ومن قال براح بفتح الباء جعلها اسماً للشمس مبنياً على فعال مثل قطام وحذام ومن روى بِراحِ بكسر الباء أراد براحته وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد، وغسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة إذا انفجرت فظهر ما فيها والتهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم والهجود النوم وهو الأصل هجد يهجد نام وقد هجّدته إذا نوّمته قال لبيد .

قُلْتُ هَجِّـدْنـا وَقَـدْ طـالَ السُّـرىٰ    وَقَـدَرْنـا إِنْ خَنـا الـدَّهْـرِ غَفَـلْ (٢)

(١) وفي رواية الجوهري « ذبب حتى دلكت . اهـ » وذبب أي كثرت عليه الذباب وفي رواية الغنوي « بكرة حتى دلكت : اهـ . » ذكره في اللسان .

(٢) السرى : سير الليل كله. وقدرنا اي قدرنا على التهجيد او على السير. وخنى الدهر: آفته وفساده اي أن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا.

وقال آخر :

أَلا طَـرَقَـتْـنَـا وَالـرِّفَـاقُ هُـجُـودُ فَـبَـاتَـتْ بِـعَـلَّاتِ النُّـوَالِ تَـجُـودُ

وقال الحطيئة :

أَلا طَـرَقَتْ هِنْـدُ الْـهُنُـودِ وَصُحْبَتي بِحَـوْزَانِ حَـوْرانِ الْجُنُـود هُجُـودُ(١)

قال المبرد التهجد السهر للصلاة أو لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة قال لبيد :

إِنَّ تَـقْـوىٰ رَبِّـنـا خَـيْـرُ نَـفَـلْ وَبِـإِذْنِ الـلَّهِ رَيْـثِـي وَعَـجَـلِ(٢)

أي وعجلي وعسى من الله واجبه وقد انشد لابن مقبل في وجوبها .

ظَنِّي بِـهِمْ كَـعَسىٰ وَهُمْ بِتَنُـوفَـةٍ(٣) يَـتَـنَـازَعُـونَ جَـوائِـزَ الأَمْـثَـالِ

يريد كيقين والزهوق الهلاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك .

[ الاعراب ] قُرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانتصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال.

[ المعنى ] ثم أمر سبحانه بعد اقامة البينات وذكر الوعد والوعيد، باقامة اصلاة فقال مخاطباً للنبي ﷺ والمراد هو وغيره ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف وابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطا ومجاهد وقتادة والصلاة المأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن أبي جعفر ( ع ) وابي عبد الله ( ع ) ومعنى قوله لدلوك الشمس أي عند دلوكها وقال قوم دلوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الأوجه

(١) حكى عن الثعلب انه قال ان اهل الشام يسمون كل كورة جنيداً وحوران : كورة واسعة من اعمال دمشق ذات قرى كثيرة وحوران الجنود اي بها جنود.

(٢) مر البيت في ج ٢

(٣) التنوفة : القفر من الأرض.

لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاتا دلوك الشمس الظهر والعصر وصلاتا غسق الليل هما المغرب والعشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل وهو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسَّع إلى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرتضه الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لابيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدلال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلا ان الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى الغروب والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب إلى الغسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله ﴿وقرآن الفجر﴾ ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاسناد عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (ع) وفي هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات اول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتهما من عند زوال الشمس إلى غروبها إلا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتهما من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه وإلى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله قم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً فلا يكون صلاة إلا بقراءة ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ خطاب للنبي ﷺ اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجداً والمتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتحرج والمتأثم ﴿نافلة لك﴾ أي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت

فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فإن كل انسان يخاف ان لا يقبل فرضه فيكون نفله كفارة والنبي لا يحتاج إلى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وإنما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاقتداء به والحث على الاستنان بسنته ﴿عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا﴾ عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي يبعثك يوم القيامة بعثاً انت محمود فيه ويجوز ان يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري اي اثرته وأقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاماً محمودا يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطي وتشفع فتشفع وقد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون ﷺ أول شافع وأول مشفع ﴿قل﴾ يا محمد ﴿رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ المدخل والمخرج هنا مصدر الأدخال والأخراج فالتقدير ادخلني ادخال صدق واخرجني اخراج صدق وفي معناه اقوال (أحدها) ان المعنى ادخلني في جميع ما أرسلتني به أدخال صدق واخرجني منه سالماً اخراج صدق أي اعنّي على الوحي والرسالة عن مجاهد (وثانيها) ان معناه ادخلني المدينة واخرجني منها إلى مكة للفتح عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير (وثالثها) انه ﷺ أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر والمراد ادخلني كل أمر مدخل صدق عن أبي مسلم (ورابعها) ان المعنى ادخلني القبر عند الموت مدخل صدق واخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وإنما اضاف الأدخال والاخراج اليه سبحانه وان كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين والدنيا ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ أي اجعل لي عزاً امتنع به ممن يحاول صدّي عن إقامة فرائضك وقوة تنصرني بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكاً عزيز اقهر به العصاة فنصر بالرعب حتى خافة العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الاديان الباطلة عن مجاهد قال وسمّاه نصيراً لأنه تقع به النصرة على الاعداء فهوكالمعين﴿وقل﴾ يا محمد ﴿جاء الحق﴾ أي ظهر الحق وهو الاسلام والدين ﴿وزهق الباطل﴾ أي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهق بطل واضمحل عن قتادة.وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت

ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً اورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك واهل مكة يقولون ما رأينا رجلاً اسحر من محمد ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ أي مضمحلاً ذاهباً هالكاً لا ثبات له.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناء بجانبه ممدودة مهموزة وفي حمّ مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شعيب السوسي عن اليزيدي ونصير عن الكسائي نئي بفتح النون وكسر الهمزة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نئي بكسر النون والهمزة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهمزة في وزن نعى.

[ الحجة ] قال أبو علي ناء مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورآء قال.

فَكُـلُّ خَلِيـلٍ رَاءَنـي فَهْـوَ قَـائِـلٌ ... مِنَ اجْلِكَ هٰـذَا هَـامَـةُ الْيَـوْمِ أَوْغَـدِ[1]

ومن امال الفتحتين فلأن الألف منقلبة من الياء التي في النأي فإذا أراد أن ينحو نحوها امال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقد قالوا رأيت عماداً فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يجرون الحركة مجرى الحرف في اشياء ومن فتح النون وكسر الهمزة فإنه لم يمل الفتحة الاولى لإمالة الفتحة الثانية كما لم يميلوا الألف لإمالة الألف في رأيت عماداً.

[ اللغة ] الشاكلة الطريقة والمذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعة.

---

(١) قائله كثير وهامة اليوم أو غد أي يموت اليوم أو غداً.

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن القرآن فقال ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ووجه الشفاء فيه من وجوه ﴿منها﴾ ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ﴿ومنها﴾ ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة البالغة حدَّ الاعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل والشك والعمى في الدين ويكون شفاء للقلوب (ومنها) انه يتبركُ به وبقراءته ويستعان به على دفع العلل والاسقام ويدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار على ما تقتضيه الحكمة (ومنها) ما فيه من ادلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع والأمثال والحكم وما في التعبد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصَّهم بذلك لأنهم المنتفعون به ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ ومعناه انهم لا يزدادون عند إلا خساراً يخسرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم التدبر له والتفكر فيه وهذا كقوله فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ويحتمل ان يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم وما يأتمرون به من الكيد والمكر بالنبي ﷺ فيفتضحون بذلك ﴿وإذا أنعمنا على الانسان اعرض﴾ عن ذكرنا أي ولّى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهال ﴿ونأى بجانبه﴾أي بعد بنفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم ﴿وإذا مسّه الشركان يؤوسا﴾ معناه وإذا أصابه المحنة والشدة والفقر لم يصبر وكان قنوطاً من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية خاصاً وإن كان اللفظ عاماً وسمى الأمراض والبلايا شراً لكونها شراً عند الكافر من حيث لا يرجو ثواباً ولا عوضاً ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب ﴿قل﴾ يا محمد لهم﴿كلّ يعمل على شاكلته﴾ أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال ﴿فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي انه يعلم أيُّ الفريقين على الهدى وأيُّهما على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بمن هو اصوب ديناً واحسن طريقاً وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية ارجى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّن

ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ
لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن
يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ
أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

[ **اللغة** ] الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كأن كلَّ واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف تصيير الشيء دائراً في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصييره دائراً في المعاني المختلفة .

[ **الإعراب** ] ألا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك لا يأتون مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب ان واللام في لئن موطئة للقسم دالة عليه والتقدير فوالله لا يأتون بمثله ومثله قول كثير .

لَئِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِها وَأَمْكَنَني مِنْهَا إذاً لا أُقيلُها(١)

[ **المعنى** ] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿**ويسئلونك**﴾ يا محمد ﴿**عن الروح**﴾ اختلف في الروح المسؤول عنه على اقوال (أحدها) انهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الانسان ما هو ولم يجبهم وسأله عن ذلك قوم من اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فإنما عدل النبي ﷺ عن جوابهم لعلمه بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لازدادوا عناداً وقد قيل ان اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فإنا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم وان يكلهم في معرفة الروح إلى ما في عقولهم ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالة لنبوته (وثانيها) أنهم

(١) مر البيت في صفحة ٢١٩ .

سألوا عن الروح أهي مخلوقة محدثة أم ليست كذلك فقال سبحانه ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من فعله وخلقه وكان هذا جواباً لهم عما سألوه عنه بعينه وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أم جبرائيل (ع) على قول الحسن وقتادة أم ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي (ع) أم عيسى (ع) فإنه قد سمي بالروح (وثالثها) ان المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزاً وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفاً لأنواع كلامنا من الخطب والاشعار وقد سمى الله تعالى القرآن روحاً في قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا فقال سبحانه قل يا محمد ان الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزله دلالة علي دلالة نبوتي وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب ايضاً موقعه وأما على القول الأول فيكون معنى قوله الروح من أمر ربي هو من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يطلع عليه أحد واختلف العلماء في ما هية الروح فقيل انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب اكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن إلا ان منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحياة التي يتهيأ به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هو معنى في القلب عن الاسواري وقيل ان الروح الانسان وهو الحي المكلف عن ابن الأخشيد والنظام وقال بعض العلماء ان الله تعالى خلق الروح من ستة اشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع بالاذنين ويكون طيباً فإذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون باقياً فإذا فارقه الروح بلي وفني ويكون حياً وبخروجه يصير ميتاً ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً ويكون علوياً لطيفاً توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قد بليت في التراب وقوله ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيره إذا لم يبين له الروح ومعناه وما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلا قليلاً أي شيئاً يسيراً لأن غير المنصوص عليه أكثر فإن معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾

يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان آخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكني دبرتك بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج إليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وان توهم قوم انه مما تحتاج إليه فتدبر أنت بتدبير ربك وارض بما اختاره لك ﴿**ثم لا تجد لك به علينا وكيلا**﴾ أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدرك وصدر أمتك حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظاً يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن وابي مسلم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع عن القرآن ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ معناه لكن رحمة من الله ربك لك أعطاك ما أعطاك من العلوم ومنعك ما منعك منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿**إن فضله كان**﴾ فيما مضى وفيما يستقبل ﴿**عليك كبيراً**﴾ عظيماً إذ اختارك للنبوة وخصّك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم ربك النبيين واعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾ معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متعاضدين على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والخلو من التناقض واللفظ المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ أي معيناً على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال أبو مسلم وفي هذا ايضاً دلالة على ان السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيّه ﷺ أن يجيئهم به ﴿**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ معناه لقد بيّنا لهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والعبر والأحكام وما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها ﴿**فأبى اكثر الناس إلا كفوراً**﴾ اي جحوداً للحق والمثل قد يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبهه .

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن
زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا
كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾
وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ
بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تُفجرّ بضم التاء وتشديد الجيم وقرأ أبو جعفر وابن عامر كِسَفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كِسْفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ اهل العراق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا أبو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي والباقون قل على الأمر.

[ **الحجة** ] من قرأ تُفجِرّ بالتشديد فلأنهم ارادوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحداً فلتكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرّب زيد إذا كثر منه فعل الضرب ومن قرأ تَفْجُر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتُفجِّر الأنهار خلالها تفجيراً لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثقيل فيه والكِسَف القِطَع واحدتها كِسْفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل سِدْرَة وسِدْر قال أبو زيد كسفت الثوب اكسِفه كَسْفاً إذا قطعته قال أبو علي إذا كان المصدر الكَسْف فالكِسْفُ الشيء المقطوع كالطَّحْن والطِحَن والسَّقْي والسِقي ونحو ذلك فجاز ان يكون قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصبَ كسفاً على الحال والحال ذو الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى أو تسقط السماء علينا مقطعة أو قطعاً ومن قرأ قال سبحان ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحان ربي ومن قرأ قل فهو على الأمر له بأن يقول ذلك .

[ اللغة ] التفجير التشقيق عما يجري من ماء أو ضياء ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق والينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار والقبيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى تأتي بهم حتى نراهم مقابلة أي معاينة وانشد غيره.

نُصَـالِحُكُمْ حَتَّى تَبوؤا بِـمِثْـلِها كَصَـرْخَـةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَـا قَبِلُهـا[1]

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه وزخرفته كالذهـب ويقال في الصعود رقيت ارقى رُقِياً وفيما تداويه بالرقية رقيت أرقى رُقية ورقيا.

[ النزول ] قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان ابن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمـد فكلّموه وخاصموه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ﷺ اليهم ظناً منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصاً على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا نعلم احـداً ادخل على قـومه مـا ادخلت على قومـك شتمت الألهة وعبت الـدين وسفهت الأحلام وفرّقت الجماعة فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالاً اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سوّدناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الاطباء فقال ﷺ ليس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولاً وأنزل كتاباً فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والأخرة وإن تردّوه اصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذن ليس أحد اضيق بلداً منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا انهاراً كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق أم باطل فقال ﷺ ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك ويجعل لنا جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب فقال ﷺ ما بهذا بعثت وقد جئتكم بما بعثني الله به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط

(١) ويروى «بشرتها ـ يسرتها قبيلها ـ قبولها» والقبيل والقبول كلاهما بمعنى القابلة، سميت بذلك لقبولها الولد وقوله «اسلمتها قبيلها» أي يئست منها قاله في اللسان.

علينا السماء كما زعمت ان ربك إن شاء فعل ذلك قال ذاك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً فقام النبي ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أموراً فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك ابداً حتى تتخذ سُلّما إلى السماء ثم ترقى فيه وانا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال أبو جهل انه أبى إلا سبُّ الآلهة وشتم الآباء وأنا أعاهد الله لأحملن حجراً فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات .

[ **المعنى** ] لمّا بيَّن سبحانه فيما تقدّم اعجاز القرآن عقَّب ذلك البيان بأنهم أبوا الا الكفر والطغيان واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال ﴿**وقالوا لن نؤمن لك**﴾ أي لن نصدّقك فيما تدعي من النبوة ﴿**حتى تفجر لنا من الأرض**﴾ أي تشقّق لنا من ارض مكة فإنها قليلة الماء ﴿**ينبوعاً**﴾ أي عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة ﴿**أو تكون لك جنة**﴾ وهي ما تجنّه الاشجار أي تستره ﴿**من نخيل وعنب فتفجر الأنهار**﴾ من الماء ﴿**خلالها**﴾ اي وسطها ﴿**تفجيراً** ﴾ أي تشقيقاً حتى يجري الماء تحت الأشجار ﴿**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً**﴾ أي قطعاً قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوّفتنا به من انشقاق السماء وانفطارها وقيل معناه كما زعمت انك نبي تأتي بالمعجزات ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلا**﴾ أي كفيلاً ومعناه تأتي بكل واحد حتى يكون كفيلا ضامناً لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبيلا أي مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتادة وهذا يدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ أي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن ﴿**أو ترقى في السماء**﴾ أي تصعد ﴿**ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه**﴾ أي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتاباً من الله شاهداً بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يريد كل امرىء بمنهم ان يؤتي صحفاً منشرة ﴿**قل سبحان ربي**﴾ أي تنزيها له من كل قبيح وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب انكم تتخيرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجبه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيماً له عن ان يحكم عليه عبيده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لما قالوا تأتي بالله وترقى في السماء الى الله

لاعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحان ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والنزول وقيل معناه تنزيهاً له عن ان يفعل المعجزات تابعاً للاقتراحات **﴿هل كنت إلا بشراً رسـولاً﴾** معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقـدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى إنما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحه وقد فعل فلا تطالبوني بمـا لا يطالب بـه البشر **﴿ومـا منع النـاس ان يؤمنـوا﴾** أي وما صـرف المشركين عن الإيمـان أي التصديق بـالله وبرسـوله **﴿إذا جـاءهم الهـدى﴾** أي حين أتاهم الحجـج والبينات **﴿إلا ان قـالوا﴾** أي الاقـولهم **﴿ابعث الله بشراً رسـولاً﴾** دخلت عليهم الشبهة في انـه لا يجوز ان يبعث الله رسـولاً الا من الملائكـة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهوها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فـالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع **﴿قل﴾** يا محمد **﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾** أي ساكنين قاطنين **﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾** منهم عن الحسن وقيـل معناه مطمئنين إلى الدنيـا ولذاتهـا غير خـائفين ولا متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا اليهم ملكاً ليكونوا إلى الفهم اليه اسرع عن أبي مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمد فأزعجنا وشوّش علينا أمرنـا فبيّن سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسـل اليهم فكذلـك كون النـاس مطمئنين لا يمنـع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج اليه من الملائكة فكيف انكروا ارسال الرسـول اليهم مع كونهم مطمئنين (سؤال) قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكاً ليس من جنسه فالأجاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضاً ملكاً ليس من جنسهم ( وجوابه ) ان صاحب المعجزة قد اختير للنبوة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضاً بخلاف الأمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت اليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى
الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ
رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

[ اللغة ] الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد.

وَسْطَهُ كَالْيَرَاعِ أَوْ سُرُجِ الْمِجْدَلِ حِيناً يَخْبُو وَحِيناً يُنِيرُ(١)

وقال آخر:

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً فَيَخْبُو سَاعَةً وَيُنِيرُ سَاعاً

والقتر التضييق والقتور فعول منه للمبالغة ويقال قتر يقتر وتَقَتَّرَ واقتر وقَتَّرَ إذا قدر في النفقة.

[ الإعراب ] كفى بالله المفعول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيداً تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضلل كلاهما شرط ووحد الضمير المتصل بيهدي ويضلل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم اولياء ونحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيراً الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع متلظ ومتسعر ولولا ذلك لم يجز مجيء الحال عنها ويجوز ان تكون الجملة لا محل لها من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو

(١) هذا البيت من قصيدة يعظ فيها النعمان بن المنذر ومطلعها «أرواح مودع أم بكور* أنت فانظر لاي ذاك تصير».

انتم تملكون . أنتم مرفوع بفعل مضمر يفسِّره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال.

لَـوْ غَيْـرُكم عَـلِقَ الـزُّبَيْـرُ بِحَبْـلِهِ أَدَّى الْجِـوارَ إِلىٰ بَنِـي الـعَـوَّامِ(١)

[ المعنى ] ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ اني رسول الله اليكم وقد مرَّ معناه في سورة الرعد(٢) ﴿أنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد ﴿ومن يهد الله فهو المهتدي﴾أي من يحكم الله بهداه فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته على الحقيقة﴿ومن يضلل﴾ أي ومن يحكم بضلاله ﴿فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي لن تجد لهم أنصاراً يقدرون على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة ﴿ونحشرهم﴾ أي نجمعهم ﴿يوم القيامة على وجوههم﴾ أي يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في اهانته وتعذيبه وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿عميا وبكما وصماً﴾ قيل المعنى عميا عما يسرّهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صماً عما يمتعهم عن ابن عباس أي كأنهم عدموا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكما جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص وصماً لتركهم سماع الحق واصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلموني وقيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن ﴿مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ أي مستقرّهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالاً فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصول النار إلى مقاتلهم ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي تقدم ذكره من العقاب ﴿جزاؤهم﴾ استحقوه ﴿بأنهم كذبوا﴾ [ كذا في النسخ والصواب كفروا](٣)﴿بآياتنا﴾ أي بتكذيبهم بآيات الله ﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا﴾ مثل التراب مترضضين ﴿أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ مرَّ معناه في هذه السورة ﴿أو لم يروا﴾ أي أو لم يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض

(١) مر البيت في ج ٢

(٢) في صفحة ٤٦٢ من هذه الطبعة .

(٣) قد خلت المخطوطة مما اوردناه بين المعقفتين وكانه مكتوباً في هامش بعض النسخ فأدخله الناسخ في المتن سهواً

قادر على ان يخلق مثلهم﴾ لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل او أمثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق امثالهم كان قادراً على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على أن يخلقهم ثانياً وأراد بمثلهم إياهم وذلك ان مثل الشيء مُساوٍ له في حالته فجاز ان يعبَّر به عن الشيء نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كمثله شيء وتمَّ الكلام ههنا ثم قال سبحانه ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه أنه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلا يعيشون اليه ويخترمون عنده لا شك فيه ﴿فأبى الظالمون﴾ لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصي ﴿إلا كفوراً﴾ أي جحوداً بآيات الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضدّه لأن منزلته في المقدور منزلة مثله وفيه دلالة أيضاً على أنه يقدر على إعادته إذا كان مما يفنى وتصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ أي لو ملكتم خزائن أرزاق الله وقيل لو ملكتم مقدورات ربي أي ما يقدر عليه ربي من النعم إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته ﴿إذا لأمسكتم﴾ شحاً وبخلا ﴿خشية الإنفاق﴾ أي خشية الفقر والفاقة عن ابن عباس وقتادة وقيل خشية أن تنفقوا فتفتقروا عن السدي والمعنى لأمسكتم عن الانفاق خشية الفقر للإنفاق ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ أي بخيلاً عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال نفقت نفقات القوم إذا نفدت وأنفقها صاحبها أي أنفدها حتى افتقر وظاهر قوله ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ العموم وقد علمنا أن في الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فجاز الاطلاق تغليباً للأكثر وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وان عدّ جواداً بخل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج إليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والعاصي إفاضة من لا يخاف الحاجة .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ
لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

[ **القراءة** ] قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء والباقون بفتحها.

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كان ذلك قدحاً في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علماً صحيحاً كعلم العقلاء فصيَّر العقل حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع).

[ **اللغة** ] الثبور الهلاك ثبره الله يثبره ويثبره لغتان ورجل مثبور محبوس عن الخيرات قال:

إذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيِّ ... وَمَنْ قَالَ مِثْلَهُ مَثْبُورُ

وتقول العرب ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وما منعك منه ولفيف مصدر قولك لففت الشيء أي جمعته يقال لففته لفاً ولفيفاً ومن ذلك قولهم لففت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع قال الزجاج اللفيف الجماعات من قبائل شتى.

[ **المعنى** ] ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

عن ابن عباس والضحاك وقيل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والعصا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن أبي علي الجبائي أيضاً إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين ونقص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات آية واحدة وجعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهودياً قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسولﷺ فسأله عن هذه الآية فقال هو أن الا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبَّل يده وقال أشهد انك نبي ﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ هذا أمر للنبي ﷺ ان يسأل بني إسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فاسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى اهل الكتاب وقيل ان معنى السؤال ان تنظر ما في القرآن من اخبار بني إسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قرأ فَسَأَلَ بني إسرائيل بمعنى فسأل موسى فرعون بني إسرائيل.ان يرسلهم ﴿فقال له فرعون إني لاظنك يا موسى مسحوراً﴾ أي معطى على السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك وقيل معناه إني لأظنك ساحراً فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشؤوم وميمون في معنى شائم ويامن وقيل معناه إنك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذي بك وقيل مسحوراً أي مخدوعاً عن ابن عباس ﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ أنت يا فرعون ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ اي هذه الآيات ﴿ألا رب السماوات والأرض﴾ الذي خلقهن ﴿بصائر﴾ أي أنزلها حججاً وبراهين للناس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتي لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان علياً (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت ﴿واني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ معناه وإني لا علمك يا فرعون هالكاً لكفرك وانكارك عن قتادة والحسن وقيل أعلمك ملعوناً عن ابن عباس وقيل مخبولاً لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيداً عن الخير مصروفاً عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ معناه فأراد فرعون ان يزعج موسى ومن معه من ارض مصر وفلسطين والأردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم ﴿فأغرقناه ومن معه﴾ من جنوده ﴿جميعاً﴾ لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني إسرائيل أحد

﴿**وقلنا من بعده**﴾ أي من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿**لبني إسرائيل اسكنوا الأرض**﴾ أي أرض مصر والشام ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة**﴾ يعني يوم القيامة عن اكثر المفسرين أي وعد الكرة الآخرة وقيل اراد نزول عيسى عن الكبي وقتادة ﴿**جئنا بكم لفيفاً**﴾ معناه جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وقيل لفيفاً أي جميعاً أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد ﴿**وبالحق أنزلناه**﴾ معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك ﴿**وبالحق نزل**﴾ القرآن وتأويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو أن يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز أن يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز أن يكون المراد وانزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال أبو عبيدة انشدني رؤبة.

فِيهِ خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقْ ... كَأَنَّهُ فِي الْعَيْنِ تَوْلِيعُ الْبَهَقْ[1]

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد والبياض فقل كأنهما[2] قال فقال لي كأنَّ ذا ويلك توليع البهق ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ مبشراً بالجنة لمن أطاع ومنذراً بالنار لمن عصى.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ
وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ
سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ
أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ

(١) وفي اللسان في مادة ولع « فيها خطوط اهـ». والتوليع: التلميع من البرص. والبهق: بياض دون البرص.

(٢) قال ابن المنظور بعد ذكر القصة قال ابن بري: ورواية الاصمعي كأنها اي كان الخطوط «انتهى».

بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

[ **القراءة** ] القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروي عن علي « ع » وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرّقناه بالتشديد .

[ **الحجة** ] معنى فرّقناه فصّلناه ونزّلناه آية آية وسورة سورة ويدل عليه قوله على مكث والمَكث والمُكث لغتان .

[ **الإعراب** ] قرآنا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل وفاعل وهو قوله ﴿ **وبالحق أنزلناه على مكث** ﴾ في موضع نصب على الحال أي متمهلاً متوقفاً غير مستعجل يخرّون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر ان وسجداً نصب على الحال ان كان وعد ربنا إنْ هذه مخففة من الثقيلة وهي واللام دخلتا للتأكيد. أياً مّا تدعوا تدعوا مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أيٌّ وعلامة الجزم فيه سقوط النون وما مزيدة مؤكدة للشرط وأيا منصوب بتدعوا.

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم فقال ﴿ **وقرآنا فرقناه** ﴾ أي وأنزلنا عليك يا محمد قرآنا فصّلناه سوراً وآيات عن أبي مسلم وقيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خبراً وبعضه أمراً وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً وأنزلناه متفرقاً لم ننزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة ﴿ **لتقرأه على الناس على مكث** ﴾ أي على تثبت وتؤدة فترتله ليكون أمكن في قلوبهم ويكونوا أقدر على التأمل والتفكر فيه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء ﴿ **ونزلناه تنزيلاً** ﴾ على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروي عن ابن عباس أنه قال لئن أقرأ سورة البقرة وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن هَذّاً[1] وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث واقرأوا في سبع ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **آمنوا به** ﴾ أي بالقرآن ﴿ **أو لا تؤمنوا** ﴾ فإن إيمانكم ينفعكم ولا

(١) الهذ: سرعة القراءة .

ينفع غيركم وترككم الإيمان يضرُّكم ولا يضرُّ غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله** ﴾ أي أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فعلموا صفة النبي ﷺ قبل مبعثه عن ابن عباس وقيل أنهم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم وقيل أنهم أمة محمد ﷺ عن الحسن ﴿ **إذا يتلى عليهم** ﴾ القرآن ﴿ **يخرُّون للأذقان سجداً** ﴾ أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة وإنما خصَّ الذقن لأن من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن مجمع اللحيين ﴿ **ويقولون سبحان ربنا** ﴾ أي تنزيهاً لربنا عز اسمه عما يضيف إليه المشركون ﴿ **إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ إنه كان وعد ربنا مفعولاً حقاً يقيناً ولم يكن وعد ربنا إلا كائناً ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون** ﴾ أي ويسجدون باكين اشفاقاً من التقصير في العبادة وشوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ﴿ **ويزيدهم** ﴾ ما في القرآن من المواعظ ﴿ **خشوعاً** ﴾ أي تواضعاً لله تعالى واستسلاماً لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك ﴿ **ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾ وذكر في سببه أقوال ( أحدها ) أن النبي ﷺ كان ساجداً ذات ليلة بمكة يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنى مثنى عن ابن عباس ( وثانيها ) أن المشركين قالوا أما الرحيم فنعرفه وأما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران ( وثالثها ) أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك ﴿ **أياً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ معناه أيَّ اسمائه تدعو وما هاهنا صلة كقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقيل هي بمعنى أيُّ شيء كررت مع أيِّ لاختلاف اللفظين توكيداً كما قالوا ما رأيت كالليلة ليلة وتقديره أيُّ شيء من أسمائه تدعونه به كان جائزاً فإن معنى أوفي قوله أو ادعوا الرحمن الإباحة أي أن دعوتم بأحدهما كان جائزاً وإن دعوتم بهما كان جائزاً فله الأسماء الحسنى فإن أسماءه تنبيء عن صفات حسنة وأفعال حسنة فأما اسماؤه المنبئة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحي السميع البصير القديم وأما اسماؤه المنبئة عن صفات أفعاله الحسنة فنحو الخالق والرازق والعدل والمحسن والمجمل والمنعم والرحمن والرحيم وأما ما أنبأ عن المعاني الحسنة فنحو الصمد فإنه يرجع إلى أفعال عباده وهو أنهم يصمدونه في الحوائج ونحو المعبود والمشكور بيَّن سبحانه في هذه الآية أنه شيء واحد وإن اختلفت أسماؤه وصفاته وفي الآية دلالة على أن الإسم عين المسمى وعلى أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب إليه مستحب وفيها أيضاً دلالة على أن الإسم عين المسمى وعلى أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب إليه مستحب وفيها أيضاً دلالة على أنه

سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن أسماءه حينئذ لا تكون حسنة فإن الأسماء قد تكون مشتقة من الأفعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهـا ﴾ اختلف في معناه على أقـوال ( أحدهـا ) أن معناه لا تجهر بإشاعة صلاتـك عند من يؤذيـك ولا تخافت بهـا عند من يلتمسهـا منك عن الحسن وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشتموه وآذوه فأمره سبحانه بترك الجهر وكان ذلك بمكة في أول الأمر وبه قال سعيد بن جبير وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله « ع » ( وثانيها ) أن معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت بها ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهـد وعطـا ومكحـول ونحوه روي عن ابن عبـاس ( وثالثها ) أن معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار عن أبي مسلم ( ورابعها ) لا تجهر جهراً يشغل به من يصلي بقـربك ولا تخـافت بها حتى لا تسمـع نفسك عن الجبـائي وقريـب منـه ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله « ع » أنه قال الجهر بها رفع الصوت شديداً والمخافتة ما لم تسمع أذنيك واقرأ قراءة وسطا ما بين ذلك وابتغ بين ذلك سبيلاً أي بين الجهر والمخافتة ولم يقل بين ذينك لأنه أراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك ﴿ وقـل الحمد لله الـذي لم يتخذ ولداً ﴾ فيكون مربوباً لا رباً لأن رب الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد ﴿ ولم يكن له شريك في الملك ﴾ فيكون عاجزاً محتاجـاً إلى غيره ليعينـه ولا يجوز أن يكـون الإلّه بهـذه الصفة ﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ أي لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز ولا يجوز أن يكون الإلّه بهذه الصفة قال مجاهد لم يذل فيحتـاج إلى من يتعزز به يعني أنه القادر بنفسه وكل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له وليٌ من أهل الذل لأن الكافر والفاسق لا يكون ولياً لله ﴿ وكبره تكبيراً ﴾ أي عظّمه تعظيماً لا يساويه تعظيماً ولا يقاربه وروي أن النبي ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل أن في هذه الآية ردّاً على اليهود والنصارى حين قـالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي ( سؤال ) قالوا كيف يحمد سبحانه أن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك والحمد إنما يستحق على فعل له صفة التفضل ( والجواب ) أنه ليس له الحمد في الآية على أنه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة وتوجه الحمد إلى من هـذه صفته كمـا يقال أنـا أشكر فـلاناً الجميل ولا نشكره على جماله بل على أفعاله .

# (١٨) سورة الكهف مكية وآياتها عشرة ومائة

مكية قال ابن عباس إلا آية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصن الفزاري .

[ **عدد آيها** ] مائة وإحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي .

[ **اختلافها** ] إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الأخير إني فاعل ذلك غدا غير الأخير ذرعاً ومن كل شيء سبباً عراقي شامي والأخير، هذه أبداً غير شامي والأخير، عندها قوماً غير الكوفي والأخير فاتبع سبباً الثلاث عراقي بالأخسرين أعمالاً عراقي شامي .

[ **فضلها** ] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ مضجعه كان له في مضجعه نور يتلألأ إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان في مكة فتلاها كان له نوراً يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ . سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال إلا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض قالوا بلى قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال وروى الواقدي بإسناده عن أبي الدرداء عن

النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضرّه ومن حفظ خواتيم سورة الكهف. كانت له نوراً يوم القيامة وروي أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه سورة بني إسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)

[ القراءة ] قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشمام الدال الضم وكسر الهاء والنون وقرأ الباقون بضم الدال وسكون النون وفي الشواذ كبرت كلمةٌ برفع كلمة قراه يحيى بن يعمر والحسن وابن المحيصن وابن أبي إسحاق والثقفي والأعرج بخلاف وعمرو بن عبيد .

[ **الحجة** ] قال أبو علي في لدن ثلاث لغات لَدُن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين ( أحدهما ) أن يحذف الضمة من الدال فيقال لَدْن ( والآخر ) أن يحذف الضمة من الدال وينتقل إلى اللام فيقال لُدْن مثل عُضْد في عَضُد وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان فمن قرأ من لُدْنِه بكسر النون فإن الكسرة فيه ليست كسرة إعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذاك أن الدال أسكنت كما أسكنت الباء في سبع والنون ساكنة فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما إشمام الدال الضمة فليعلم أن الأصل كان في الكلمة الضمة ومثل ذلك قولهم أنت تغزين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم وإن كان الإشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لإخراج الضمة وأما الجار في قوله من لدنه فيحتمل ضربين ( أحدهما ) أن يكون صفة متعلقاً بشديد ( والآخر ) أن يكون صفة للنكرة وفيها ذكر للموصوف .

[ **اللغة** ] العَوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصاً قائماً كالدين والكلام والقيم والمستقيم والباخع القاتل المهلك يقال بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً قال ذو الرمة :

أَلا أيُّهَـذا الْبَـاخِـعُ الْـوَجْـدِ نَفْسَـهُ[1] لِشَـيْءٍ نَـحَـتْـهُ عَـنْ يَـدَيْـهِ الْمَـقَـادِرُ

يريد نحَته فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو آسف وأسيف قال الأعشى .

تَـرىٰ رَجُـلاً مِنْهُـمْ أَسِيفـاً كَـأَنَّـهُ يَـضُمُّ إلىٰ كَشْحَيْـهِ كَـفّـاً مُخَضَّبـا

قَيِماً نصب على الحال من الكتاب والعامل فيه أنزل وقوله ﴿ إن لهم أجراً ﴾ تقديره بأن لهم أجراً فحذف الجار وماكثين نصب على الحال في معنى خالدين وقوله كبرت كلمة اختلف في نصب كلمة فقال السراج انتصب على تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلاً زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حُذف الأول لدلالة الثاني عليه ومثله كرم رجلاً زيد ولؤم صاحبا عمرو ويكون المخصوص بالتكبير في هذه المسألة محذوفاً لدلالة صفته عليه والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعاً على وجهين ( أحدهما ) أن يكون مبتدأ وما قبله الخبر (والآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب كلمة على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك

(١) الوجد: الحزن .

تصببت عرقاً وتفقأت شحماً والأصل كبرت كلمتهم الخارجة من أفواههم قال الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ[1] هُدْجَ الرِّيَالَ تَكُبُّهُنَّ شِمَالا

أي تكبهن الرياح شمالاً ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولداً كلمة كما قالوا للقصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من أفواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفاً لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة البتة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين ( أحدهما ) أن الحال يقوم مقام الوصف والثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر وأسفاً منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر :

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ الْخَلِيطُ الْمُوَدِّعُ وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عِزَّةَ الْمُتَقَطِّعُ

[ المعنى ] ﴿ الحمد لله ﴾ يقول الله سبحانه لخلقه قولوا كل الحمد والشكر لله ﴿ الذي أنزل على عبده ﴾ محمد ﷺ ﴿ الكتاب ﴾ أي القرآن وأنتجبه من خلقه وخصّه برسالته فبعثه نبياً رسولاً ﴿ ولم يجعل له عوجاً قيما ﴾ فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجاً وعنى بقوله قيماً معتدلاً مستقيماً مستوياً لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قيما على سائر الكتب المتقدمة يصدقها ويحفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قيما لأمور الدين يلزم الرجوع إليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها عن أبي مسلم وقيل قيماً دائماً يدوم ويثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجاً أي لم يجعله ملتبساً لا يفهم ومعوجاً لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافاً كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام أن يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل ومما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بيّن سبحانه الغرض في إنزاله فقال ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ﴾ ومعناه ليخوّف العبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذاباً شديداً ونكاراً وسطوة من عند الله تعالى إن لم يؤمنوا به ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان أن لهم ثواباً حسناً في الآخرة على إيمانهم

(١) تناوح الرياح : تقابلها في المهب .

وطاعاتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة ﴿ ماكثين فيه أبداً ﴾ أي لابثين في ذلك الثواب خالدين مؤبَّدين لا ينتقلون عنه ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ اي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن إسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكلبي فعمَّ جميع الكفار بالانذار في الآية الأولى وخصَّ في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولإصرارهم على الجهل وقلة التفكر ولصدّهم الناس عن الدين ﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم ﴾ أي ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا لآبائهم ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الأفواه توسعاً ومجازاً وإن كانت الكلمة عرضاً لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الأفواه تأكيداً والمعنى أنهم صرّحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح وأظهروها ﴿ أن يقولون إلا كذباً ﴾ أي ما يقول هؤلاء إلا كذباً وافتراء على الله ﴿ فلعلك ﴾ يا محمد ﴿ باخع نفسك على آثارهم ﴾ أي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً تمرداً منهم على ربهم ﴿ إن لم يؤمنوا ﴾ أي إن لم يصدّقوا ﴿ بهذا الحديث ﴾ أي بهذا القرآن الذي أنزل عليك ﴿ اسفا ﴾ أي حزناً وتلهفاً ووجداً بإدبارهم عنك وإعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثارهم أي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل أسفاً أي غيظاً وغضباً عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغاً يقربه إلى الهلاك .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

[ اللغة ] الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبت أكلاً يقال أرض جرز وأرضون أجراز وقال سيبويه يقال جرزت الأرض فهي مجروزة وجرزهما الجراز والنعم ويقال للسنة المجدبة الجرز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها قال الراجز « قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السِّنُونَ الأَجْرَازْ » ويقال أجرز القوم إذا صارت

أرضهم جرزاً وجرزوهم أرضهم إذا أكلوا نباتها كله .

[ **الإعراب** ] أيهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام أي لنختبر أهذا أحسن عملاً أم هذا وهو تعليق لما في الخبرة من معنى العلم .

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه أنه ابتدأ خلقه بالنعم وإن إليه مصير الأمم فقال ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض** ﴾ من الأنهار والأشجار وأنواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات ﴿ **زينة لها** ﴾ أي حلية للأرض ولأهلها ﴿ **لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** ﴾ أي لنختبرهم ونمتحنهم والمعنى لنعامل عبادنا معاملة المبتلي وقد سبق ذكر أمثاله والأحسن عملاً الأعمل بطاعة الله والأطوع له وقيل أن معنى الابتلاء الأمر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل أراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل أراد الأنبياء والعلماء ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾ معناه وانا مخربون الأرض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستوياً من الأرض يابساً لا نبات عليه وقيل بلاقع عن مجاهد وفي قوله أيهم أحسن عملاً دلالة على أنه سبحانه أراد من الخلق العمل الصالح وعلى أن أفعالهم الصادرة منهم حادثة من جهتهم ولولا ذلك لما صحّ الابتلاء وفي ذلك بطلان قول أهل الجبر .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

[ **اللغة** ] الكهف المغارة في الجبل إلا أنه واسع فإذا صغر فهو غار والرقيم أصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقمت الكتاب أرقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والأرقم الحية المنقشة لما فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة أي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والأوى

الرجوع والفتية جمع فتى وفعلة من أسماء الجمع وليس بناء يقاس عليه يقال صبي وصبية وغلام وغلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في بابه والضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلّطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج إذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريراً .

وَمِنَ الْحَوَادِثِ لا أَبَالَكَ أَنَّنِي ضُرِبَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِالأَسْدَادِ(١)

والحزب الجماعة والأمد الغاية قال النابغة :

إلاّ لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبْقَ الْجَوَادِ إذَا اسْتَوْلَىٰ عَلَى الأَمَدِ(٢)

**[ الإعراب ]** سنين نصب على الظرف وعدداً منصوب على ضربين ( أحدهما ) على المصدر المعنى تعدُّ عدداً ويجوز أن يكون نعتاً لسنين . المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الأشياء المعدودات أنك تريد توكيد كثرة الشيء لأنه إذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعد فالعدد في قولك أقمت أياماً عدداً إنك تريد بها الكثرة وجائز أن يؤكد بعدد معنى الجماعة في أنها قد خرجت من معنى الواحد قال وأمداً منصوب على نوعين ( أحدهما ) التمييز ( والآخر ) على أحصى أمداً فيكون العامل فيه أحصى كأنه قال لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ويكون منصوباً بلبثوا ويكون أحصى متعلقاً بلما فيكون المعنى أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد قال أبو علي إن انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلاً ماضياً أو أفعل نحو أحسن وأعلم فلا يجوز أن يكون أحصى بمعنى أفعل من كذا وغير مثال للماضي من وجهين ( أحدهما ) أنه يقال أحصى يحصي وفي التنزيل أحصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو أفعل من كذا وأما قولهم ما أولاه بالخير وما أعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه أن يحفظ ولا يقاس عليه ( والآخر ) إن ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو أكثر مالاً وأعز علماً يكون في المعنى فاعلاً ألا ترى أن المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى أن الأمد ليس هو الذي أحصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضياً كان المعنى لنعلم أيّ الحزبين أحصى أمداً للبثهم فيكون الأمد على هذا منتصباً بأنه مفعول به والعامل فيه أحصى .

(١) سدت على الطريق أي عميت على مذاهبي وواحد الإسداد أسد .

(٢) أمد الخيل في الرهان : مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها الذي تسبق إليه .

[ النزول ] محمد بن إسحق بإسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط أنفذهما قريش إلى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته وخبِّراهم بقوله ﴿ فإنهم أهل الكتاب الأول ﴾ وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة فسألا إحبار اليهود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالا لهم ما قالت قريش فقال لهما احبار اليهود اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فهو رجل متقول فرأوا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو وفي رواية أخرى فإن أخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصّا عليهم القصة فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه فقال أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكة وتكلموا في ذلك فشقَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل ( ع ) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه عن أمر الفتية والرجل الطواف وأنزل عليه ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الآية قال ابن إسحق فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل ( ع ) ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا ﴾ الآية .

[ المعنى ] ﴿ ﴿ أم حسبت ﴾ معناه بل أحسبت يا محمد ﴿ إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ فلخلق السماوات والأرض أعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سألوه عن القصة قيل له أحسبت أن هذا شيء عجيب حرصاً على إيمانهم حتى قوي طمعك إنك إذا أخبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصَّ الله أخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل إنه إسم الوادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى عما فيه عن ابن زيد وقيل إن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ليدعوا الله تعالى

كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعاً ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾ أي اذكر لقومك إذا إلتجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هرباً بدينهم إلى الله ﴿ **فقالوا** ﴾ حين آووا إليه ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة** ﴾ أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرِّج عنا ما نزل بنا ﴿ **وهيّيء لنا من أمرنا رشداً** ﴾ أي هيىء واصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هيىء لنا مخرجاً من الغار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على أمر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفاً من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو إليها ويقتل من خالفه وقيل أنه كان مجوسياً يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح أهل الإنجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يُسِرُّ كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم إتفق أنهم إجتمعوا وأظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل إنهم كانوا قبل بعث عيسى ( ع ) ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً** ﴾ معناه أنمناهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة لأن النائم إنما ينتبه بسماع الصوت ودلَّ سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً في أمن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ ﴿ **ثم بعثناهم** ﴾ أي أيقظناهم من نومهم ﴿ **لنعلم أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً** ﴾ أي ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في أمثاله فيما سبق والمعنى لننظر أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدَّ أمد لبثهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بيتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعني بالحزبين أصحاب الكهف لما إستيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله ﴿ **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم** ﴾ الآية .

[ **النظم** ] إتصل قوله ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف** ﴾ الآية بما قبلها من وجوه ( أحدها ) أنه لما أخبر عن زينة الأرض وعن الابتلاء عقَّبه بذكر الفتية التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها وأموالها حثاً على الإقتداء بهم ( والآخر ) إنه اتصل بقوله ﴿ **فعلك باخع نفسك على آثارهم** ﴾ أي فلا تأسف عليهم لأنه لا يضرك كفرك والله ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف ( والثالث ) إنه اتصل بقوله ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ أي وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف .

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟
مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
فَأْوُۥٓا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم
مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

[ القراءة ] قرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر مَرْفِقاً بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مِرْفَقاً بكسر الميم وفتح الفاء .

[ الحجة ] قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللغتين جميعاً في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقاً أي شيئاً يرتفقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقاً جعله إسماً مثل المسجد أو يكون لغة قال أبو علي قوله جعله إسماً أي جعل المرفق إسماً ولم يجعلوه إسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله ﴿ أو يكون لغة ﴾ أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلع ونحوه ولو كان على القياس لفتحت اللام .

[ اللغة ] الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه وأصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الجارية تشط شطاً وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه والإعتزال التنحي عن الأمر والتعزل بمعناه قال :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّتِي أَتَعَزَّلُ  حَذَرَ الْعِدَىٰ وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ(١)

(١) قائله الأحوص .

وسمي عمرو بن عبيد وأصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن .

[ **الإعراب** ] كسر إنهم فتية على الإستئناف . إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططاً منصوب على المصدر . المعنى لقد قلنا قولاً شططاً وما يعبدون في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم في إعتزلتموهم والمراد الأصنام التي يعبدونها من دون الله ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وعبادتهم إلا عبادة الله فحذف المضاف والاستثناء على هذا من الهاء والميم وإن جعلت ما موصولة كان الإستثناء من مفعول يعبدون إستثناء منقطعاً .

[ **المعنى** ] ثم بيّن سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال ﴿ **نحن نقص عليك** ﴾ أي نتلو عليك يا محمد ﴿ **نبأهم** ﴾ أي خبرهم ﴿ **بالحق** ﴾ أي بالصدق والصحة ﴿ **إنهم فتية** ﴾ أي أحداث وشباب ﴿ **آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالألطاف المقوّية لدواعيهم إلى الإيمان وحكم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الإيمان وقيل الفتوة بذل الندى وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي إجتناب المحارم واستعمال المكارم ﴿ **وربطنا على قلوبهم** ﴾ أي شددنا عليها بالإلطاف والخواطر القويّة للإيمان حتى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن ﴿ **إذ قاموا** ﴾ أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم ﴿ **فقالوا** ﴾ بين يديه ﴿ **ربنا رب السماوات والأرض** ﴾ أي ربنا الذي نعبده خالق السماوات والأرض ﴿ **لن ندعو من دونه إلّهاً** ﴾ أي لن نعبد إلّهاً سواه معه ﴿ **لقد قلنا إذاً شططا** ﴾ معناه إن دعونا مع الله إلّهاً آخر فلقد قلنا إذاً قولاً مجاوزاً للحق غاية في البطلان ﴿ **هؤلاء قومنا** ﴾ أي أهل بلدنا ﴿ **اتخذوا من دونه** ﴾ أي من دون الله ﴿ **آلهة** ﴾ يعبدونها ﴿ **لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن** ﴾ أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ذم زجر للتقليد وإشارة إلى أنه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ فزعم أن له شريكاً في العبادة ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله** ﴾ قال ابن عباس وهذا من قول تمليخا وهو رئيس أصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام وفارقتم ما يعبدون أي أصنامهم إلا الله فإنكم لن تتركوا عبادته وذلك إن أولئك كانوا يشركون بالله ويجوز أنه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فيكون الإستثناء متصلاً ويجوز أن يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الإستثناء منقطعاً

﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ أي صيروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ أي يبسط عليكم ربكم من نعمته ﴿ ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف عن ابن عباس وكلما ارتفقت فهو مرفق وقيل معناه ويصلح لكم من أمر معاشركم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا بإظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق .

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر ويعقوب تَزْوَرُّ بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تزاور بالتخفيف والباقون تَزَّاوَرُ بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز لملّئت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجحدري تَزْوارُّ وقراءة الحسن وتَقَلُّبهم بفتح التاء والقاف والباء وضم اللام .

[ **الحجة** ] من قرأ تزّاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تزاور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أولئك بالإدغام ومن قرأ تَزْوَرُّ فقد قال أبو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور عني أي منقبض عني يدل عليه قول عنترة :

فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ الْقَنَـا بِلَبَـانِـهِ وَشَكَـا إِلَيَّ بِـعَبْـرَةٍ وَتَـحَمْـحُمِ[1]

(١) يصف فرسه وشكواه من وقوع الرماح على صدره في الحرب . واللبان : الصدر . والتحمحم : حنين الفرس في صهيله .

قال أبو علي والذي حسن القراءة به قول جرير :

عَسَفْنَ عَنِ الأَداعِسِ مِنْ مَهيلٍ وَفِي الأَظْعانِ عَنْ طَلْحَ ازْوِرارُ(١)

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل إستعماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الأزويرار وقوله ﴿ لملئت منهم ﴾ بالتشديد للتكثير قال أبو الحسن الخفيفة أجود لا يكادون يقولون ملأ مني رعباً وإنما يقولون ملأتني رعباً قال أبو علي يدل على قول أبي الحسن قول امرىء القيس « فَتَمْلأُ بَيْتَنا أقطاً وَسَمْناً »(٢) وقول الأعشى « وَقَدْ مَلَئَتْ بَكْرُ وَمَنْ لَفَّ لَفُّها » وانشدوا في التثقيل قول المخبل السعدي « فمّلأَ مِنْ كَعْب بْنِ عَوْفٍ سَلاسِلُه » ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دلَّ عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم .

[ اللغة ] القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجذاني يجذوني بمعنى قال ذو الرمة :

إلىٰ ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجْوازَ مُشْرِفٍ شِمالاً وَعَنْ أيْمانِهِنَّ الْفَوارِسُ(٣)

ويستعمل القرض في أشياء غير هذا منه القطع للثوب وغيره ومنه المقراض ومنه قرض الفأر قال أبو الدرداء « إن قارضتهم قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك » يعني إن طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وإن تركتهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلغة الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الأغلب العجلي « أرجزا تريد أم قريضاً » والفجوة المتسع من الأرض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والإيقاظ جمع يقظ ويقظان قال الراجز « ووجدوا إخوتهم إيقاظاً » والرقود جمع راقد ورقد يرقد رقاداً ورقوداً والوصيد من أوصدت الباب أي أغلقته وجمعه وصائد ويقال وصيد وأصيد وأوصدت وأصدت مثل ورخت الكتاب وأرخته ووكدت الأمر وأكدته .

[ الإعراب ] وترى الشمس إلى قوله ﴿ وهم في فجوة ﴾ منه متعلق بالرؤية وقوله ﴿ إذا

(١) الدعس : الأثر . والمهيل : التل من الرمل . والطلح : موضع .

(٢) بعده « وحسبك من غنى شبع وري » .

(٣) الظعن : جمع الظعينة : الهودج . والأجواز جمع الجوز : وسط الشيء . ومشرف والفوارس : موضعان يقول نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين .

طلعت وإذا غربت ﴾ كلاهما بجوابهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكلبهم باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وإن كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار إليهما حاضرين حين قصَّ القصة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه على تلك الحال قصَّ القصة. فهو المهتدي كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الأعراف بالياء وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الأسماء واقع إذاً لم يكن الألف واللام نحو مهتدٍ فادخلت الألف واللام وترِك الحرف على ما كان عليه ودلَّت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج لو اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر أجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والأصل في إلتقاء الساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك أحسن نحو أوِ انْقُص قرىء بالضم والكسر. فراراً منصوب على المصدر لأن معنى وليت فررت ورعباً منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقاً وامتلأ الإناء ماء.

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه حالهم في الكهف فقال ﴿ وترى الشمس ﴾ أي لو رأيتها لرأيت ﴿ إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ﴾ أي تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين ﴿ وإذا غربت تقرِضهم ﴾ أي تعدل عنهم وتتركهم ﴿ ذات الشمال ﴾ إلى جهة الشمال شمال الكهف أي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم أي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ أي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعاً داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وينالهم نسيم الريح ثم أخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه إيّاهم في مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع لرقادهم فبوّأهم مكاناً من الكهف مستقبلاً بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرُّها أو تغير ألوانهم أو تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ أي من أدلته وبرهانه ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ مثل أصحاب الكهف ﴿ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ مثل قوم أصحاب الكهف ﴿ وتحسبهم إيقاظاً ﴾ أي لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين ﴿ وهم رقود ﴾ أي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا ولا يتكلمون وقيل إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ معناه ونقلبهم تارة عن اليمين إلي الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا

لأكلتهم الأرض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيل كانوا يقلّبون كل عام تقلبتين عن أبي هريرة وقيل كان تقلبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله ﴿ وكلبهم ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين أنهم هربوا من ملكهم ليلاً فمرُّوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل أنهم مرُّوا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانة فأنا أحبُّ أولياء الله فناموا حتى أحرسكم عن كعب وقيل كان ذلك كلب صيدهم وقيل كان ذلك الكلب أصفر اللون عن مقاتل وقيل كان أنمرواسمه قطمير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن أن ذلك الكلب مكث هناك ثلاث مائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام ﴿ باسط ذراعيه ﴾ هو أن يلقيهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع ﴿ بالوصيد ﴾ أي بفنا الكهف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل بالباب وقيل بباب الفجوة أو فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم إنصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كان بالقرب من الباب ولما إنصرفوا آيسين عنهم فإنهم سدّوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كِنّاً عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الوصيد عتبة الباب عن عطا ﴿ لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ﴾ معناه لو أشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حالتهم لفررت عنهم وأعرضت عنهم هرباً لاستيحاشك الموضع ﴿ ولملئت منهم رعباً ﴾ أي ولملىء قلبك خوفاً وفزعاً وذلك إن الله منعهم بالرعب لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يمتنع أن الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدُّوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفاً لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل إنهم كانت أظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم ﴿ لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاوية نحو الروم فمرّوا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى ﴿ لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث رجالاً فلما دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ

كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ
تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

[ القراءة ] قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة وخلف بوَرْقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن أبي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة أبي رجاء بورقكم بكسر الواو والإدغام .

[ الحجة ] في ورقكم أربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جني هذا عند أصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم برد وبرق وللقراء في هذا عادة أن يعبروا عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم .

[ الإعراب ] كم لبثتم تقديره كم يوماً لبثتم فكم منصوبة بلبثتم والمميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوماً أو بعض يوم فلينظر أيها ازكى طعاماً الجملة التي هي أيها ازكى مفعول فلينظر وطعاماً تمييز .

[ المعنى ] ﴿وكذلك بعثناهم﴾ معناه وكما فعلنا بهم الأمور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة وأحييناهم من تلك النومة التي أشبهت الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينتبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقيناً إلى يقينهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ في نومكم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ وهذا القائل هو تمليخا رئيسهم عن ابن عباس ردُّ علم ذلك إلى الله تعالى

﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ والورق الدراهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس ﴿إلى المدينة﴾ يعني المدينة التي خرجوا منها ﴿فلينظر أيها ازكى طعاماً﴾ أي أطهر وأحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأنَّ عامتهم كانت مجوساً وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاماً عن الكلبي وقيل أكثر طعاماً من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستحله اصحاب الكهف ﴿فليأتكم برزق منه﴾ أي فليأتكم بما ترزقون أكله ﴿وليتلطف﴾ أي وليدقق النظر ويتحيل حتى لا يطلع عليه وقيل وليتلطف في الشراء فلا يماكس البائع ولا ينازعه ﴿ولا يشعرن بكم احداً﴾ أي لا يخبرنَّ بكم ولا بمكانكم احداً من أهل المدينة ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ أي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يؤذوكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي يردُّوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذا ابدا﴾ معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبداً بشيء من الخير ومتى قيل من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصحُّ الآية فالجواب يجوز أن يكون أراد يعيدوكم الى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في اظهار الكفر .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

[ اللغة ] عثر على الشيء يعثر عثراً إذا طلع عليه واعثرت عليه غيري والعاثور حفرة تحفر ليصطاد به الاسد يقال للرجل إذا تورط وقع في عاثور وأصله من العثار والمراء الجدال ما ريت الرجل امارية مراء .

[ الإعراب ] إذ يتنازعون يجوز أن يكون منصوباً بقوله اعثرنا أي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في أمرهم ويجوز أن يكون منصوباً بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وثامنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف ورابعهم كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينهما ان السبعة أصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الأمور سبعة سبعة وأقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاماً طويلاً سنألخصه لك وأهذبه فضل تهذيب قال إن الجملتين الملتبسة احداهما بالاخرى وهي ان تكون غير اجنبية منها على ضربين ( أحدهما ) ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على أربعة أضرب ( أحدها ) أن تكون صفة ( والآخر ) أن تكون حالاً ( والثالث ) أن تكون تفسيراً ( والرابع ) أن لا تكون على أحد هذه الأوجه الثلاثة لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى أو ممن فيها فالأول نحو مررت برجل أبوه قائم وبغلام يقوم ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصّصه فلو عطفت لخرجت بالعطف من ان تكون صفة لأن العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في اعراب الأول والصفة هو الموصوف في المعنى ( واما ) الثاني وهو أن تكون حالاً فلا مدخل لحرف العطف عليه أيضاً لأن الحال مثل الصفة في انها تفرق بين هيأتين أو هيآت كما ان الصفة تفرق بين موصوفين أو موصوفات وهي مثل المفعول في أنها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما أن تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيداً يضحك وجاء زيد أبوه منطلق قال الشاعر :

وَلَوْلا جَنانُ اللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ إلىٰ جَعْفَرٍ سِرْبالُهُ لَمْ يُمَزَّقِ[1]

( وأما ) الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيراً لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مغفرة وأجر عظيم فالمغفرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى **﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم﴾** ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون على لفظ الخبر ومعناه الأمر بدلالة قوله يغفر لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبراً فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا ( وأما ) الرابع الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين ( أحدهما ) بحرف عطف كما يتبع الأجنبية إياها بحرف عطف وذلك نحو زيد أبوك وأخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو نحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ويقول في آية أخرى وكانوا يصرّون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم والدليل على أن هذا نوع آخر خارج عن الأنواع الثلاثة أن قوله وثامنهم كلبهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالاً أو صفة أو تفسيراً أو جملة منقطعة من الأول ولا يجوز أن يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملاً في الحال والحال لا بدَّ لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمر هذا وما أشبهه من أسماء الاشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الإخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز أن يكون تفسيراً لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز أن يكون شيء من جزء الجملة التي هي رابعهم كلبهم شيئاً من جزء التي هي هم ثلاثة ولا يجوز أيضاً أن يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من أحد أمرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اسماء الفاعلين الجارية على أفعالها فيرتفع ما بعده به واما أن يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبراً ولا يجوز الأول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الانفصال وانما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما أعرب من الأفعال المضارعة ما كان حاضراً وآتياً كذلك لم يعمل الماضي من

(١) قائله سلامة بن جندل وجنان الليل اي ما ستر من ظلمته . وآب : رجع والشاهد في سرباله لم يمزق » فإن هذه جملة اسمية من مبتدأ وخبر وقد وقعت حالاً من عامر الذي هو فاعل « آب » وقد ربط الشاعر جمله الحال الاسمية بالضمير .

اسماء الفاعلين ولولا المضي لم يمتنع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكون أيضاً الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجمل لأن هذه جملة مستأنفة وليست على حدّ الصفة بل على حدّ ما بعدها من قوله وثامنهم كلبهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على ايصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضاً فيستغنى به ويكتفى بذلك منه وهذا فصل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل وأحكمه أشرف به على كثير من المسائل ان شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثمانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها لأن للجنة ثمانية أبواب فشيء لا يعرفه النحويون .

[ المعنى ] ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم وبعثناهم اطلعنا وأعثرنا عليهم أهل المدينة وجملة أمرهم وحالهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف أمر الملك ان يسدَّ عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشاً وجوعاً وليكن كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم وهو يظن أنهم ايقاظ ثم ان رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وانسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تدليس وقيل بندوسيس عن محمد بن إسحاق وتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلمَ ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آتية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلدَ الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على أمرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق وإن الساعة لا ريب فيها﴾ أي أن القيامة لا شك فيها فإن من قدر على أن ينيم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضاً على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي فعلنا ذلك حين تنازعوا

في البعث فمنهم من أنكره ومنهم ن قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيهما وأضاف الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم في أمركم عن عكرمة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد أن اطلعوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الأمر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بنياناً كما تبنى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس **﴿فقالوا﴾** أي قال مشركو ذلك الوقت **﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾** أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار**﴿ ربهم أعلم بهم﴾** معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أأحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل أنهم لا يموتون إلى يوم القيامة **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** يعني الملك المؤمن وأصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على امرهم عن الجبائي **﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾** أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم ودلّ ذلك على أن الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجداً يصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي أيضاً أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم إليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم إليها وحال بين من قصدهم وبين الوصول إليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يهتدوا إليه ثم بيّن سبحانه تنازعهم في عددهم فقال **﴿سيقولون﴾** أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم **﴿ثلاثة﴾** أي هم ثلاثة **﴿رابعهم كلبهم ويقولون﴾** أي ويقول آخرون هم **﴿خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾** أي قذفا بالظن من غير يقين عن قتادة **﴿ويقولون﴾** أي ويقول آخرهم هم **﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾** وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم **﴿قل﴾** يا محمد **﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾** من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطا وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر أن يكون عرف ذلك من جهة النبي ﷺ وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال هم مكسليمنا وتمليخا ومرطولس ونينونس وسارينونس ودربونس وكشوطبونس وهو الراعي **﴿فلا تمار فيهم﴾** أي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم **﴿إلا مراء**

ظاهراً﴾ فيه وجوه ( أحدها ) ان معناه الا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر ( وثانيها ) ان المراد لا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً وهو ان تقول لهم أثبتم عدداً وخالفكم غيركم وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب فهلمّوا بحجة تشهد لكم ( وثالثها ) ان المراد الا مراء يشهده الناس ويحضرونه فلو أخبرتهم في غير ملأ من الناس لكذبوا عليك ولبّسوا على الضعفة فادّعوا أنهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احداً ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مساءلة اليهود فإنه كان واثقاً بخبر الله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قد ذكر في معناه وجوه ( أحدها ) انه نهي من الله تعالى لنبيه ﷺ ان يقول إني أفعل شيئاً في الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الأخفش وفيه اضمار القول وتقديره إلا أن تقول إن شاء الله ولما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديباً من الله للعباد وتعليماً لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع وهذا معنى قول ابن عباس ( وثانيها ) ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن إني فاعل شيئاً غداً إلا مشية الله عن الفراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل إني أفعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إني أفعل إلا الطاعات ولا يطعن على هذا جواز الأخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأثم بلا خلاف ( وثالثها ) انه نهى عن ان يقول الانسان سأفعل غداً وهو يجوز الاحترام قبل ان يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضاً ان لا يوجد مخبره بحدوث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غداً الى المسجد ان شاء الله امن من ان يكون خبره هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه الى المصير إلى المسجد غداً حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذباً وان لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي ﷺ سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم عنه غداً ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه

اياماً حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ فيه وجهان ( أحدهما ) انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أئمتنا ( ع ) ويمكن أن يكون الوجه فيه انه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الأوجه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم ( والآخر ) انه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك اذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه أمر بالانقطاع الى الله تعالى ومعناه واذكر ربك اذا نسيت شيئاً بك اليه حاجة بذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذا نسيت صلاة فصلّها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصحُ على هذا الوجه أن يستثني الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعت ولهذا جرى قول القائل لأقضين غداً ما عليَّ من الدين أو لأصلّين غداً إن شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثاً أو كاذباً لأنه إذا لم يقع علمنا انه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل

يكون الغرض الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به الى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتدّ به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله تعالى واظهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضاً يمكن في الآية ومتى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب الى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره وطالبه به والله لأعطينك حقك غداً إن شاء الله أن يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع ولكان يجب ان تلزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثاً كما انه لو قال والله لأعطينك حقك غداً ان قام زيد فقام ولم يعطه يكون حانثاً وفي التزلل الحنث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله ﴿وقل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب اخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضح في الدلالة وأقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه أدع الله ان يذكرك اذا نسيت شيئاً وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه عن الجبائي .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافاً والباقون بالتنوين وقرأ ولا تشرك بالتاء مجزوماً ابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء .

[ **الحجة** ] قال أبو الحسن يكون السنين لثلاثمائة قال ولا تحسن اضافة المائة الى

السنين لأنه لا تكاد العرب تقول مائة سنين قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال أبو علي ومما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائة سنين ان هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة الى الآحاد نحو ثلاثمائة رجل وأربعمائة ثوب قد جاء مضافاً الى الجمع في قول الشاعر

فَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ سَحْقٍ عِمَامَةٍ وَخَمْسِ مِيءٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وزَايِفُ[١]

وذلك ان قوله مِيءٍ لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فِعْل مثل سِدْرَة وسِدْر أو يكون فَعْلة فجمع على فعول مثل بدرة وبدور ومانة[٢] ومؤن قال « عظيمات الكلاكل والمؤون » والأولى حمله على فعول وانه خفف كما يخفف في القوافي كقوله « كَنَهْوَرَ كانَ مِنْ أعْقابِ السُّمى »[٣] ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو حلى وقال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل ان تكون الاضافة الى الجمع قال الشاعر :

ثَلاثَمائِينَ قَدْ مَضَيْنَ كَوامِلاً وَهَا أنَا ذا قَدْ أبْتَغي مَرَّ رابِعِ

فجاء به على الأصل ومن نوّن ثلاثمائة ففي نصب سنين قولان ( أحدهما ) أن يكون سنين بدلاً من ثلاثمائة أو عطف بيان ( والآخر ) أن يكون تمييزاً كما تقول عندي عشرة أرطال زيتاً قال الربيع بن ضبيع الفزاري .

إذَا عَاشَ الْفَتى مِائَتَيْنِ عَاماً فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذاذَةُ وَالْفَتَاءُ

قال الزجاج ويجوز أن يكون سنين من نعت المائة فيكون مجروراً وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنترة :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرابِ الأسْحَمِ

فجعل سوداً نعتاً لحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال أبو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعاً وجعل سوداً وصفاً لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن

---

(١) السحق : الثوب الخلق البالي . ودرهم قسي زائف : رديء .

(٢) المانة : الخاصرة .

(٣) الكنهور من السحاب : المتراكب الثخين . والسمى على فعول جمع سماء : المطر وذكر في هامش اللسان أن هذا الشطر لا وزن له معروف .

يقع تفسيراً لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفراً وثلاثون قبيلاً ومن قرأ ولا تشرك بالتاء فإنه على النهي عن الإشراك والقراءة الأخرى أشيع وأولى لتقدم أسماء الغيبة وهو قوله ما لهم من دونه من وليّ والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحداً .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين** ﴾ معناه وأقام أصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله وأطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة ﴿ **وازدادوا تسعاً** ﴾ أي تسع سنين إلا أنه استغنى بما تقدَّم عن إعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ معناه إن حاجُّك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله أعلم بما لبثوا وذلك أن أهل نجران قالوا أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها وقيل أن معناه الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة أنه قال قوله ﴿ **ولبثوا في كهفهم** ﴾ الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلك بقوله ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ فذكر أنه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن أخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله أعلم بمدة لبثهم وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو أعلم بذلك منهم ﴿ **له غيب السماوات والأرض** ﴾ والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الإدراك أي لا يغيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم وروى أن يهودياً سأل علي بن أبي طالب ( ع ) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال أنا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال ( ع ) ذاك بسني الشمي وهذا بسني القمر وقوله ﴿ **ما لهم من دونه من ولي** ﴾ أي ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم ﴿ **ولا يشرك** ﴾ **الله** ﴿ **في حكمه أحداً** ﴾ فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه أنه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك** ﴾ أي واقرأ عليهم ما

أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزاً عن ابن عباس وقيل موئلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وأبي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه .

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر وحده بالغداوة والباقون بالغداة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من أغفلنا قلبه .

[ الحجة ] قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدل على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوة بالواو وهي ألف وحجة من أدخل اللام المعرفة عليها أنه قد يجوز وإن كانت معرفة أن تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد الفينة ففينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك أن يقدر من أمة كلها له مثل هذا الإسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي

هذا تثنية الأعلام وجمعها وقوله « لا هيثم الليلة للمطي » وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فأجرى مجرى ما يكون شائعاً في الجنس وكذلك الغدوة وأما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا وهو من قولهم جاء القوم عدا زيداً أي جاوز بعضهم زيداً ثم نقل إلى أعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر :

حَتّى لَحِقْنا بِهِمْ تُعْدِي فَوارِسُنا ... كَأَنَّنا رَعْنُ قَفٍّ يَرْفَعُ الآلا(١)

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى أن أصلهما واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكاناً إلى غيره وأما من قرأ من أغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم أغفلت الرجل أي وجدته غافلاً قال الأعشى :

أَثْوى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدا ... فَمضى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدا(٢)

أي صادفه مخلفاً .

[ اللغة ] الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم أفرط إفراطاً إذا أسرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال رؤبة .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجارُودِ ... سُرادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودُ

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال أبو ذؤيب :

باتَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا ٱلصَّابُ مَذْبُوحُ(٣)

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة .

[ النزول ] نزلت الآية الأولى في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من

(١) الرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً. والقف: ما ارتفع من الأرض والآل : شيء كالسراب تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وقوله « يرفع الالا » مقلوب أي يرفعه الآل .

(٢) قوله فمضى أي مضى العاشق .

(٣) الخلي : الفارغ . والصاب : شجر مر وقيل: عصارة شجر مر وربما نزت منه قطرة فتقع في العين كأنها شهاب نار وربما أضعف البصر .

فقراء أصحاب النبي ﷺ وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم[١] وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات .

[ المعنى ] ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال ﴿ واصبر نفسك ﴾ يا محمد أي احبس نفسك ﴿ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ أي يداومون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختمونه بالدعاء ﴿ يريدون وجهه ﴾ أي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة إليه دون الرياء والسمعة ﴿ ولا تعد عيناك عنهم ﴾ أي ولا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ تريد في موضع الحال أي مريداً مجالسة أهل الشرف والغنى وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعاً في إيمان اتباعهم ولم يمل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحايين للرؤساء طمعاً في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الأشراف ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ قيل في معناه أقوال ( أحدها ) أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ( وثانيها ) أغفلنا قلبه أي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال أكفره إذا نسبه إلى الكفر وسمّاه كافراً كقول الكميت :

وَطَـائِفَـةٌ قَـدْ أَكْفَـرُونِي بِحُـبِّـكُـمْ      وَطَـائِفَـةٌ قَـالُـوا مُـسِـيءٌ وَمُـذْنِـبُ

( وثالثها ) أغفلنا قلبه صادفناه غافلاً عن ذكرنا كما قالت العرب سألناكم فما أفحمناكم وقاتلناكم فما أجْبَنّاكُم ( ورابعها ) أغفلنا قلبه أي جعلناه غفلاً لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة تقول العرب أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمة تعرف ( وخامسها ) أن معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن ﴿ واتبع هواه ﴾ أي لا تطع من اتُبع هواه في شهواته وأفعاله

(١) الصنان : نتن الابط .

﴿ وكان أمره فرطاً ﴾ أي سرفاً وافراطاً عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوزاً للحد عن الأخفش وقيل ضياعاً وهلاكاً عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه فيكون المعنى في هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه ﴿ وقل ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء ﴿ الحق من ربكم ﴾ أي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقّبه بقوله ﴿ إنا أعتدنا ﴾ وإنما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضرُّ إليهم ﴿ إنا أعتدنا ﴾ أي هيّأنا وأعددنا ﴿ للظالمين ﴾ أي الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى ﴿ ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها وهو الذي في قوله إلى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبّه ذلك في السرداق عن أبي مسلم ﴿ وإن يستغيثوا ﴾ من شدة العطش وحرّ النار ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ وهو كل شيء أذيب كالرصاص والنحاس والصفر عن ابن مسعود وقيل كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه روى ذلك مرفوعاً وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القيح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد بن جبير وقيل أنه ماء أسود وأن جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود عن الضحاك ﴿ يشوي الوجوه ﴾ أي ينضجها عند دنوّه منها ويحرقها وإنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الإغاثة ﴿ بئس الشراب ﴾ ذلك المهل ﴿ وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقاً ﴾ أي متكئاً لهم قيل ساءت مجتمعاً مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلاً ومستقراً عن ابن عباس وعطاء .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن
ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

[ اللغة ] العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدناً والأساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الأصل أساوير عن قطرب وأبي عبيدة وقيل جمع اسورة وأسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد حكي سوار بالضم والسندس ما رقّ من الديباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال قال المرقش :

تَــرَاهُــنَّ يَلْبِـسْــنَ الْـمَـشَــاعِــرَ مَــرَّةً وَإِسْتَبْـرَقَ ٱلدِّيبَـاجِ طَـوْراً لِبَـاسُهَـا(١)

والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال :

خُــدُودٌ جَفَتْ فِي ٱلسَّيْـرِ حَتَّى كَـأَنَّمـا يُبَـاشِـرْنَ بِـالْمَـعْـزَاءِ مَسَّ الأَرَائِـكِ(٢)

قال الزجاج الأرائك الفرش في الحجال قال الأعشى .

بَيْنَ ٱلـرُّوَاقِ وَجَـانِبٍ مِـنْ سِتْـرِهَـا مِنْهَـا وَبَيْـنَ أَرِيـكَـةِ الأَنْـضَـادِ(٣)

[ الإعراب ] قيل في خبر ان الذين آمنوا أقوال ( أحدها ) أنه قوله أنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفاً كأنه لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم ( والثاني ) أن يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن ويكون أنا لا نضيع الخ اعتراضاً بين الاسم والخبر ( والثالث ) أن المعنى انا لا نضيع أجرهم لأن من أحسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا .

[ المعنى ] لما تقدَّم الوعيد عقَّبه سبحانه بذكر الوعد فقال ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ من الطاعات ﴿ انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم ونوفيهم أجورهم من غير بخس ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾ أي إقامة لهم لأنهم يبقون فيها ببقاء الله دائماً أبداً وقيل عدن بطنان الجنة أي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح أن تكون جنة ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل أن أنهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ أي يجعل لهم فيها حليّ من أساور وقيل أنه يحلى كل

(١) المشاعر جمع المشعر بمعنى الشعار: ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي شعر الجسد .
(٢) المعزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة .
(٣) الانضاد جمع النضد: السرير يجعل عليه المتاع والثياب .

واحد بثلاثة أساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ﴾ أي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الاستبرق فارسي معرّب أصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ أي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وإنما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد أنهم منعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكىء إلا في حال الأمن والسلامة ﴿ نعم الثواب ﴾ أي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس ﴿ حسنت ﴾ الأرائك ﴿ مرتفقاً ﴾ أي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً .

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

[ القراءة ] قرأ أبو جعفر وعاصم ويعقوب وسهل وكان له ثمر وأحيط بثمره في الموضعين بالفتح ووافق رويس في الأول وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون الميم في الموضعين والباقون بضم الثاء والميم في الحرفين وقرأ أهل الحجاز وابن عامر خيراً منهما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ أهل العراق منها بغير ميم .

[ الحجة ] قال أبو علي الثمرة ما يجتنى من ذي الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كرقبة ورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد يشبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس أن يكسر ثمار على ثُمر ككتاب وكتب وقراءة أبي عمرو وكان له ثُمْر يجوز أن يكون جمع ثمار كما يخفف كُتْب ويجوز أن يكون ثُمْر جمع ثمرة

كبدنة وبُدْن وخشبة وخشب ويجوز أن يكون ثمر واحدة كعنق وطنب فعلى أيّ هذه الوجوه كان جاز اسكان العين منه كذلك في قوله ﴿ وأحيط بثمره ﴾ وقال بعض أهل اللغة الثُمُر المال والثَمَر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والثمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها أي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في أغلب العرف وكانت الآفة التي أرسلت إليها اصطلمت الأصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الأخرى فأصبحت كالصريم أي كالليل في سوادها لاحتراقها وكالنهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن أبي عمرو ثُمْر والثُمْر أنواع المال فإذا اصطلم الثمر فاجتيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن أن يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بثُمْره وثُمْره كان قوله أبين ممن قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه أخبر عن بعض ما أصيب وأمسك عن بعض وقوله خيراً منها منقلباً فالافراد لأنه أقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنتين .

[ **اللغة** ] حفَّ القوم بالشيء إذا أطافوا به وحفافا الشيء جانباه كأنهما أطافا به قال طرفة :

كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا حِفَافَيْهِ شُكَّا في الْعَسِيبِ بِمِسْرَدِ[1]

والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كلمت فلاناً فما رجع إليَّ حواراً ومحورة وحويراً .

[ **الإعراب** ] إنما قال أتت على لفظ كلتا فإنه بمنزلة كل في أنه مفرد اللفظ ولو قال أتتا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد :

وَكِلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّ لِي فِي صَحِيفَتِي فَلاَ الْعَيْشُ أَهْوَاهُ وَلاَ الْمَوْتُ أَرْوَحُ[2]

[ **المعنى** ] ثم ضرب الله لعباده مثلاً يستفيئهم به إلى طاعته ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ ﴿ **واضرب لهم مثلاً رجلين** ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين وترك مالاً جزيلاً فأخذ أحدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرّب إلى الله تعالى وأخذ الآخر حقّه فتملك به ضياعاً منها هاتان

(١) يصف ناحيتي عسيب ذنب الناقة وشبه شعر ذنبها في طوله بجناحي النسر . والمضرحي : النسر . وشك الشيء بالشيء : انتظمه . والعسيب : عظم الذنب والمسرد : الابرة .

(٢) أروح الشيء : وجد ريحه .

الجنتان وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم أنه يريد رجلاً كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له أنا أكثر منك مالا وأعزُّ نفراً وهذا أليق بالظاهر ﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ أي بستانين أجنهما الاشجار ﴿ **من أعناب وحففناهما بنخل** ﴾ أي جعلنا النخل مطيفاً بهما ﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ أي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ أي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسمّاه أكلاً لأنه مأكول ﴿ **ولم تظلم منه شيئاً** ﴾ أي لم تنقص منه شيئاً بل أدّته على التمام والكمال كما قال الشاعر :

وَيَظْلِمُنِي مَالِي كَذا وَلَوَىٰ يَدِي لَوىٰ يَدَهُ اللهُ ٱلَّذي هُوَ غَالِبُهْ[1]

أي ينقصني مالي ﴿ **وفجرنا خلالهما نهراً** ﴾ أي شققنا وسط الجنتين نهراً يسقيهما حتى يكون الماء قريباً منهما يصل إليهما من غير كدٍّ وتعب ويكون ثمرهما وزرعهما بدوام الماء فيهما أو في وأروى ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ قيل أن معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصلها عن ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهد وقيل كان له معهما جميع الأموال عن قتادة وابن عباس في رواية أخرى ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره** ﴾ أي فقال الكافر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجعه في الكلام ﴿ **أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً** ﴾ أي أعز عشيرة ورهطاً وسمى العشيرة نفراً لأنهم ينفرون معه في حوائجه وقيل معناه أعز خدماً وولداً عن قتادة ومقاتل ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ أي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه ﴿ **قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً** ﴾ أي ما أقدر أن تفنى هذه الجنة وهذه الثمار أبداً وقيل يريد ما أظن هذه الدنيا تفنى أبداً ﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ أي وما أحسب القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون ﴿ **ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً** ﴾ معناه ولئن كانت القيامة والبعث حقاً كما يقوله الموحدون لأجدن خيراً من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعة تقوم وأنه يبعث فأجابه بأن قال له ولئن رددت إلى ربي أي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل أنه أوتي ما أوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لأكتسبن في الآخرة خيراً من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما ردَّ الكناية إلى الجنّتين اللّتين تقدَّم ذكرهما وفي هذا دلالة على أنه لم يكن قاطعاً على نفي المعاد بل كان شاكاً فيه .

(١) قائله فرعان بن أعرف التميمي وكان له ابن عاق يقال له منازل وفيه يقول البيت وفي رواية اللسان « تظلم مالي هكذا . اهـ » وفي رواية غيره « تغمط حقي باطلا . اهـ » .

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ
مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن
لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ
ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

[ القراءة ] قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي ويعقوب لكنا بإثبات الألف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في إثبات الألف في الوقف إلا قتيبة فإنه قرأ بغير ألف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن لكن أنا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن أبي بكر غُوراً بضم الغين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فئة بالياء أهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن بالتاء وقرأ أبو عمرو الوَلاية بفتح الواو ولله الحقُّ بالرفع وقرأ الكسائي الوِلاية بكسر الواو والحقُّ بالرفع وقرأ حمزة وخلف الوِلاية بكسر الواو والحقِّ بالجر وقرأ الباقون الوَلاية بفتح الواو والحقِّ بالجر وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقْباً ساكنة القاف والباقون بضم القاف .

[ **الحجة** ] قال الزجاج من قرأ لكنَّ بتشديد النون فهو لكن أنا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الأولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن ألف أنا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في أجود اللغات نحو أنَ قمت بغير الألف ويجوز أنا قمت بإثبات الألف وهو ضعيف جداً ومن قرأ لكنا فأثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال أنا قمت فأثبت الألف قال الشاعر :

أَنَـا شَيْخُ ٱلعَشِيْـرَةِ فَاعْـرِفُـونِي  حَمِيـداً قَـدْ تَـذَرَّيْتُ ٱلسَّنَـامَـا[١]

إلا أن إثبات الألف في لكنا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة قال أبو علي لا أرى قوله إن إثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضاً من الهمزة كما قال لأن هذه الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ماهيه وحسابيه والهاء في مثل هذا الطرف مثل ألف الوصل في ذلك الطرف فكما إن إثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم أن يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى أن الهمزة في وَيْلُمِّه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجبه قياس التخفيف ولا يعوض منها فأنّ لا يعوض منها في التخفيف القياسي أجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جَيَلْ في جَيْأَلْ ومـوُنة في مؤنَة قال وقد تجيء هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعشى :

فَكَيْفَ أَنَـا وَانتِحَـالِي ٱلقَـوَافِيَ  بَـعْـدَ ٱلْمَشِيبِ كَفَىٰ ذَاكَ عَـارا

وقول الآخر أنا شيخ العشيرة « البيت » ولا يكون ذلك مختاراً في القراءة ومن قرأ لكنا في الوصل فإنه يحتمل أمرين ( أحدهما ) أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامة الضمير فيكون على هذا لكنا بإثبات الألف وصلاً ووقفاً لا غير ألا ترى أن أحداً لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما أنه في قوله ﴿ **فإذا هي شاخصة** ﴾ وقوله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ كذلك والتقدير الأمر الله أحد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما أنه في أنَّ وكأنَّ وظننت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكنا

---

(١) سنام كل شيء : أعلاه . وتذريت السنام أي علوته وفرعته .

هو الله ربنا ودخلت لكن مخففة على الضمير كما دخلت في قوله ﴿ إن معكم ﴾ والوجه الآخر أن سيبويه حكى أنه سمع من يقول أعطني ابيضَّهْ فشدَّد والحق الهاء بالتشديد للوقف والهاء مثل الألف في سبسبًا والياء في عيهلّي وأجرى الهاء مجراهما في الإطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله :

صَفِيَّةُ قُومِي وَلَا تَجْزَعِي وَبَكِّي ٱلنِّسَاءَ عَلَىٰ حَمْزَةِ

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالهاء ولا يكون الهاء للوقف ألا ترى إن الهاء للوقف لا يبين بها المعرب ولا ما ضارع المعرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من أثبت الألف في الوصل أو عليهما جميعاً ولو كانت فاصلة لكانت مثل فأضلونا السبيلا ﴿ وأما ﴾ قراءة أبي لكن أنا فهي الأصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدَّم بيانه لأن ألف أنا محذوف في الوصل قال الشاعر :

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لا أَقْلِي

أي لكن أنا وأنا مرفوع بالإبتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والعائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ لَكِنْ هو الله ربي فاعرابه واضح وأما من قرأ غُوراً فيمكن أن يكون غُوراً لغة في غور وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونا

وأما قوله ولم يكن له فئة بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الولاية لله الحق فقد حكى أبو عبيدة عن أبي عمرو إن الوِلاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجيء فيما كان صنعة ومعنى متقلداً كالكِتابة والإمارة والخِلافة وما أشبه ذلك وليس هنا معنى تولى أمرٍ إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأنفال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الوَلاية النصر يقال هم أهل وَلاية عليك أي متناصرون عليك والوِلاية ولاية السلطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الوِكالة والوَكالة والوِصاية والوَصاية بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحقِ فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإله معنى ذو العبادة ويدل عليه قوله ﴿ ويعلمون إن الله هو الحق المبين ﴾ ومن رفع الحق جعله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية بالحق أنه لا

يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق وأما قوله ﴿ عُقْبا ﴾ فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدَّم ذكره .

[ **اللغة** ] أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكأن ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمي به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض الملساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الإقدام فلا يثبت عليه .

[ **الإعراب** ] ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعا وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً والضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفاً وتقديره أيُّ شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض«أن ترن أنا أقل » أقل منصوب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان توكيداً أو وصفاً لياء المتكلم وإن شئت كان فصلاً كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فعسى الفاء جواب قوله أن ترني وثواباً وعقباً منصوبان على التمييز .

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره** ﴾ أي يخاطبه ويجيبه مكفراً له بما قاله ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب** ﴾ يعني أصل الخلقة أي خلق أباك من تراب وهو آدم ( ع ) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرى العادة من الغذاء والغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب ﴿ **ثم من نطفة ثم سواك رجلاً** ﴾ أي نقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدل الخلقة والقامة وإنما كفره بإنكاره المعاد وفي هذا دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ تقديره لكن أنا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي فإن افتخرت عليَّ بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد ﴿ **ولا أشرك بربي أحداً** ﴾ أي لا أشرك بعبادتي إيَّاه أحداً سواه بل أوجهها إليه وحده خالصاً وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة لا بالله** ﴾ معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت الله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني وإن تعبت في جمعه وعمارته

فليس ذلك إلا بقدرة الله وتيسيره ولو شاء لحال بيني وبين ذلك ولنزع البركة عنه فإنه لا يقوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال ﴿ **أن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك** ﴾ معناه إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة ﴿ **ويرسل عليها حسباناً من السماء** ﴾ أي ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك عن الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه إما برداً وإما حجارة أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب ﴿ **فتصبح صعيداً زلقاً** ﴾ أي أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضرُّ أرض من بعد أن كانت أنفع أرض ﴿ **أو يصبح ماؤها غوراً** ﴾ أي غائراً ذاهباً في باطن غامض منقطعاً فيكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء ﴿ **فلن تستطيع له طلباً** ﴾ أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع ردَّه قيل معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلاً عنه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وإنذاره ثم قال سبحانه ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ معناه أهلك وأحيط العذاب بأشجاره ونخيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا عن آخرهم وأصل الإحاطة إدارة الحائط على الشيء وفي الخبر أن الله عز وجل أرسل عليها ناراً فأهلكها وغار ماؤها ﴿ **فأصبح** ﴾ هذا الكافر ﴿ **يقلب كفيه** ﴾ تأسفاً وتحسراً ﴿ **على ما أنفق فيها** ﴾ من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقليب الكفين يفعله النادم كثيراً فصار عبارة عن الندم ﴿ **وهي خاوية على عروشها** ﴾ أي ساقطة على سقوفها وما عرش لكرومها وذلك أن السقف ينهدم أولاً ثم ينهدم الحائط على السقف وقيل إن العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها ﴿ **ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً** ﴾ ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقاً لانتفع به وقيل إنه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن ﴿ **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله** ﴾ أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال العجاج « كما يجوز الفئة الكمي » ﴿ **وما كان منتصراً** ﴾ أي وما كان ممتنعاً عن قتادة قيل معناه وما كان مسترداً بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله ﴿ **اني كان لي قرين** ﴾ يقول أئنك لمن المصدقين إلى قوله ﴿ **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** ﴾ وروى هشام بن سالم وابان بن عثمان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ **سبحانه حسبنا الله**

ونعم الوكيل ﴾ فإني سمعت الله يقول بعقبها ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لهم يمسسهم سوء ﴾ وعجبت لمن اغتمَّ كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك ﴾ إني كنت من الظالمين فإني سمعت الله سبحانه يقول ﴿ بعقبها فاستجبنا له ونجيّناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ فإني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ فإني سمعت الله يقول ﴿ بعقبها ﴾ فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك وعسى موجبة وقولـه ﴿ هنالـك الولايـة لله الحق ﴾ أخبر سبحانه أن في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويملك النصرة لمن أراد وقيل هنالك إشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتـولون الله ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون عن القتيبي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها أحد من العباد ﴿ هو خير ثوابا ﴾ أي هو أفضل ثواباً ممن يرجي ثواباً على تقدير لو كان يثيب غيره لكان هو خير ثواباً ﴿ وخير عقباً ﴾ أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف إليـه والعقب والعقبى والعاقبة بمعنى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم
مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ
الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ

أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويوم تُسَيَّر بضم التاء وفتح الياء الجبالُ رفع والباقون نُسير بالنون وكسر الياء والجبالَ نصب .

[ الحجة ] قال أبو علي حجة من بنى الفعل للمفعول به قوله ﴿ وسُيِّرت الجبال ﴾ وقوله ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ ومن قرأ نسير فلأنه أشبه بما بعده من قوله ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ .

[ اللغة ] الهشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرته وأذرته وأذريت الرجل عن الدابة إذا ألقيته عنها قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَـهُ صَـوِّبْ وَلا تُجْهِـدَنَّـهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطَاةِ فَتَزْلَقِ[1]

والمغادرة الترك ومنه الغدر لأن ترك الوفاء ومنه الغدير لترك الماء فيه والإشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمرة الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الإنسان على ولده رقته عليه .

[ الإعراب ] صفا نصب على الحال أي مصفوفين . أن لن نجعل أن هذه مخففة من الثقيلة ولن نجعل لكم موعد أخبره وقال قد كتبت في المصحف اللام مفصولة ولا وجه له . لا يغادر في موضع نصب على الحال .

[ المعنى ] ثم أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة فقال ﴿ واضرب ﴾ يا محمد ﴿ لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من

(١) صوب الفرس : أرسله في الجري . والقطاة : مقعد الرديف من الدابة .

**السماء فاختلط به نبات الأرض** ﴾ أي نبت بذلك الماء نبات التفُّ بعضه ببعض يروق حسناً وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) ﴿ **فأصبح هشيماً** ﴾ أي كسيراً مفتتاً ﴿ **تذروه الرياح** ﴾ فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾ أي قادراً لا يجوز عليه المنع قال الحسن أي كان الله مقتدراً على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله أن ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث وأنه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيبويه وقيل إنه إخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل وهذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اغترّوا بأموالهم واستنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين أخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء فإذا إنقطع عنه عاد هشيماً لا ينتفع به ثم قال ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ أي يتفاخر بهما ويتزين بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة وإنما سمّاهما زينة لأن في المال جمالاً وفي البنين قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع به في الآخرة ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ وهي الطاعات لله تعالى وجميع الحسنات لأن ثوابها يبقى أبداً عن ابن عباس وقتادة ﴿ **خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾ أي أفضل ثواباً وأصدق أملاً من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فإن من الآمال كواذب وهذا أمل لا يكذب لأن من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل إن الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين وهو سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لجلسائه خذوا جُنّتكم قالوا إحذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر فإنهم المقدمات وهن المجيبات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عندما أحل أو حرم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوها وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق والنخعي وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وروي عنه أيضاً أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل إن الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات والأولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات وفي كتاب ابن عقدة أن أبا عبد الله (ع) قال للحصين بن عبد الرحمن يا حصين لا تستصغر مودّتنا فإنها من الباقيات

الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن أحمد الله عليها وإنما سميت الطاعات صالحات لأنها أصلح الأعمال للمكلف من حيث أمر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها ﴿ **ويوم نسير الجبال** ﴾ قيل إنه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خير ثواباً في هذا اليوم وقيل أنه إبتداء كلام وتقديره واذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة ، وتسيير الجبال قلعها عن أماكنها فإن الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثوراً وقيل نسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء ثم يجعلها كثيباً مهيلاً كما قال ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ الآية ثم يصيرها كالعهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثاً في الهواء كما قال وبسّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثاً ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴿ **وترى الأرض بارزة** ﴾ أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر يسترها عن عيون الناظرين وقيل إن معناه وترى باطن الأرض ظاهراً قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزاً فهو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترمي الأرض بأفلاذ كبدها ﴿ **وحشرناهم** ﴾ أي وبعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف ﴿ **فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ أي فلم نترك منهم أحداً إلّا حشرناه ﴿ **وعرضوا على ربك** ﴾ يعني المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة ﴿ **صفاً** ﴾ أي مصفوفين كل زمرة وأمة صفاً وقيل يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة وقيل يعرضون صفاً واحداً لا يحجب بعضهم بعضاً ويقال لهم ﴿ **لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئاً وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تنتفعون به كما كنتم في أول الخلق وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً(١) فقالت عائشة يا رسول الله أما يستحي بعضهم من بعض فقال ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً** ﴾ أي ويقال لهم أيضاً بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعداً للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ أي ووضع الكتب فإن الكتاب إسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في أيديهم وقيل معناه ووضع الحساب فعبّر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة عن الكلبي ﴿ **فترى المجرمين مشفقين مما فيه** ﴾ أي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ﴿ **ويقولون يا ويلتنا** ﴾ هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع

(١) الغرل جمع الأغرل : الأقلف .

في شدة فيدعو على نفسه بالويل والثبور ﴿ **ما لهذا الكتاب** ﴾ أي أيُّ شيء لهذا الكتاب ﴿ **لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ أي لا يترك صغيـرة من الذنـوب ولا كبيرة إلا عـدَّها وأثبتها وحواها وقد مرَّ تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء وأنث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفعلة والخصلة ﴿ **ووجـدوا ما عملوا حـاضراً** ﴾ أي مكتـوباً في الكتـاب مثبتاً وقيـل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضراً فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعاً ﴿ **ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسيء وفي هذا دلالة على أنه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يـزيد في عقـوبة المـذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون على التعظيم والباقون ما أشهدتهم بالتاء وقرأ حمزة ويوم نقول بالنون والباقون بالياء .

[ **الحجة** ] من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم في المعنى فكما ان كنت للمتكلم فكذلك نقـول ومن قرأ بـالياء فحجتـه ان الكلام قـد انقضى فالمعنى ويـوم يقول الله نـادوا شركائي وهذا يقوي القراءة بالياء لأنـه لو كانت بالنون لكان الاشبه ان يقول نادوا شركاءنا .

[ **اللغة** ] الفسق الخروج إلى حـال تضر يقـال فسقت الرطبـة إذا خرجت من قشـرها

وفسقت الفأرة إذا خرجت من حجرها قال رؤبة :

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْراً غائراً فَواسِقاً عَنْ قَصْدِها جَوائِرا

قال أبو عبيدة هذه التسمية لم تسمعها في شيء من أشعار الجاهلية ولا أحاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره أبو عبيدة وهي كلمة فصيحة على السنة العرب وقال قطرب فسق عن أمر ربه أي عن رد أمر به كقولهم كسوته عن عرى وأطعمته عن جوع والعضد ما بين المرفق إلى الكتف وفيه خمس لغات عضُد وعَضَد وعَضِد وعُضْد وعَضْد وعَضَدْتُ فلاناً أعَنْتُه وفلان عضدي استعارة واعتضد به اي استعان. قال ثعلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من وبق يبق وبوقاً إذا هلك وحكى الزجاج وبق الرجل يوبق وبقاً .

[ **الإعراب** ] بئس للظالمين بدلاً اسم بئس مضمر فُسِّر بقوله بدلاً وقوله للظالمين فصّل بين بئس وبين ما انتصب على التمييز والتقدير بئس البدل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخصص بالذم عن أبي علي الفارسي .

[ **المعنى** ] ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ أن يُذكِّر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر فقال ﴿**وإذ قلنا**﴾ أي واذكر يا محمد إذ قلنا ﴿**للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**﴾ قد مرَّ تفسيره فيما تقدَّم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امراً في مواضع كثيرة للاخبار عنه بأخبار مختلفة وقوله ﴿**كان من الجن**﴾ من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة استدلَّ بهذا لأن الجن غير الملائكة كما أنهم غير الإنس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستترون عن الأبصار مأخوذ من الجن وهو الستر وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان فأضيفوا اليها كقولك كوفي بصري وضعف الأولون هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا أطلق فالمفهوم منه هذا الجنس المعروف لا الملائكة ﴿**ففسق عن أمر ربه**﴾ أي خرج عن طاعة ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال ﴿**أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو**﴾ معناه أفتتبعون أمر إبليس وأمر ذريته وتتخذونهم أولياء تتولونهم بالطاعة من دوني وهم جميعاً أعداءٌ لكم والعاقل حقيق بأن يتّهم عدوَّه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته ﴿**بئس للظالمين بدلاً**﴾ تقديره بئس البدل للظالمين بدلاً ومعناه بئس ما استبدلوا بعبادة

ربهم إذا أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بئس البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أي ما أحضرت ابليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا اخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني عليه وكثيراً ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل ان معنى الآية انكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وانا ما اطلعتهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم اعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أي وما احضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن أين قالوا ان الملائكة بنات الله ومن اين ادّعوا ذلك ﴿ويوم يقول﴾ يريد يوم القيامه يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ في الدنيا انهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب ﴿فدعوهم﴾ يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ أي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئاً ﴿وجعلنا بينهم﴾ أي بين المؤمنين والكافرين ﴿موبقاً﴾ وهو اسم واد عميق فرّق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقتادة وقيل بين المعبودين وعبدتهم موبقاً أي حاجزاً عن ابن الاعرابي أي فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح والجنة وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً أي مهلكاً لهم في الآخرة عن الفراء وروي ذلك عن قتادة وابن عباس فالبين على هذا القول معناه التواصل والمعنى ان تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقاً عداوة عن الحسن فكأنه قال عداوة مهلكة وروي عن انس بن مالك انه قال الموبق واد في جهنم من قيح ودم .

[ النظم ] وجه اتصال قوله﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض﴾ بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة لأنه بمنزلة أن يقال انكم قد أقبلتم على اتباع ابليس وذريته وتركتم أمر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض لم يزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل انه سبحانه بيّن بذلك انه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي ان تشركوا معه في العبادة غيره او تدعوا غيره إلٰهاً .

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ
ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة قُبُلا بضمتين والباقون قِبَلاً .

[ الحجة ] قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام[١] .

[ اللغة ] المواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وأوقع به ايقاعاً والتوقع الترقب لوقوع الشيء والمصرف المَعْدِل قال أبو كثير

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... أَمْ لا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفِ

والتصريف تنقيل المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء إلى الهلاك ومكان دحض أي مزلق مزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال « وَحَادَ كَمَا حَادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ »[٢] .

[ الإعراب ] أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الإيمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون أن يأتيهم في موضع رفع وما أنذروا في موضع نصب عطفاً على آياتي وهزواً هو المفعول الثاني لاتّخذوا.

[ المعنى ] ثم بيّن سبحانه حال المجرمين فقال ﴿ورأى المجرمون النار﴾ يعني

(١) راجع ج ٢ من هذه الطبعة .

(٢) هذا عجز بيت قاله طرفة وقبله « رديت ونجى اليشكري حذاره » .

المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقاً عليهم عن ابن عباس وقيل هو عام في أصحاب الكبائر ﴿فظنُّوا أنهم مواقعوها﴾ أي علموا انهم داخلون فيها واقعون في عذابها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي مَعْدِلاً وموضعاً ينصرفون اليه ليتخلصوا منها ﴿ولقد صرفنا﴾ أي بيَّنا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ وتصريفها ترديدها من نوع واحد وأنواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مرَّ تفسيره في بني إسرائيل ﴿وكان الإنسان اكثر شيء جدلاً﴾ يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد أبي بن خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكأن الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴿وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجيء الدلالة ومن أن يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ أي إلا طلب ان تأتيهم العادة في الأولين من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والإيمان ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ او طلب أن يأتيهم العذاب عياناً مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرهاً لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا أن تضرب على أن المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قرأ قِبلاً فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون أيضاً جمع قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروباً من كل جهة ثم بيَّن سبحانه انه قد أزاح العلة وأظهر الحجة وأوضح المحجة فقال ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ أي لم نرسل الرسل إلى الخلق الا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا أو مخوفين لهم بالنار إذا عصوا ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ أي ويناظر الكفار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل ﴿ليدحضوا به الحق﴾ أي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتباعهم وجدالهم بالباطل انهم الزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحونه ليبطلوا به ما جاء به محمد ﷺ يقال ادحضت حجته أي أبطلتها ﴿واتخذوا آياتي﴾ يعني القرآن ﴿وما أنذروا﴾ أي ما تخوفوا به من البعث والنار ﴿هزواً﴾ مهزواً به استهزؤوا به .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن

تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ
ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم
مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ
لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

[ القراءة ] قرأ حفص عن عاصم لمَهلِكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مَهْلِك وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون لمُهلَكهم ومُهلَك بضم الميم وفتح اللام .

[ الحجة ] من قرأ لمُهْلَكهم فإن المُهْلَك يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون وقتاً فيكون معناه لاهلاكهم او لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمَهْلِكهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكي ان تميماً يقول هلكني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله « ومَهْمَهٍ هالِكِ مَنْ تَعَرَّجا »(١) فقال هو بمعنى مَهْلِك فيكون هالك مضافاً الى المفعول به واذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافاً الى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمَهْلِكهم على قراءة حفص أو لمَهْلَكهم بفتح اللام والميم فأنه مصدر فعلى قول من عدّى هلكت يكون مضافاً الى المفعول به وعلى قول من لم يعدّه يكون مضافاً الى الفاعل .

[ الإعراب ] تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصباً بفعل مضمر يكون أهلكناهم مفسّراً لذلك الفعل وتقديره وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ معناه ليس احد أظلم لنفسه ممن ذكر أي وعظ بالقرآن وآياته ونبّه على أدلة التوحيد فأعرض عنها جانباً ﴿**ونسي ما قدّمت يداه**﴾ أي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافاً به وقلة معرفة بعاقبته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم**

(١) هذا صدر بيت قاله العجاج وبعده « هائلة أهواله من أدلجا » والمه مه : المفازة البعيدة. وحكى عن الأصمعي في قوله هالك من تعرجا اي هالك المتعرجين ان لم يهذبوا في السير أي من تعرض فيه هلك .

اكنة﴾ وهي جمع كنان ﴿أن يفقهوه﴾ أي كراهة أن يفقهوه او لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أي ثقلاً وقد تقدَّم بيان هذا فيما مضى وجملته انه على التمثيل كما قال في موضع آخر وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فالمعنى كأنّ على قلوبهم أكنة ان يفقه وفي آذانهم وقراً ان يسمع ﴿وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون ابداً وقد خرج مخبره موافقاً لخبره فماتوا على كفرهم ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ معناه وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمة والافضال على خلقه وقيل الغفور التائب ذو الرحمة للمصرّ بأن يمهل ولا يعجل وقيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلاً ذو الرحمة يؤخّرهم ليتوبوا ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجَّل لهم العذاب ﴾ في الدنيا ﴿بل لهم موعد﴾ وهو يوم القيامة والبعث ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ أي ملجأ عن ابن عباس وقتادة وقيل محرزاً عن مجاهد وقيل منجا ينجيهم عن أبي عبيد قال يقال لا وَأَلَتْ نفسه أي لا نَجَتْ قال الأعشى

وَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنّي ثُمَّ لا يَئِلُ

وقال الآخر

لا وَأَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَهَا لِلْعَامِرِيَّيْنَ وَلَمْ تُكْلَمِ[1]

﴿وتلك القرى﴾ إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ بتكذيب أنبياء الله وجحود آياته ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي وجعلنا لوقت إهلاكهم أو لوقت هلاكهم ﴿موعداً﴾ معلوماً يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيره اليه وإنما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل أهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك اهلها ولذلك قال لما ظلموا يعني أهل القرية الذين أهلكناهم .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ

لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا

مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا

(١) كلمه كلما: جرحه.

جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾
قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ
أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ
عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

[ القراءة ] قرأ حفص وما انسانيهُ بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل وقد تقدَّم القول في وجه ذلك .

[ اللغة ] لا أبرح أي لا أزال ولو كان معناه لا أزول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع ارضاً قال الشاعر

وَأَبْـرَحُ مَـا أدامَ الـلَّهُ قَـوْمِـي ... رَخِيُّ الْبَـالِ مُنْتَـطِقـاً مُجِيـداً[1]

أي لا أزال والحقب الدهر والزمان وجمعه احقاب قال الزجاج والحقب ثمانون سنة والسَّرب المسلك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الأرض لا نفاذ لـه ويقال للذاهب في الأرض سارب قال الشاعر

أَنّـى سَـرَبْتِ وَكُـنْتِ غَـيْـرَ سَـرُوبِ ... وَتَـقَـرُّبُ الأَحْـلامِ غَـيْـرُ قَـرِيـبِ[٣]

والنصب والوصب والتعب نظائر وهو الوهن الذي يكون على الكدّ .

[ الإعراب ] سرباً منصوب على وجهين أحدهما ان يكون مفعولاً ثانياً لاتخذكما يقال اتخذت طريقي مكان كذا واتخذت طريقي في السرب والآخر أن يكون مصدراً يدل عليه اتخذ سبيله في البحر فكأنه قال فسرب الحوت سرباً وقوله ان اذكره في موضع نصب بدل من الهاء في انسانيه والمعنى وما انساني ان أذكره الا الشيطان وعجباً منصوب على وجهين ( أحدهما ) ان يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً ( والآخر ) ان يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى ( ع ) فقال عجباً فكأنه قال اعجب

(١) قائله خداش بن زهير وفي رواية الاشموني « بحمد الله منتطقا ا هـ » . ومنتطقاً اي لا يزال يجنب فرسه الجواد من قولهم جاء فلان منتطقاً فرسه : اذا جنبه ولم يركبه وقيل : اراد انه لا يزال ينطق القول .

عجباً وقصصاً ووضع موضع الحال تقديره يقصان الاثر قصصاً والقصص اتباع الأثر وقال احد المحققين عجباً في موضع حال تقديره قال ذلك متعجباً وقصصاً مصدر لفعل مضمر يدل عليه قوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقتصا الأثر .

[ النزول ] ذكر علي بن إبراهيم في تفسيره قال لما أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بخبر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى ( ع ) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فأنزل الله تعالى

[ المعنى ] ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ أكثر المفسرين على أنه موسى بن عمران وفتاه يوشع بن نون وسماه فتاه لأنه صَحِبه ولازمه سفراً وحضراً للتعلم منه وقيل لأنه كان يخدمه ولهذا قال له آتنا غداءنا وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول أهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن ميشا بن يوسف وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران إلا أن الذي عليه الجمهور أنه موسى بن عمران ولأن اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف الى نبينا ﷺ قال علي بن ابراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان أعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فكتبوا الى أبي الحسن الرضا ع ) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلّم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال أنت موسى بن عمران الذي كلّمه الله تكليماً قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشداً قال اني وكلت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا أطيقه الخبر بطوله ﴿لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين﴾ معناه لا ازال امضي وامشي ولا أسلك طريقاً آخر حتى أبلغ ملتقى البحرين بحر فارس وبحر الروم ومما يلي المغرب بحر الروم ومما يلي المشرق بحر فارس عن قتادة وقال محمد بن كعب هو طنجة وروي عنه افريقية وكان وعد ان يلقى عنده الخضر ﴿أو أمضي حقباً﴾ أي دهراً عن ابن عباس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ أي تركاه وقيل أنّه ضلّ الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرباً فسمي ضلاله عنهما نسياناً منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان أحدهما وهو يوشع ، فأضيف النسيان اليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعاً

فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء فصار كل واحد منهما ناسياً لغيره ما نسيه الآخر وقوله ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سرباً**﴾ أي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً يذهب فيه وذلك إن موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً عن ابن عباس وقيل حوتاً طرياً عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطىء البحر حتى انتهيا الى صخرة على ساحل البحر فأويا إليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شيء من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب بذنبه الماء فكان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار الماء جامداً فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴿**فلما جاوزا**﴾ ذلك المكان ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**لفتاه آتنا غداءنا**﴾ قيل أنهما انطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداءنا أي اعطنا ما نتغدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان الى الغداء اشدُّ حاجة منه إلى العشاء ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ أي تعباً وشدة قالوا ان الله تعالى القى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت ﴿**قال**﴾ له يوشع عند ذلك ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت**﴾ ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرأيت حين رجعنا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيته ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت أن أذكر لك امر الحوت ثم اعتذر فقال ﴿**وما انسانيه إلا الشيطان ان أذكره**﴾ وذلك أنه لو ذكر لموسى (ع) قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما ناله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجباً**﴾ أي سبيلاً عجباً وهو أن الماء انجاب عنه وبقي كالكوة لم يلتئم وقيل ان كلام يوشع قد انقطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجباً كيف كان ذاك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر ﴿**قال ذلك ما كنا نبغ**﴾ قال موسى (ع) ذلك ما كنا نطلب من العلامة ﴿**فارتدا على آثارهما**﴾ أي رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا منه يقصان آثارهما ﴿**قصصاً**﴾ أي ويتبعانها ويوشع أمام موسى (ع) حتى انتهيا إلى مدخل الحوت .

[ **القصة** ] سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه إذا لم يردَّ العلم اليه فأوحى الله إليه انَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك قال

موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل[١] ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرباً وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به فقال فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة الآية قال وكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدا رجلاً مسجى بثوب فسلّم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبراً يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى ستجدني إن شاء الله صابراً. لا أعصي لك أمراً فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من الواح السفينة بالقدوم[٢] فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئاً أمراً قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسراً قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى (ع) نسيانا وقال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال وهذه أشدّ من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد ان ينقض كان مائلاً فقال الخضر (ع) بيده فأقامه فقال موسى (ع) قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجراً قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً وكان يقرأ

(١) المكتل: الزنبيل يجعل فيه التمر وغيره. (٢) القدوم: آلة النجر والنحت.

واما الغلام فكان كافراً وكان ابواه مؤمنين رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) أيضاً انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروي ذلك أيضاً عن أبي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين (ع).

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا
عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ
رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا
وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى
ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ
لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ
جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٧٥﴾

[ القراءة ] قرأ أبو عمرو ويعقوب رَشَداً بالفتح والباقون رُشْداً بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون مدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لأنها مثبتة في جميع المصاحف وقرأ ليَغرَق بفتح الياء والرّاء اهلُها بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتُغرق بضم التاء أهلَها بالنصب وقرأ زكية بغير الف كوفي وشامي

وسهل والباقون زاكية وقرأ نُكُراً بضمتين مدني غير اسماعيل وأبو بكر ويعقوب وسهل وابن ذكوان والباقون نُكْراً ساكنة الكاف.

[ الحجة ] قال ابو علي الرَشَد والرُشد لغتان وقد اجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر فقالوا أَسَد وأُسْد وخَشَب وخُشْب فجمعوا فَعَلا على فُعْل ثم فُعُلاَ أيضاً على فُعْل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أُخرى في الفلك المشحون فهذا يدلك على أنهم أجروهما مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألنّي بالتشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة بني الفعل معها على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتَغرق اولى ليكون الفعل مسنداً إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء أيضاً لأنهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكراً فعل وهو من امثلة الصفات قالوا ناقة أُجُد ومشية سُجُح فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشغل فالتخفيف فيه مستمر.

[ اللغة ] الإمر الداهية العظيمة قال الشاعر:

لَقَدْ لَقِيَ الأَقْرانُ مِنّي نُكْراً داهِيَةً دَهْياءَ إدّاً إمْراً(١)

وهو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح ومنه رجل إمّرٌ إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوّى رأيه ومنه أَمِرَ القوم أي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه أن يؤمر فيه.

[ الإعراب ] قوله رشداً يجوز أن ينتصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد أو لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون على ان تعلمني حالاً من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رشداً مفعولاً به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رشداً مما علمته ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني أمراً ذا رشد وعلماً ذا رشد أو خبراً نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خبراً.

[ المعنى ] ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ أي صادف موسى وفتاه وادركا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر (ع) واسمه بليا بن ملكان وإنما سمي خضراً لأنه إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله وروي مرفوعاً انه قعد على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء وقيل انه رآه على طنفسة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبيّ بني إسرائيل فقال له موسى وما ادراك من انا ومن اخبرك انّي نبيٌّ قال من دلّك عليّ واختلف في هذا العبد فقال

(١) قائله الراجز وفي اللسان «وقد لقى اهـ».

بعضهم انه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله إياه من علم بواطن الأشياء وقال الاكثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبياً لأنه لا يجوز ان يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي وكان ابن الاخشيد يجوّز ان لا يكون نبياً ويكون عبداً صالحاً أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خُصَّ بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يؤدّيها من قبل الله تعالى **﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾** يعني النبوة وقيل طول الحياة **﴿علمناه من لدنا علما﴾** أي علما من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق (ع) كان عنده علـم لم يكتب لموسى (ع) في الالواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تابوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح **﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾** أي علماً ذا رشد قال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال هل اتبعك الآية عظّمه (ع) بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم إليه ورضي باتباعه وخاطبه بمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم الالطاف الدينية التي تخفى على الناس **﴿قال﴾** العالم **﴿انك لن تستطيع معي صبراً﴾** أي يثقل عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى (ع) كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما علمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال **﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾** أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبراً نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم أو لم يعلم **﴿قال﴾** موسى **﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾** أي اصبر على ما أرى منك **﴿ولا أعصي لك أمراً﴾** تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى (ع) وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وانه يجب ان يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيّد (ع) صبره بمشيئة الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من ان يكون كاذباً **﴿قال﴾** الخضر له **﴿فإن اتبعتني﴾** واقتفيت أثري **﴿فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً﴾** أي لا تسألني عن شيء افعله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى اكون انا الذي أفسّره لك **﴿فانطلقا﴾** يمشيان على شاطىء البحر **﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾**

ومعناه انهما أرادا أن يعبرا في البحر إلى أرض أخرى فاتيا معبرا فعرف صاحب السفينة الخضر (ع) فحملهما فلما ركبا في السفينة خرق الخضر (ع) السفينة أي شقّها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى (ع) بثوبه و ﴿وقال﴾ منكراً عليه ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ ولم يقل لنغرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه أشْفَقَ على القوم اكثر من اشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك ﴿لقد جئت شيئاً أمراً﴾ أي منكراً عظيماً يقال امر الأمر أمراً إذا كبر والإمر الاسم منه ﴿فقال﴾ له الخضر ﴿ألم اقل﴾ لك ﴿انك لن تستطيع معي صبراً﴾ أي ألم أقل حين رغبت في اتباعي ان نفسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معتذراً مستقيلاً ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ أي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضدّ الذكر وروي عن أبي ابن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة والسهو ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسراً إذا كلفته ذاك والمعنى عاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى أو كان قد تأخر عنهما وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن اولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله وقال الأصم كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاماً قالت ليلى الأخيلية.

شَفَاهَا مِنَ ٱلْعُضَالِ ٱلَّذي بِهَا غُلامٌ إذا هَزَّ ٱلْقَنَاةَ سَقَاهَا[1]

﴿قال أقتلت نفساً زكية﴾ أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذنب والزكية التي أذنبت ثم تابت حكي ذلك عن أبي عمرو بن العلاء وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزكية في الدين ﴿بغير نفس﴾ أي بغير قتل نفس يريد القود ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي قطعيا منكراً لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الامر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله ﴿قال﴾ العالم ﴿ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً﴾ أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله اولاً مع النهي عن العود بمثل سؤاله.

(١) داء عضال: شديد معي غالب.

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ
قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ
اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن
يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ
بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ
أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ
أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع
عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

[ القراءة ] قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحبني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خفيفة النون والباقون لدني بالتشديد وقرأ ابن كثير واهل البصرة لَتَخِذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير يظهر منه الذال والباقون لَتَّخَذت وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن يُبَدِّلهما بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يُبَدِّله وفي القلم أن يُبَدِّلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال وقرأ

رُحُما بضم الحاء أبو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس ويعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ جداراً يريد أن يُنقض بضم الياء وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر ينقاص بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعمش يريد لينقض.

[ الحجة ] من قرأ فلا تصحبني فمعناه لا تكون صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وأما قوله من لدنيّ فإن الاجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا ضفتها إلى نفسك زدت نوناً لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدنّي كما تقول عن زيد وعنّي ومن قرأ لدني لم يجز له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء المعنى ولدن مع ذلك اثقل مِنْ مِنْ وعن والدليل على ان الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسبي ويجوز قدي قال (قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنَ قَدِي)[1] فجاء باللغتين وقال أبو زيد اتخذنا مالاً نتخذه اتخاذاً وتَخِذْتُ اتخذ تخذا وقال أبو علي وجه الادغام ان هذه الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالتاء والدال والطاء والظاء والذال والثاء يدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا يدغمن في الستة لما يختل من ادغامها في مقاربها من الصفير واما قوله ان يبدلهما فإنّ ابدل وبدّل متقاربان في المعنى كما ان انزل ونزل كذلك واما قوله رُحما فإن الرُّحْم والرُّحُم هاهنا الرحمة قال رؤبة:

يَا مُنْزِلَ الرُّحْمِ عَلَى إدْرِيسِ وَمُنْزِلَ اللَّعْنِ على إبْلِيسِ

قال ابن جني قوله يريد ان ينقض معناه قد قارب أو شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد أبو الحسن.

كَادَتْ وَكِدْتُ[2] وَتِلْكَ خَيْرُ إرادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وحسن هنا لفظ الإرادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انها داعية الى وقوعه وهي

---

(١) هذا صدر بيت وبعده «ليس الامام بالشحيح الملحد». ونسبه الجوهري الى حميد بن ثور الهلالي وفي كلام غيره الى حميد الارقط تعرض فيه بعبد الله بن الزبير و «الخبيبين» يروى على صيغة المثنى ويروى على الجمع فعلى الاول عنى عبد الله وأخاه كمصعب أو هو وابنه خبيباً وعلى الثاني اراد هو وشيعته « والملحد » من الحد الرجل اي ظلم في الحرم وانتهك حرمته.

(٢) اي ارادت واردت.

أيضاً لا تصح الا مع الحياة ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الحائط واشراق ضوء الفجر وينقاضُ اي ينكسر يقال قِضْتُهُ نقاص قال:

فِـرَاقٌ كَقَيْصِ ٱلسِّنِّ فَـالصَّبْـرَ إِنَّـهُ  لِـكُـلِّ أُنَـاسٍ كَـسْـرَةٌ وَجُـبُـورٌ(١)

وقالوا أيضاً قضته فانقاض بضاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال (كَأَنَّها هَدْمٌ في الْجَفْرِ مُنْقاضُ)(٢) وقراءة العامة ينقض يحتمل أمرين (أحدهما) ان يكون ينفعل من القضة وهي الحصى الصغار (والآخر) ان يكون يفعل من نقضت الشيء كقراءة النبي ﷺ يريد ان ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتججت فيه بقراءة النبي ﷺ وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما انشد أبو زيد:

فَقَـالُـوا مَـا تَـشَـاءُ فَـقُـلْـتُ لَـهُـوا  إِلَـىَ الإِصْـبَـاحِ آثِـرَ ذِي أَثِـيـرِ(٣)

أي اللهو فوضع ألهو موضع مصدره وأنشد أيضاً:

وَأَهْـلَكَـنِـي لَـكُـمْ فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ  تَـعَـوُّجُـكُـمْ عَـلَيَّ وَأَسْـتَـقِـيـمُ

أي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله:

أُرِيـدُ لأَنْسَىٰ ذِكْـرَهَـا فَكَـأَنَّـمَـا  تَمَثَّـلَ لِـي لَيْلَـىٰ بِكُـلِّ سَبِيلِ

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدَّم ذكرهما:

[ اللغة ] الانقضاض السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فَانْقَضَّ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مُنْصَلِتاً) والوراء والخلف واحد وهو نقيض جهة القدام ويستعمل وراء بمعنى القدام أيضاً على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحد من الجهتين وراء الاخرى قال الشاعر:

أَتَرْجُـو بَنُـو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَـاعَتِي  وَقَـوْمِـي تَـمِـيـمٌ وَٱلْـفَـلاَةُ وَرَائِـيَـا

وقال لبيد:

أَلَيْسَ وَرَاءِي إِنْ تَـرَاخَـتْ مَـنِـيَّـتِـي  لُـزُومُ ٱلعَصَـا تُحْنَـو عَلَيْهَـا الأَصَـابِعُ

(١) قائله أبو ذؤيب وفي اللسان «عشرة عثرة وجبور» ويروى «كقيض» بالضاد ايضاً.

(٢) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو.

(٣) قائله عروة بن الورد. وآثر ذي أثير أي اول كل شيء.

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام قال علي بن عيسى وغيره ويجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ورهقه الفارس اي غشيه وادركه غلام مراهق إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امراً أي الحقه اياه قال الأزهري الرهق جهل الإنسان وارهقه عسراً كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي ﷺ إذا دخل مكة مراهقاً خرج إلى عرفة اي ضاق عليه الوقت .

[ الاعراب ] قال الزجاج قوله هذا فراق بيني وبينك زعم سيبويه ان معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا ومثله من الكلام اخزى الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز هذا فراق بيني فبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الاول ومساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الآحاد نظير ﴿رحمة من ربك﴾ منصوب على ضربين (أحدهما) ان المعنى فعلنا ذلك رحمة اي للرحمة كما تقول انقذتك من الهلكة رحمة لك (والآخر) أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما الله بذلك .

[ المعنى ] ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ أي قال له موسى جواباً إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة أو بعد هذه النفس وقتلها فلا تتركني اصحبك ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقد اخبرتني اني لا استطيع معك صبراً عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى ( ع ) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروي ان النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال استحيي نبي الله موسى ولو صبر لرأى الفا من العجائب ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية﴾ وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل ايلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى نصارى وهو المروي عن أبي عبد الله ( ع ) ﴿استطعما اهلها﴾ أي سألاهم الطعام ﴿فأبوا ان يضيفوهما﴾ والتضييف والإضافة بمعنى واحد أي لم يضيفهما احد من اهل القرية وروى ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال كانوا اهل قرية لئام وقال ابو عبد الله ( ع ) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما أحداً إلى ان تقوم الساعة ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ وصف الجدار بالإرادة مجاز ومعناه قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في أشعارهم كثير قال الراعي يصف الإبل .

فـي مَهْمَـهٍ قَلِقَـتْ بِهـا هاماتُها      قَـلَقَ الـفُـؤُوسِ إذا أرَدْنَ فُـصُـولا

وقال الآخر :

يُـرِيـدُ الـرُّمْـحُ صَـدْرَ أَبـي بَـرَاءٍ وَيَـرْغَـبُ عَـنْ دِمَـاءِ بَـنِي عَـقِـيـلِ

وقريب منه قول الآخر:

إِنَّ دَهْـراً يَـلِفُّ شَـمْـلِي بِـسُـعْـدَى لَـزَمَـانٌ يَـهُـمُّ بِـالإِحْـسَـانِ

أي كأنه يهمّ وقال عنترة يصف فرسه :

فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ القَـنَـا بِلَبَـانِـهِ وَشَكَـا إِلَيَّ بِـعَبْـرَةٍ وَتَـحَمْـحُـمِ (١)

﴿فأقامه﴾ أي سوَّاه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير ﴿قال لو شئت لتخذت عليه أجراً ﴾ معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسدُّ به جوعتنا ﴿قال هذا فراق بين وبينك﴾ معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرّر بين تأكيداً عن الزجاج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق بين وبينك ثم قال له ﴿سأنبئك﴾ أي سأخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبراً ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ معناه اما السبب في خرقي السفينة فهو أنها كانت لفقراء لا شيء لهم يكفيهم قد سكنتهم قلة ذات ايديهم ﴿يعملون في البحر﴾ اي يعملون بها في البحر ويتعيَّشون بها ﴿فأردت أن أعيبها﴾ أي احدث فيها عيباً ﴿وكان وراءهم﴾أي وكان قدامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة﴾ صحيحة أو غير معيبة ﴿غصباً﴾ عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صهيب قدمت الكوفة لاسمع من إسماعيل بن ابي خالد فمررت بشيخ جالس فقلت يا شيخ كيف امرُّ إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وترجع فقلت أليس ورائي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايديهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر (ع) ﴿وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين﴾ وروي عن أبي وابن عباس انهما كانا يقرءآن واما الغلام فكان كافراً وابواه مؤمنين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

(١) مر البيت في صفحة ٧٠٣ .

ومعناه واما الغلام الذي قتله فإنما قتلته لأنه كان كافراً ﴿فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ أي فعلمنا انه إن بقي يرهق أبويه أي يغشيهما طغياناً وكفراً وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخفنا ان يحمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملهما على الذبّ عنه والتعصب له فيؤدّي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في العصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه فكرهنا ان يرهق الغلام ابويه إثماً وظلماً بطغيانه وكفره ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ أي ولداً خيراً منه ديناً وطهارة وصلاحاً ﴿واقرب رحماً﴾ أي وارحم بهما عن قتادة والزكاة الصلاح والزكي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه ابرّ بـوالديه وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه وأقرب ان يرحما به قال قتادة قال مطرف ايم الله انا لنعلم انهما فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتهما فرضي رجل ما قسم الله له فإنه قضـاء الله للمؤمن خي من قضائـه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فـاستخر الله وارض بقضائه وروي انهما ابدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبياً عن أبي عبد الله (ع) وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم عن الكلبي وفي قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب اليه لان المفهوم من الآية انه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة أن يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل أنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا أن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادراً على إزالة حياة الغلام بالموت من غير الم فتزول التبقية التي هي المفسدة من غير ادخال ايلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين (أحدهما) ان الله تعـالى قد علم ان ابـويه لا يثبتـان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب في القتل (والآخر) ان تبقيه الغلام إذا كانت مفسدة فالله تعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه اعواضاً كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه اضعافـاً كثيرة فيصير القتل بـالمنافـع العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان ﴿وأما الجدار فكان﴾ أي فإنما أقمته لأنه كان ﴿لغلامين يتيمين في المدينة﴾ يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز الا علمـاً وقيل كـان كنزاً من الـذهب والفضة عن قتـادة

وعكرمة واختاره الجبائي ورواه ابو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحاً من ذهب وفيه مكتوب عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجباً لمن ايقن بالرزق كيف يتعب. عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة ونقصان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكنز كان مالاً كتب فيه علم فهو مال وعلم ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ بيّن سبحانه انه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحاً عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) انه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله ﴿فأراد ربك ان يبلغا أشدهما﴾ أي ينتهيا إلى الوقت الذي يعرفان فيه نفع انفسهما وحفظ مالهما وهو ان يكبرا ويعقلا ﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ أي نعمة من ربك والمعنى ان كل ما فعلته رحمة من الله تعالى اي رحم الله بذلك المساكين وابوي الغلام واليتيمين رحمة ﴿وما فعلته عن امري﴾ أي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد انكشف لي من الله علم فعملت به ثم قال ﴿ذلك﴾ الذي قتله لك ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ أي ثقل عليك مشاهدته ورؤيته واستنكرته يقال استطاع يستطيع واسطاع يسطيع قال أبو علي الجبائي لا يجوز ان يكون الخضر حياً إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولانه لا نبي بعد نبينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز أن تنخرق العادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يمتنع ايضاً ان يكون بحيث لا يتعرف الى احد وان الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله انه لا نبي بعد نبينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نبينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشريعة نبينا ولو كان داعياً إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لها فلا يؤدي إلى ما قاله الجبائي.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ
أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾

[ **القراءة** ] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فَأَتْبَع ثم أَتْبع بهمزة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فاتَّبع بهمزة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئه بغير ألف مهموز.

[ **الحجة** ] قال ابو علي تبع فعل يتعدّى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدّى إلى مفعولين يدلك على ذلك قوله واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وأما اتَّبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدّى فعل إليه مثل حفرته واحتفرته وشويته واشتويته ومن قرأ فَأَتْبَع سبباً تقديره فأَتْبَع سبباً سبباً أو أَتبع امره سبباً أو أَتْبَع ما هو عليه سبباً فحذف أحد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون **قولا** والمعنى لينذر الناس بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون أحداً قولاً ومن قرأ فَأَتْبَع سبباً فالمعنى اتجه في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال أبو عبيدة معناه اتبع طريقاً وأثراً ومن قرأ حمئة فعلى فعلة ومن قرأ حامية فهي فاعلة من حيث تحمي فهي حامية وروي عن الحسن أنه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية أن يكون فاعلة من الحماة فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها ياء محضة وان خففها على قول الخليل كانت بين بين قال سيبويه وهو قول العرب .

[ **اللغة** ] القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوائب ومنه قول ابي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وهو التفكر وقد يكون باللسان وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب يقال للطريق إلى الشيء سبب وللحبل سبب وللباب سبب والحمأة الطين الأسود يقال حمئت البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحمأة قال ابو الأسود.

تَجِيءُ بِمِلْئِهَا طَوْراً وَطَوْراً      تَجِيءُ بِحَمْأةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

وحمأت البئر اخرجت منه الحمأة واحمأتها القيت فيها الحمأة.

[ الإعراب ] إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً أنْ مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما ان قوله فاما منا بعد واما فداء كذلك ويجوز ان يكون ان مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر اي اما العذاب واقع منك فيهم واما اتخاذ أمر ذي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا اظهر والأول عن أحمد بن يحيى.

[ المعنى ] ثم بيَّن سبحانه قصة ذي القرنين فقال ﴿ويسألونك﴾ يا محمد ﴿عن ذي القرنين﴾ أي عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلف فيه فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل انه كان ملكاً عادلاً وروي عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله وأحبه الله واحبه وناصح الله وناصحه قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذي القرنين اقوال أخر (منها) انه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان عن الحسن (ومنها) أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامة عن يعلى بن عبيد ومنها انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج (ومنها) انه رأى في منامه انه دنى من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقصَّ رؤياه على قومه فسمُّوه ذا القرنين عن وهب (ومنها) انه عاش عيش قرنين فانقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي (ومنها) انه كان كريم الطرفين من اهل بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾ معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة ﴿أنا مكنا له في الأرض﴾ أي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروي عن علي (ع) انه قال سخّر الله له السحاب فحمله عليها ومدَّ له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذلّل له طريقها وحزونها حتى تمكن منها انى شاء ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ أي فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيناه من كل شيء سبيلاً كما قال سبحانه لعليّ ابلغ الأسباب اسباب السماوات اي سبلها ﴿فأتبع سبباً﴾ معناه فأتبع طريقاً واحداً في سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبباً من الاسباب التي اوتي بها وذلك انه أوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الاسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب ومن قرأ فاتبع سبباً فمعناه

لحق كقوله فأتبعه الشيطان والاصل فيه ما مرَّ ذكره في الحجة ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ اي موضع غروبها انه انتهى إلى آخر العمارة من جانب المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب لأنه لا يصل إليه أحد ﴿وجدها تغرب﴾ معناه وجدها كأنها تغرب ﴿في عين حمئة﴾ وان كانت تغرب في ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولأنه قال وجد عندها قوماً ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء ومن كان في البرّ يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء والعين الحمئة هي ذات الحمأة وهي الطين الأسود المنتن والحامية الحارة وعن كعب قال أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله ﴿ووجد عندها قوماً﴾ معناه ووجد عند العين ناساً ﴿قلنا ياذا القرنين إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً﴾ في هذا دلالة على ان القوم كانوا كفاراً والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرهم وتمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تعفو عنهم واستدلّ من ذهب إلى ان ذو القرنين كان نبياً بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الأنبياء وقال الكلبي ان الله تعالى الهمه ولم يوح إليه وقال ابن الأنباري ان كان ذو القرنين نبياً فإن الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي وان لم يكن نبياً فإن معنى قلنا الهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه واوحينا إلى أم موسى أي وألهمناها قال قتادة فقضي ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال ﴿أما من ظلم﴾ اي اشرك عن ابن عباس ﴿فسوف نعذبه﴾ أي نقتله إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد قتلي اياه ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ أي منكراً غير معهود يعني في النار وهو أشد من القتل في الدنيا .

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا
بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتنوين. والباقون جزاءُ الحسنى بالرفع والإضافة.

[ **الحجة** ] قال ابو علي من قال فله جزاءُ الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التي عملها لأن الإيمان والعمل الصالح خلال ومن قال فله جزاءً الحسنى فالمعنى له الحسنى جزاءً فجزاءً مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسنى مجزية وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدماً الا في الشعر:

[ **المعنى** ] ﴿**وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى**﴾ مرَّ معناه ﴿**وسنقول له من أمرنا يسراً**﴾ أي سنقول له قولاً جميلاً وسنأمره بما يتيسر عليه ولا نؤاخذه بما مضى من كفره ﴿**ثم اتبع سبباً**﴾ أي طريقاً آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق ﴿**حتى إذا بلغ مطلع الشمس**﴾ أي بلغ موضع ابتداء العمارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس ﴿**وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً**﴾ معناه انه لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والاسراب وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى ابو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في ان حكمهم حكم اولئك قيل ان معناه انه اتبع سبباً إلى مطلع الشمس مثل ما اتبع سبباً إلى مغرب الشمس وتمَّ الكلام عند قوله ﴿**كذلك**﴾ ثم ابتدأ سبحانه فقال ﴿**وقد أحطنا بما لديه خبراً**﴾ أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة وآلات السياسة وقيل معناه أحطنا علماً بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بافعاله لامتثاله أمر الله تعالى في كل أحواله ﴿**ثم اتبع سبباً**﴾ معناه ثم اتبع مسلكاً بالغاً مما يبلغه قطراً من اقطار الأرض وهذا يقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل لانه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما اخذ في طريق آخر.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ
يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا
مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ
ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا
رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾

[ القراءة ] قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السُّدين بضم السين وسُدًا حيث كان بالفتح وقرأ حفصُ الجميع بالفتح وقرأ الباقونَ الجميع بالضم كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يُفْقِهون بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتح الياء والقاف وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة ومثله في الأنبياء وقرأ الباقون بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وفي المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالالف والباقون خرجاً بغير الف في الموضعين فخراج ربك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكنني بنونين والباقون بنون واحدة مشددة وقرأيحيى عن أبي بكر ردما اتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر قال ايتوني بالوصل ايضاً والباقون آتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ اهل المدينة والكوفة غير ابي بكر بين الصَّدَفين بفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير أبي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون الدال وقرأ حمزة غير خلاد فما اسْطّاعوا مشددة الطاء والباقون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمزة والباقون دكا منونا غير مهموز.

[ الحجة ] قال ابو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو سُدّ بالضم وما بناه الادميون فهو سَدٌّ وقال غيره هما لغتان كالضَعْفِ والضُعف والفَقْر والفُقْر قال أبو علي يجوز أن يكون السَّد بالفتح مصدراً والسُّد بالضم المسدود كالاشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السُقي والسَقي والشُرب والشَرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين

السُّدّين لأنه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسماً للمسدود نحو نَسْج اليمن وضَرْبُ الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يُفقهون فإن فقهت يتعدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يُفْقِهون أحداً قولاً فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعوهم مشْرقين والمعنى فاتبعوهم جندهم مشرقين وقوله فأتبعهم فرعون وجنوده اي فأتبعهم فرعون طلبه إياهم او تَتَبُّعه لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي يأجوج ان جعلته عربياً فهو يفعول من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفاً فهو على قوله يفعول ايضاً وان كانت الألف في يأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال سأق[1] ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كمجوس واما مأجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من مج فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنعا من الصرف للعجمة والتعريف وقوله هل نجعل لك خرجاً أي هل نجعل لك عطية نخرجها إليك من أموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خرجاً أي مالا يخرجونه إليك فأما المضروب على الأرض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول العجاج (يَوْم خَراجٍ يَخْرُجُ السَّمَرَّجا)[2] فهذا ليس على الضرائب التي الزمت الأرضين لأن ذلك لا يضاف إلى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مؤبّد لا يتغير وقوله ما مكّني باظهار المثلين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك ومكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما ان من قال قِتّلوا في اقتتلوا كان كذلك قال أبو علي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فإذا ضعّفت العين عدّيته بذلك وحجة من قرأ ردما ايتوني ايتوني ان اشبه بأعيوني بقوة لأنه كلفهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له وقوله ايتوني الذي معناه جيؤني إنما هو معونة على ما كلفهم في قوله فأعينوني بقوة وأما آتوني فمعناه اعطوني، فاعطوني يجوز ان يكون على المناولة ويجوز ان يكون على الاتهاب واتوني المقصورة لا يحتمل الاجيئوني فيكون احسن هنا لا ختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين والعطية قد تكون هبة قال.

---

(١) السأق لغة في الساق.

(٢) السمرج : استخراج الخراج في ثلاث مرات، فارسي معرب.

وَمِنَّا الَّذِي أَعْطَى الرَّسُولُ عَطِيَّةً أُسَارَى تَمِيمٍ وَالْعُيُونُ دَوَامِعُ

فالعطية تجري مجرى الهبة لهم والإنعام عليهم في فكّ الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ آتوني أنه لم يرد بأتوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالانفس كما كان قراءة من قرأ أيتوني لا يصرف إلى استدعائه تمليك عين بهبة ولا بغيرها فأما انتصاب زبر الحديد فإنك تقول أتيتك بدرهم قال :

أَتَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ فِي الْقَيْدِ مُوثَقاً فَهَلاَّ سَعِيداً ذَا الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جرّ ثم يجوز أن يحذف الحرف اتساعاً فيصل الفعل إلى المفعول الثاني على حد أمرتك الخير ونحوه والصَّدَفْ والصُّدُف والصُّدْف لغات فاشية قال أبو عبيدة الصَّدفان جنبتا الجبل ومن قرأ ائتوني أفرغ عليه قطراً فمعناه جيئوني به كما قلناه في ائتوني زبر الحديد في اتصال الفعل إلى المفعول الثاني بحرف الجر إلا أنه أعمل الفعل الثاني فلو أعمل الفعل الأول لكان ائتوني أفرغه عليه بقطر إلا أن يقدر أن الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله ﴿ ائتوني زبر الحديد ﴾ وجميع ما مرّبنا في التنزيل من هذا النحو انما هو على أعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ومنه قوله﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ ووجه من قرأ آتوني أن المعنى ناولوني قطراً أفرغ عليه قطراً إلا أنه أعمل الثاني من الفعلين كما أعمل الثاني من قصر ائتوني وقراءة حمزة فما اسْطّاعوا إنما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلق حركتها على السين فيحرّك ما لا يتحرك ولكن ادغم مع أن الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو وقد تقدّم ذكر وجه هذا النحو ومما يؤكّد ذلك أن سيبويه أنشد :

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلاَلِ الزَّاجِرِ وَمَسْحِهِ مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرِ[1]

والحذف في اسطاعوا والاثبات في استطاعوا كل واحد منهما أحسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة أيضاً وأما قوله جعله دكا فإنه يحتمل أمرين ( أحدهما ) أنه لما قال جعله دكا كان بمنزلة خلق وعمل فكأنه قال دكه دكاً فحمله على الفعل الذي دلّ عليه قوله جعله والوجه الآخر أن يكون جعله ذا دكّ فحذف المضاف ويمكن أن يكون حالاً في هذا الوجه ومن قرأ دكاء فعلى حذف المضاف كأنه جعله

(١) مر البيت مفسراً في ج ١ فراجع .

مثل دكاء قالوا ناقة دكاء أي لا سنام لها ولا بدَّ من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكاء .

[ **اللغة** ] السد وضع ما ينتفي به الخرق يقال سَدَّه يسدُّه ومنه سدد السهم لأنه سدّ عليه طرق الإضطراب ومنه السداد الصواب والردم السد والحاجز يقال رَدَم فلان موضع كذا يَرْدِمه رَدْماً والثوب المُرَدَّم الخلق المرقع ومنه قول عنترة :

هَـلْ غَـادَرَ الشُّعَـرَاءُ مِنْ مُتَـرَدَّمِ أَمْ هَـلْ عَـرَفْتَ الـدَّارَ بَعْـدَ تَـوَهُّمِ

أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفر ونحوهما وأصله الاجتماع ومنه الزبور وزبرت الكتاب إذا كتبته لأنك جمعت حروفه قال أبو عبيدة القطر الحديد المذاب وأنشد :

حُسَـامٌ كَلَوْنِ الْمِلْحِ صَافٍ حَـدِيـدُهُ جُـرَازٌ مِنْ أَقْـطَارِ الْحَـدِيـدِ الْمُنَعَّتِ(١)

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واسطاع يسطيع واستاع يستيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فأما اسطاع يسطيع بقطع الألف وهو أطاع أفعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اهراق يهريق زادوا الهاء في أراق يريق وليس هذا العوض بلازم ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض .

[ **المعنى** ] ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين** ﴾ ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق أنه سلك طريقاً إلى أن بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج ومَنْ وراءهم عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سدّ لم يكن لطبهم السد معنى والسدّ الموضع المسدود لا المنفتح ﴿ **وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً** ﴾ أي خصّوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم أنهم ﴿ **قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض** ﴾ ويجوز أن يكون الله سبحانه فهّم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (ع)

---

(١) سيف جراز : قاطع .

منطق الطير أو قالوا له بترجمان أن يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم وفسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكلبي وقيل أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت يا رسول الله وما الأرز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرُّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل أنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجة وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة في ولد بني آدم وذلك أن آدم ( ع ) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله ﴿ **فهل نجعل لك خرجاً** ﴾ أو خراجاً معناه فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله أبو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تغلب ﴿ **قال** ﴾ ذو القرنين ﴿ **ما مكني فيه ربي خير** ﴾ أي أعطاني ربي من المال ومكني فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه عليَّ من الأجر ﴿ **فأعينوني بقوة** ﴾ أي برجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بعمل تعملونه معي عن الزجاج وقيل بآلة العمل وذلك زبر الحديد والصفر ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردماً** ﴾ أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم أشد الحجاب وقيل هو السد المتراكب بعضه على بعض ﴿ **آتوني زبر الحديد** ﴾ أي أعطوني قطع الحديد أو جيئوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد ليعمل الردم في وجوه يأجوج ومأجوج فبناه ﴿ **حتى إذا ساوى بين الصدفين** ﴾ أي سوّى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري يقال لجانبي الجبل صدفان لتصادفهما أي تحاذيهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد

منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله ﴿ قال انفخوا ﴾ معناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزبر أمرهم أن يؤتى بمنافخ الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي أوقدت فيه ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾ أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللهب فصار قطعة واحدة لزم بعضها بعضاً ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ أي أعطوني نحاساً مذاباً أو صفراً مذاباً أو حديداً مذاباً أصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذي فيه ويصير جداراً مصمتاً فكانت حجارته الحديد وطينه النحاس الذائب عن ابن عباس ومجاهد والضحاك قال قتادة فهو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾ معنا فلما تمَّ لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ أي ولم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته ونفي بذلك كل عيب يكون في السد وقيل أن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط وقيل أنه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينية واذربيجان وقيل أن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً ﴿ قال ﴾ ذو القرنين ﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ أي هذا السد نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شر يأجوج ومأجوج عنهم ﴿ فإذا جاء وعد ربي ﴾ يعني إذا جاء وقت أشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدَّره الله تعالى ﴿ جعله دكاء ﴾ أي جعل السد أرضاً مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث أنهم يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم[1] فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده أن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكراً وفي تفسير الكلبي أن الخضر واليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج ﴿ وكان وعد ربي حقاً ﴾ أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بدَّ من كونه فإنه حقّ إذ لا يجوز أن يخلف وعده .

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي

(١) النغف : دود يسقط من أنوف الإبل والغنم . وقيل : دود أبيض يكون في النوى إذا انقع .

ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ
عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟
لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى
مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟
وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

[ القراءة ] قرأ أبو بكر في رواية الأعشى والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أفَحَسْبُ الذين كفروا برفع الباء وسكون السين وهو قراءة أمير المؤمنين ( ع ) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الأحرف التي اختارها أبو بكر وخالف عاصماً فيها وذكر أنه أدخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين ( ع ) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقون أفحَسِبَ بكسر السين وفتح الباء .

[ الحجة ] قال ابن جني معناه أفحَسْبُ الكافرين وحظهم ومطلوبهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء بل يجب أن يَعبدوا أنفسَهم مثلهم فيكون كلهم عبيداً وأولياء لي ونحوه قوله تعالى ﴿ وتلك نعمة تمنّها عليّ ان عبدت بني إسرائيل ﴾ أي اتخذتهم عبيداً لك وهذا أيضاً هو المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا إلا أن حسب ساكنة السين اذهب في الذم لهم وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وليست القراءة الأخرى كذلك .

[ اللغة ] الترك التخلية والتريكة بيضة النعام كأنها تركت بالعراء والتريكة أيضاً الروضة يغفلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما

يجوز على العاذر بعذره إلا أنه يتوسع فيه فيعير فيه عن الإخلال بالشيء بالترك والموج اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض والنُزُل ما يُهيأ للنزيل وهو الضيف قال الشاعر :

نَـزِيـلُ الْقَـوْمِ أَعْـظَمُهُمْ حُقُـوقـاً وَحَـقُّ اللهِ فـي حَـقِّ الـنَّـزِيـلِ

وطعام ذو نُزْل ونَزَل بفتح النون والزاء أيضاً ذو فضل .

[ الإعراب ] أن يتخذوا في موضع نصب بوقوع حسب عليه ومن قرأ فحَسْبُ بالرفع وسكون السين فإن يتخذوا في موضع رفع أعمالاً منصوب على التمييز لأنه لما قال بالأخسرين كان مبهماً لا يدل على ما خسروه فبيَّن ذلك الخسران في أي نوع وقع والذين يصلح أن يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح أن يكون في موضع رفع على الاستئناف أي هم الذين ضل سعيهم .

[ المعنى ] ثم أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه وقيل أنه أراد سائر الخلق من الجن والإنس أي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال ﴿ ونفخ في الصور ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فإن الله سبحانه يصوّر الخلق في القبور كما صوّرهم في أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم عن الحسن وأبي عبيدة وقيل أنه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم ﴿ فجمعناهم جمعاً ﴾ أي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾ أي أظهرنا جهنم وأبرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا ألوان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ﴾ ذكر سبحانه السبب الذي استحقُّوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب لذكري وأعرضوا عن التفكر في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في عينه غطاء يمنعه من الإدراك ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ أي وكان يثقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان لا يستطيع النظر إليك ولا يستطيع أن يسمع كلامك أي يثقل عليه ذلك وأراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العمى إلى القلب ﴿ أفحسب الذين

**كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾** معناه أفحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أرباباً ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من دون الله وهم براء منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهة وأنا لا أغضب لنفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله ﴿ **إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً** ﴾ أي منزلاً عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مثواهم ومصيرهم وقيل معناه أنا جعلنا جهنم معدة مهيأة للكافرين عندنا كما يهيأ النزل للضيف ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هل ننبئكم** ﴾ أي هل نخبركم ﴿ **بالأخسرين أعمالاً** ﴾ أي بأخسر الناس أعمالاً والمعنى بالقوم الذين هم أخسر الناس فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿ **الذين ضل سعيهم** ﴾ أي بطل عملهم واجتهادهم ﴿ **في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ أي يظنون أنهم بفعلهم محسنون وان أفعالهم طاعة وقربة وروى العياشي بإسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين (ع) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد يعني الخوارج ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم** ﴾ أي جحدوا بحجج الله وبيناته ولقاء جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذي أمرهم الله به ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ أي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولا نعتد بهم بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أي قدر ومنزلة ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعة بطشه وقلة تثبته وروي في الصحيح أن النبي ﷺ قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم** ﴾ معناه الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخيبة قدرهم ثم ابتدأ سبحانه فقال جزاؤهم جهنم ﴿ **بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً** ﴾ أي بكفرهم واتخاذهم آياتي أي أدلتي الدالة على توحيدي يعني القرآن ورسلي هزواً أي مهزوًا به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن ينفد بالياء والباقون تنفد بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مداداً .

[ **الحجة** ] قال أبو علي تنفد بالتاء أحسن لأن المسند إليه للفعل مؤنث والمذكر حسن أيضاً لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قرأ مدداً فهو منصوب على الحال كما يقال جئتك بزيد عوناً لك ومدداً لك ويجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله ﴿ **ولو جئنا بمثله** ﴾ فكأنه قال أمددنا به أمداداً ثم وضع مدداً موضع امداداً وقال الزجاج هو منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مداداً فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل قولك لي مثله عبداً أي من العبيد وعلى التمرة مثلها زبداً أي من الزبد .

[ **اللغة** ] الفردوس البستان الذي يجتمع فيه التمر والزهر وسائر ما يمتع ويلذ قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم أن الفردوس الأودية التي تنبت ضروباً من النبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم نجده في أشعار العرب إلا في بيت حسان :

فَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدِ جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

والحِوَل التحول يقال قد حال من مكانه حِوَلاً كما قالوا في المصادر صَغُر صِغَراً وَعَظُم عِظَماً وعاد في حبها عِوَداً وقيل إن الحِوَل أيضاً الحيلة وقيل أن الحِوَل بمعنى التحويل يقال حوَّلوا عنها تحويلاً وحِوَلاً عن الأزهري وابن الأعرابي والمداد التي يكتب به والمدد المصدر وهو مجيء شيء بعد شيء والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام ﴿ **ومما** ﴾ يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجمع القليل عن الجمع الكثير وبالكثير عن القليل قال الله تعالى ﴿ **وهم في الغرفات آمنون** ﴾ والغرف في الجنة أكثر من أن تحصى وقال ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ وقال حسان :

لَنَـا الْجَفَنَـاتُ الغُـرِّ يَلْمَعْنَ في الضُّحى    وَأَسْيَـافُنَـا يَـقْـطُرْنَ مِنْ نَـجْـدَةٍ دَمـا[١]

وكان أبو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن النابغة وأنه قال لحسان قللت جفناتكم وأسيافكم[٢] فقال لا يصح هذا عن النابغة .

[ **الإعراب** ] إن جعلت نزلاً بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وإن جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدّرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمهما نزلا ويجوز أن يكون نزلا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان أنه كان في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا عن ابن الأنباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والأصل الكسر إلا أنه يثقل في اللفظ .

[ **المعنى** ] لمّا تقدّم ذكر حال الكافرين عقّبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس** ﴾ أي كان في حكم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو أطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأعناب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس ﴿ **نزلاً** ﴾ أي منزلاً ومأوى وقيل ذات نزول ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي دائمين فيها ﴿ **لا يبغون عنها حولاً** ﴾ أي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولاً إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لجميع المكلفين ﴿ **لو كان البحر** ﴾ وهو اسم الجنس أي لو كان البحر بمائه ﴿ **مداداً لكلمات ربي** ﴾ أي مداداً ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء ويأمر به كما قال في عيسى(ع)﴿**وكلمته ألقاها إلى**

---

(١) الجفنات : القصاع . والغر : البيض . أراد أنها بيض من كثرة الشحم وبياض اللحم . يصف قومه بالجود والشجاعة .

(٢) حكي أن النابغة الذبياني كان يضرب له بسوق عكاظ قبة حمراء من آدم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فصدف أن أنشده حسان يوماً هذا البيت فقال النابغة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، أراد أن أسياف جمع لأدنى العدد والكثير السيوف، والجفنات كذلك لأدنى العدد والكثير الجفان . وفي هذا البيت كلام للخنساء أيضاً فإنها قالت لحسان: لقد قلت يلمعن بالضحى وكان حقه بالدجى، وقلت: الغر وكان حقه البيض ويقطرن وكان الأجمل يسلن أو يفضن .

مريم ﴾ وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب وأوعد لأهل العقاب عن أبي مسلم ﴿ لنفد البحر ﴾ أي لفنى ماء البحر ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ وقيل إن كلماته المراد بها مقدوراته وحكمته وعجائبه وقوله ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ أي ولو جئنا بمثل البحر مدداً له أي عوناً وزيادة لما نفد ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد بذلك أعيان الكلمات لأنه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مداداً لكتابة معاني كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كتابة معاني كلمات ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجائي وا لآتي شيئاً بعد شيء قال ابن الأنباري سمي المداد مداداً لأمداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداداً وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ قالت اليهود أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى ونظيره ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ الآية ثم قال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ قال ابن عباس علَّم الله نبيَّه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي وهو قوله ﴿ يوحى إليَّ إنما إلٓهكم إلٓه واحد ﴾ لا شريك له أي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي إلا ما علمنيه الله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربه ويأمله ويقر بالبعث إليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل أن الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف والأمل وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فَـلا كُـلُّ مَـا تَـرْجُـو مِنَ الْخَيْـرِ كَـائِنٌ ... وَلاَ كُـلُّ مَـا تَـرْجُـو مِـنَ الشَّـرِّ وَاقِـعُ

﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ أي خالصاً لله تعالى يتقرّب به إليه ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ غيره من ملك أو بشر أو حجر أو شجر عن الحسن وقيل معناه لا يرائي في عبادته أحداً عن سعيد بن جبير وقال مجاهد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيُذْكر ذلك مني وأُحْمَد عليه فيسرُّني ذلك وأعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً فنزلت الآية قال عطاء عن ابن عباس إن الله تعالى قال ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويحب أن يحمد عليه قال ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال قال الله عز وجل ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه

بريء ﴾ فهو للذي أشرك أورده مسلم في الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآية وروي أن أبا الحسن الرضا ( ع ) دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحداً فصرف المأمون الغلام وتولى إتمام وضوئه بنفسه وقيل إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي ( ع ) قال ما من عبد يقرأ ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ إلى آخره إلا كان له نوراً في مضجعه إلى بيت الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نوراً إلى بيت المقدس وقال أبو عبد الله ( ع ) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريدها .

[ النظم ] وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾ بما قبلها أنه لما تقدَّم الأمر والنهي والوعد والوعيد وعقَّب ذلك سبحانه ببيان أن مقدوراته لا تتناهى وأنه قادر على ما يشاء في أفعاله وأوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف أن يمتثل أمره ونهيه ويثق بوعده ويتقي وعيده .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

# (١٩) سورة مريم مكية وآياتها ثمان وتسعون

وهي مكية بالإجماع .

[ عدد آيها ] وهي ثمان وتسعون آية عراقي شامي والمدني الأول وتسع مكي والمدني الأخير .

[ إختلافها ] ثلاث آيات كهيعص كوفي الرحمن مداً غير الكوفي في الكتاب إبراهيم مكي والمدني الأخير .

[ فضلها ] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها أعطي من الأجر بعدد من صدّق بزكريا وكذّب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً وقال الصادق ( ع ) من أدْمَنَ قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم ( ع ) وأعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان بن داود في الدنيا .

[ تفسيرها ] ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء إليه وافتتح هذه السورة بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بعثاً على الإقتداء بهم والإهتداء بهديهم وحثاً عليه فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ

رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

**[ القراءة ]** قرأ أبو عمرو كهيعص بأمالة ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحمزة وخلف بفتح ها وأمالة يا وقرأ الكسائي بأمالة ها ويا وروي ذلك عن اليزيدي عن أبي عمرو وعن يحيى عن أبي بكر والباقون بفتحها وقرأ أبو عمرو والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيهما والباقون بالرفع فيهما وفي الشواذ قراءة الحسن ذَكَرَ رَحْمَةَ ربك وقراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابن يعمر وسعيد بن جبير وأني خفت الموالي بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن أبي طالب ( ع ) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والجحدري وقتادة وأبي نهيك يرثني وأرث من آل يعقوب .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

**[ الحجة ]** قال أبو علي القول في أمالة هذه الحروف أنها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء لهذه الأصوات قال سيبويه قالوا بأمالاتها لأنها أسماء لما يتهجى به فجازت فيها الأمالة كما جازت في الأسماء ويدلك على أنها أسماء أنك إذا أخبرت عنها أعربتها وإن كنت لا تعربها قبل ذلك كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتها فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء فكذلك هذه الحروف وإذا كانت أسماء ساغت الإمالة فيها فأما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز وكلهم أخفى نون عين إلا حفصاً فإنه بيَّن النون وقال أبو عثمان وبيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجري على الوقف عليها والقطع لها عما بعدها فحكمها البيان وأن لا تخفى فكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف وعلى أنها منفصلة عما بعدها ومما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا ثلاثة أربعة نقلوا حركة الهمزة إلى الهاء لسكونها ولم يقلبوها تاء وإن كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النون ينبغي أن تبين لأنها في نية الوقف والإنفصال مما بعدها ولمن لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزة في ألم الله ألا ترى أن الهمزة لم تقطع وإن كان ما هي منه في تقدير الإنفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الإتصال كما

كانت الهمزة فيما ذكرنا كذلك قال أبو الحسن التبيين يعني تبيين النون أجود في العربية لأن حروف الهجاء والعدد ينصل بعضها من بعض قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجهه الرفع في قوله ﴿ يرثني ويرث ﴾ إنه سأل ربه ولياً وارثاً وليس المعنى على الجزاء أي إن وهبته يرث ووجه الجزم أنه على الجزاء وجواب الدعاء ومن قرأ يرثني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي ولياً يرثني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جني قال وهذا ضرب من العربية غريب فكأنه جرد منه وارثاً ومثل قوله تعالى ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ وهي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً وعليه قول الأخطل :

بِنَـزْوَةِ لُصٍّ بَعْـدَ مَـا مَـرَّ مُصْعَبٌ بِـأَشْعَثَ لاَ يُفْلى وَلاَ هُـوَ يَقْمَـلُ

ومصعب نفسه هو الأشعث فكأنه إستخلص منه أشعث وأما قراءة الحسن ذَكَّرَ رَحْمَةَ ربك فإن فاعل ذكر ضمير ما تقدم أي هذا المتلو من القرآن الذي هذه الحروف أوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا أيضاً يرتفع قوله ﴿ ذكر رحمة ربك ﴾ أي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت الموالي فمعناه قل بنو عمي وأهلي ومعنى من ورائي أي من أخلفه بعدي فقوله من ورائي حال متوقعة محكية أي متصوراً متوقعاً كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي متصوراً به صيده به غداً .

[ اللغة ] الوهن الضعف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والإشتعال إنتشار شعاع النار وقوله ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ من أحسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان وأنشد للبيد :

إنْ تَـرِي رَأْسِيَ أَمْسَى وَاضِحـاً سَـلَّطَ الشَّيْبُ عَـلَيْـهِ فَـاشْتَعَـل

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابلته الإجابة كما إن في مقابلة الأمر الطاعة والمولى أصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لأنه يليه في النسب وقال ابن الأنباري في كتاب مشكل القرآن المولى في اللغة ينقسم على ثمانية أقسام المنعِمُ المعتق والمنعَمُ عليه المعتق والولي والأولى بالشيء وابن العم والجار والصهر والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الأقسام بشيء من الشعر ومما استشهد به في أنه بمعنى الولي والأولى قول الأخطل :

فَأَصْبَحْتَ مَوْلاهـا مِنَ النَّاسِ بَعْـدَهُ وَأَحْـرىٰ قُرَيْشٍ أنْ تُهـابَ وَتُحْمَـدا

وقوله أيضاً يخاطب بني أمية :

أعْـطاكُمُ اللهُ جَـدّاً تَنْصُـرُونَ بِـهِ لا جَـدَّ إلاّ صَغِيـرُ بَعْـدُ مُحْتَقَـرُ
لَمْ يَـأْشِـرُوا فِيـهِ إذْ كـانُـوا مَـوالِيَـهُ وَلَـوْ يَكُـونُ لِقَـوْمٍ غَيْـرِهِمْ أشَـرُوا

والعاقر المرأة التي لا تلد يقال إمرأة عاقر ورجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر :

لَبِئْسَ الفَتى إنْ كُنْتُ أسْـوَدَ عـاقِـراً جَبْاناً فَمـا عُذْري لَـدىٰ كُلِّ مَحْضَـرِ

والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الخلقة أما بالجراحة وأما بإمتناع الـولادة وعقرتُ الفرس بالسيف ضـربتُ قوائمـه والجعل على أربعـة أقسام بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أي أحدثه وبمعنى أن يحدث ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفاً وبمعنى أن يحدث فيه حكماً كقولهم جعل فلاناً فاسقاً أي بما أحـدث فيه من حكمـه وتسميته وبمعنى أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل كقولهم جعله أن يقتل زيداً أي بأن أمره به ودعاه إلى قتله .

[ **الإعراب** ] ذكرُ مرتفع بالمضمر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعبده مفعول رحمة وزكريا بدل من عبده أو عطف بيان ويقرأ بـالقصر والمـد وقولـه قال ﴿ **رب أني وهن العظم مني** ﴾ بيان وتفسير للنداء الخفي وشيبا منصوب على التمييز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائي إياك فالمصدر مضـاف إلى المفعول كقـولـه ﴿ **من دعـاء الخير** ﴾ وبسؤال نعجتك .

[ **المعنى** ] ﴿**كهيعص**﴾ قد بيّنا في أول البقرة إختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا أقوالهم هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال أن كاف من كريم وها من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصـاد من صادق وفي رواية عطا والكلبي عنه أن معناه كاف لخلقه هاد لعبـاده يده فـوق أيديهم عـالم ببريته صادق في وعده وعلى هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل وروي عن أمير المؤمنين ( ع ) أنه قال في دعائه اسألك يا كهيعص ﴿ **ذكر رحمة ربك عبده زكريا** ﴾ أي هذا خبر رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة إجابته إياه حين دعاه

وسأله الولد وزكريا اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل كان من أولاد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران وقيل إن معناه ذكر ربك عبده بالرحمة ﴿ **إذ نادى ربه نداء خفياً** ﴾ أي حين دعا ربه دعاء خفياً خافياً سراً غير جهر يخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على أن المستحب في الدعاء الإخفاء وإن ذلك أقرب إلى الإجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل إنما أخفاه لئلا يهزأ به الناس فيقول إنظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر ﴿ **قال رب إني وهن العظم مني** ﴾ أي ضعف وإنما أضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنما خصّ العظم لأنه شكا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره ﴿ **واشتعل الرأس شيباً** ﴾ معناه أن الشيب قد عمَّ الرأس وهو نذير الموت عن أبي مسلم وقيل معناه تلألأ الشيب في رأسي لكثرته عن ابن الأنباري وصف حاله خضوعاً وتذللاً لا تعريفاً ﴿ **ولم أكن بدعائك، رب شقياً** ﴾ أي ولم أكن بدعائي إياك فيما مضى مخيباً محروماً والمعنى أنك قد عوّدتني حسن الإجابة وما خيبتني فيما سألتك ولا حرمتني الإستجابة فيما دعوتك فلا تخيبني فيما اسألك ولا تحرمني إجابتك فيما أدعوك يقال شقي فلان بحاجته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها ﴿ **وإني خفت الموالي** ﴾ وهم الكلالة عن ابن عباس وقيل العصبة عن مجاهد وقيل لهم العمومة وبنو العم عن أبي جعفر ( ع ) وقيل بنو العم وكانوا أشرار بني إسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورثة عن الكلبي ﴿ **من ورائي** ﴾ أي من خلفي ﴿ **وكانت امرأتي عاقراً** ﴾ أي عقيماً لا تلد ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً** ﴾ أي ولداً يليني فيكون أولى بميراثي ﴿ **يرثني** ﴾ إن قرأته بالجزم فالمعنى أن تهبه لي يرثني وإن رفعته جعلته صفة لولي. والمعنى ولياً وارثاً لي ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ وهو يعقوب بن ماتان وأخوه عمران بن ماتان أبو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لأن زكريا كان متزوجاً بأخت أم مريم بنت عمران، ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود ( ع ) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم اختلف في معناه فيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن أبي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل أصحابنا بالآية على أن الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضاً فإن زكريا ( ع ) قال في دعائه ﴿ **واجعله رب رضياً** ﴾ أي إجعل يا رب ذلك الولي

الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلـك معنى وكان لغوا عبثاً ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد اللهم إبعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه لأنه إذا كان نبياً فقد دخل الرضا وماهو أعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرَّح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه ( ع ) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته فإن قيل أن هذا يرجع عليكم في وراثة المال لأن في ذلك إضافة الضن والبخل إليه قلنا معاذ الله أن يستوي الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكـافر والصـالح والـطالح ولا يمتنع أن يأسى على بني عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عدَّ ذلك بخلاً وضناً فهو غير منصف وقوله ﴿ خفت الموالي من ورائي ﴾ يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم وأفعالهم ومعاني فيهم لا من أعيانهم كما أن من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وإنفاقهم إياه في معصية الله تعالى .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ
سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا
وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل
لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ
وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة والكسائي عِتيا وصِليا وجِثيا وبِكيا بكسر أوائلها وحفص كذلك إلا

في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقون خلقتك .

[ **الحجة** ] قال أبو علي أعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين ( أحدهما ) أن يكون جمعاً والآخر أن يكون مصدراً وقد جاءت أحرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين ( أحدهما ) أن يكون اللام واواً والآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واواً من هذه الجموع قلبت إلى الياء وذلك نحو حقو وحقي وعصا وعصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الأصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم أنكم لتنظرون في نُجُوّ كثيرة وقولهم فُتُوّ في جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو وليّ وحقيّ وعصيّ وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين وهما أن الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت أيضاً فلما غيرت تغييرين قوياً على هذا التغيير من كسر الفاء وأما ما كان لامه ياء نحو ثدي وحلي ونجي فقد كسروا الفاء أيضاً منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تغييرين فقد أجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما أجروا الياء في أتسر واتبس افتعل من اليسر واليبس مجرى الواو وفي إتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدراً فما كان من الواو فالقياس فيه أن يصح نحو العتو والعلو لأن واوه لم يلزمها الإنقلاب كما لزمها الإنقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفرداً نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك أيضاً في نحو عتي ثم أجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى أن المضي في نحو فما استطاعوا مضياً ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى ابو عمرو عن أبي زيد آوى إليه إويا ومما يؤكد الكسر في هذا النحو إنهم قد قالوا قسي فألزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقلب الواو إذا كانت لاماً وكسرت الفاء وألزمت الكسرة وحجة من قال قد خلقتك إن قبله قال ربك وحجة من قال خلقناك قوله فيما بعد ﴿ **وحناناً من لدنا** ﴾ ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الأفراد قال سبحانه ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ ثم قال ﴿ **وآتينا موسى الكتاب** ﴾ .

[ **اللغة** ] الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التلميذ فيقال غلام تغلب العتي والعسي بمعنى يقال عتا يعتو عتوا وعتيا وعسى يعسو عسوا وعسيا فهو عات وعاس إذا غيّره طول الزمان إلى حال اليبس

والجفاف وفي حرف أبي وقد بلغت من الكبر عسيا والإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم اَلْوَحىٰ اَلْوَحىٰ أي الإسراع الإسراع .

[ الإعراب ] ﴿إسمه يحيىٰ﴾ جملة إسمية مجرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما قيل لك ﴿ولم تك﴾ أصله لم تكن حذفت النون منه لكثرته في الكلام فكأنه جزم مرتين وسوياً منصوب على الحال ﴿إن سبّحوا﴾ يجوز أن يكون التقدير أي سبّحوا ويجوز أن يكون أنه سبحوا فخفف وأضمر الاسم ولم يعرض من المضمر شيئاً كقوله ﴿ لولا أن منّ الله علينا ﴾ كما جاء العوض في قوله ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا ﴾ وعلم أن سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع . وبكرة وعشياً منصوبان على الظرف .

[ المعنى ] ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام ﴾ هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا وأوحى إليه يا زكريا إنا نخبرك على ألسنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو أن يولد لك ابن ﴿ اسمه يحيى ﴾ وقد تقدّم تفسيره في سورة آل عمران[١] ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ أي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشريف له من وجهين ( أحدهما ) إن الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلها إلى الأبوين والآخر أنّه سمّاه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الإسم على فضله وقال أبو عبد الله ( ع ) وكذلك الحسين ( ع ) لم يكن له من قبل سميا ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً قيل له وما كان بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين ( ع ) ولد زنا وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين ( ع ) قال خرجنا مع الحسين ( ع ) فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوماً ومن هوان الدنيا على الله عز وجل أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وقيل إن معنى قوله ﴿ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ لم تلد العواقر مثله ولداً وهو كقوله ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ أي مثلاً عن ابن عباس ومجاهد ﴿ قال ربي أنى يكون لي غلام ﴾ فسّرناه في سورة آل عمران[٢] ﴿ وكانت امرأتي عاقراً ﴾ قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستخبار أي

(١) راجع الجزء الأول

(٢) بنو شمجى بن جرم : حي من قضاعة والمعيز : جمع المعز . وقوله ﴿ ويمنحها ﴾ أي يعطيها وهو على رواية الأصمعي كما في اللسان لكن في رواية ابن الأعرابي ﴿ ويمنعها ﴾ وقوله ﴿ حنانك ﴾ ا . هـ قال ابن المنظور فسره ابن الإعرابي فقال : معناه رحمتك يا رحمان فأغنني عنهم . وفسر الأصمعي حنانك برحمتك أيضاً أي انزل عليهم رحمتك ورزقك فرواية ابن الأعرابي وتفسيره تسخط وذم . ورواية الأصمعي وتفسيره تشكر وحمد .

أتعيدنا شابين أم ترزقنا الولد شيخين ﴿ **وقد بلغت من الكبر عتياً** ﴾ معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليبس والجفاف ونحول العظم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة ﴿ **قال كذلك** ﴾ أي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر ﴿ **قال ربك هو علي هين** ﴾ أردُّ عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس ﴿ **وقد خلقتك من قبل** ﴾ أي من قبل يحيى ﴿ **ولم تك شيئاً** ﴾ أي أنشأتك وأوجدتك ولم تك شيئاً موجوداً فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد أيسر في الإعتبار من إبتداء الإنشاء وروى الحكم بن عيينة عن أبي جعفر ( ع ) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين ﴿ **قال** ﴾ زكريا يا ﴿ **ربي اجعل لي آية** ﴾ أي دلالة وعلامة استدلُّ بها على وقت كونه ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى ﴿ **آيتك** ﴾ أي علامتك على ذلك ﴿ **أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً** ﴾ أي وأنت سويٌّ صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس إعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي إعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبّحه ولا يمكنه أن يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة ﴿ **فخرج على قومه من المحراب** ﴾ أي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محراباً لأن المتوجه إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والأصل فيه مجلس الأشراف الذي يحارب دونه ذبّاً عن أهله قالوا وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشّر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسرُّوا به ﴿ **فأوحى إليهم** ﴾ أي أشار إليهم وأومى بيده وقيل كتب لهم في الأرض عن مجاهد ﴿ **إن سبّحوا بكرة وعشياً** ﴾ أي صلّوا بكرة وعشياً عن الحسن وقتادة وتسمى الصلاة سبحة وتسبيحاً لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بعينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد إليها إلا بسلّم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما إعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء .

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا
مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا
عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

[ اللغة ] أصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانيك وقال امرؤ القيس :

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمُ حَنَانَكَ ذَا الْحَنَانِ

وقال آخر :

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالحَيِّ عَارِفُ

أي أمْرُنا حنانٌ قال أبو عبيدة وأكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وتحنن عليه أي تعطف عليه قال الحطيئة لعمر بن الخطاب :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالا

وحننت عليه أحن حنيناً وحناناً وحنة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقاً وفيه جبرية وجبروت والجبار من النخل ما فات اليد .

[ الإعراب ] « بقوة » الباء في موضع الحال أي خذ الكتاب مجداً مجتهداً .

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ هاهنا إختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وأيدك به ومعناه وأنت قادر على أخذه قوي على العمل به وقيل معناه بجد وصحة عزيمة على القيام بما فيه ﴿وآتيناه الحكم صبياً ﴾ أي آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن اسباط قال قدمت المدينة وانا أريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو إذ ذاك خماسي فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر فنظر إليَّ فقال لي يا علي إن الله قد أخذ في الأمامة كما أخذ في النبوة قال فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وقال وآتيناه الحكم صبياً فقد يجوز أن يعطي الحكم ابن أربعين سنة ويجوز أن يعطاه الصبي وقيل إن الحكم الفهم وهو أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال إن الصبيان قالوا ليحيى إذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فأنزل الله فيه ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا (ع) ﴿ وحناناً من لدنا ﴾ والحنان العطف والرحمة أي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وقتادة والحسن وقيل معناه تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل معناه محبة منا عن عكرمة وأصله الشفقة والرقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها

إذا اشتاقت إلى ولدها وقيل معناه تحنن الله عليه كان إذا قال يا رب قال الله ﴿ لبيك يا يحيى ﴾ وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل معناه تعطفاً منا عن مجاهد فهذه خمسة أقوال ﴿ وزكاة ﴾ أي وعملاً صالحاً زاكياً عن قتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا أزكياء عن الحسن وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص عن ابن عباس وقيل معناه وصدقة تصدق الله به على أبويه عن الكلبي وقيل معناه وزكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود الإنسان عن الجبائي فهذه خمسة أقوال ﴿ وكان تقياً ﴾ أي مخلصاً مطيعاً متقياً لما نهى الله عنه قالوا وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها « سؤال » يقال لم أضاف الله سبحانه كونه زكاة إلى نفسه وهو إنما كان مطيعاً زكياً بفعله « وجوابه » إنه إنما صار كذلك بإلطاف من الله لا سيما في تلك الحالة من الصغر ولأنه إنما إهتدى بهداية الله إياه ﴿ وبراً بوالديه ﴾ أي باراً بوالديه محسناً إليهما مطيعاً لهما لطيفاً بهما طالباً مرضاتهما ﴿ ولم يكن جباراً ﴾ أي متكبراً متطاولاً على الخلق وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب عن ابن عباس ﴿ عصياً ﴾ أي عاصياً لربه فعيل بمعنى فاعل ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ أي سلام عليه منا في هذه الأيام عن عطاء وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومعناه سلامة وأمن له يوم ولد من عبث الشيطان به وإغوائه إياه ويوم يموت من بلاء الدنيا ومن عذاب القبر ويوم يبعث حياً من هول المطلع وعذاب النار وإنما قال حياً تأكيداً لقوله ﴿ يبعث ﴾ وقيل يعني أنه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم أحياء قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم وإحكاماً ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فخص الله سبحانه يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تفضل والثاني والثالث على وجه الثواب والجزاء .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ
لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أبو عمرو وورش وقالون برواية الحلواني ويعقوب ليهب بالياء والباقون لأهب بالهمزة .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والهبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل أو المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ﴿ **ليهب** ﴾ ضمير من قوله ﴿ **ربك** ﴾ وهو سبحانه الواهب وزعموا أن في حرفي أبيّ وابن مسعود ليهب ولو خففت الهمزة من لأهب لكان في قول أبي الحسن ليهب فتقلبها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة .

[ **اللغة** ] النبذ أصله الطرح والانتباذ إفتعال منه ومنه قوله ﴿ **فنبذوه وراء ظهورهم** ﴾ أي ألقوه وانتبذ فلان ناحية أي تنحى ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها أي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريباً منهم حتى لو نبذوا إليه شيئاً لوصل إليه فالإنتباذ إتخاذ الشيء بإلقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير :

هَبَّتْ جَنُوبٌ فَذِكْرَى مَا ذَكَرْتُكُمْ عِنْدَ الصَّفَاةِ إِلَى شَرْقِيِّ حَوْرَانَا

[ **الإعراب** ] مكاناً نصب على الظرف بشراً سوياً منصوب على الحال .

[ **المعنى** ] ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى ( ع ) على قصة زكريا ويحيى ( ع ) فقال ﴿ **واذكر في الكتاب** ﴾ أي في كتابك هذا وهو القرآن ﴿ **مريم** ﴾ أي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقتدي الناس بها ولتكون معجزة لك ﴿ **إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً** ﴾ أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس إنما اتخذت النصارى المشرق قبله لأنها انتبذت مكانا شرقياً وقيل اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الأصم وأبي مسلم وقيل إنها تمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس عن عطا ﴿ **فاتخذت من دونهم حجاباً** ﴾ أي فضربت من دون أهلها لئلا يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾ يعني جبرائيل ( ع ) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسمّاه الله روحاً لأنه روحاني وأضافه إلى نفسه تشريفاً له ﴿ **فتمثل لها بشراً سوياً** ﴾ معناه فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه

شيء وقال أبو مسلم أن الروح الذي حلق منه المسيح تصور لها إنسان والأول هو الوجه لإجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا أيام حيضها فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد فبينا هي في مشرقة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها ستراً لتغتسل وتمتشط إذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب أمرد سوي الخلق فأنكرته فاستعاذت بالله منه ﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً** ﴾ معناه إني أعتصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندي إن كنت تقياً « سؤال » يقال كيف شرطت في التعوذ منه أن يكون تقياً والتقي لا يحتاج أن يتعوذ منه وإنما يتعوذ من غير التقي « والجواب » إن التقي إذا تعوذ بالرحمن منه إرتدع عما يسخط الله ففي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول إن كنت مؤمناً فلا تظلمني فالمعنى إن كنت تقياً فاتعظ واخرج وروي عن علي ( ع ) أنه قال علمت إن التقي ينهاه التقى عن المعصية وقيل إن معنى قوله ﴿ **إن كنت تقياً** ﴾ ما كنت تقياً حيث إستحللت النظر إليّ وخلوت بي فلما سمع جبرائيل ( ع ) منها هذا القول ﴿ **قال** ﴾ لها ﴿ **إنما أنا رسول ربك لأهب لك** ﴾ وقد بيّنا معنى القراءتين ﴿ **غلاماً زكياً** ﴾ أي ولداً طاهراً من الأدناس وقيل نامياً في أفعال الخير وقيل يريد نبياً عن ابن عباس ﴿**قالت**﴾ مريم ﴿**أنى يكون لي غلام**﴾أي كيف يكون لي ولد ﴿**ولم يمسسني بشر**﴾على وجه الزوجية ﴿ **ولم أك بغيا** ﴾ أي ولم أكن زانية وإنما قالت ذلك لأن الولد في العادة يكون من إحدى هاتين الجهتين والمعنى أني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد إلا عن فجور ولست فاجرة وإنما يقال للفاجرة بغيّ بمعنى أنها تبغي الزنا أي تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز إظهار المعجزات لغير الأنبياء لأن من المعلوم أن مريم ليست بنبية وإن رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك إياها وولادتها من غير وطيء إلى غيرها من الآيات التي أتاها الله بها من أكبر المعجزات ومن لم يجوّز إظهار المعجزات على غير النبي إختلفت أقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه أنها معجزات لزكريا ( ع ) وقال البلخي أنها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص والتأسيس لنبوته .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ

إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا
مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا
جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾
قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة وحفص نسياً بفتح النون والباقون نسياً بكسر النون وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر وسهل فالباقون مَنْ تحتها وقرأ حفص عن عاصم تُسَاقِط بضم التاء وكسر القاف وقرأ حماد عن عاصم وبصير عن الكسائي ويعقوب وسهل يساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق يساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطباً جنياً بكسر الجيم فإما ترين بسكون الياء والتخفيف .

[ الحجة ] قال أبو علي قال أبو الحسن النَّسي هو الشيء الحقير ينسى نحو النعل والسوط وقال غيره النسي أغفل ما من شيء حقير وقال بعضهم ما إذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر على اللغتين قال الشنفري :

كَـأَنَّ لَهـا فِي الأَرْضِ نِسْيـاً تَقُصُّـهُ ... عَلَى أَمِّهـا وَإِنْ تُخـاطِبْـكَ تَبْلِتِ[1]

(١) النسي : الشيء المطروح لا يؤبه له . وبلت ـ بالفتح ـ : إذا قطع . وبالكسر : إذا سكن . قيل أنه يصف جارية بالحياء .

وقال في قوله من تحتها أنه جبرائيل أو عيسى وقال بعض أهل التأويل لا يكون إلا عيسى ( ع ) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فوقها وقد يجوز أن يكون جبرائيل وليس قوله ﴿ من تحتها ﴾ يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله ﴿ قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ ولم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا أي دوننا في الموضع والأشبه أن يكون المنادي لها عيسى فإنه أشد إزالة لما خامر قلبها من الإغتمام وإذا قال من تحتها كان عاماً وضع موضع الخاص والمراد به عيسى قال والوجوه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى إلا قراءة حفص ألا ترى أن من قرأ تساقط إنما هي تتساقط فحذف التاء التي يدغمها غيره وكلهم جعل فاعل الفعل الذي هو تساقط أو تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز أن يكون فاعل تساقط أو تساقط هي جذع النخلة إلا أنه لما حذف المضاف أسند الفعل إلى النخلة في اللفظ فأما تعديتهم تسقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تفعل في نحو تجرعته وتمزته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول أوفى بن مطر :

تَخَاطَأَتِ ٱلنَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ(١)

وقول الآخر :

تَطَالَعُنَا خَيَالاَتٌ لِسَلْمَى كَمَا يَتَطَالَعُ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِمُ

وقول امرىء القيس :

وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ ٱلْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ لَعُوبٍ تُنَاسِيني إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي(٢)

أراد تنسيني ومن قرأ بالياء أمكن أن يكون فاعله الهز لأنّ قوله ﴿ هزي ﴾ قد دلّ عليه فإذا كان كذلك جاز أن يضمره كما أضمر الكذب في قوله ﴿ من كذب كان شراً له ﴾ ويمكن أن يكون الجذع ويجوز في الفعل إذا أسند إلى الجذع وجهان ( أحدهما ) إن الفعل أضيف إلى الجذع كما أضيف إلى النخلة برمتها لأن الجذع معظمها ( والآخر ) أن يكون الجذع منفرداً عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع أسكن لنفسها وأشدّ إزالة لاهتمامها وسقوط الرطب من الجذع منفرداً

---

(١) وقبل هذا البيت قوله

الا أبلغ خلتي جابراً بأن خليلك لم يقتل

(٢) جارية طفلة : ناعمة .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **هو من عند الله** ﴾ وقوله ﴿ **رطباً** ﴾ في هذه الوجوه منصوب على أنه مفعول به ويجوز في قوله ﴿ **تساقط عليك** ﴾ أي تساقط عليك ثمرة النخلة رطباً فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون إنتصاب رطب على الحال وجاز أن يضمر الثمر وإن لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله ﴿ **وهزي إليك بجذع النخلة** ﴾ فيحتمل أمرين ( أحدهما ) أن يكون زيادة كقوله ﴿ **ألقى بيده وألقى يده** ﴾ وقوله :

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ ٱلشَّثُّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَٱلشَّبَهَانِ(١)

ونحو ذلك ويجوز أن يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطباً كما قال ذو الرمة :

وَصَوَّحَ ٱلبَقْلَ نَآجٌ تَجِيءُ بِهِ هَيْفٌ يَمَانِيَةٌ فِي مَرِّهَا نَكَبُ

أي تجيء بمجيئة هيف يعني إذا جاء النئاج جاء الهيف وكذلك إذا هزت الجذع هزت بهزه رطباً أي فإذا هزت الرطب سقط وأما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئاً بعد شيء وأنشد ابن جني قول ضابىء البرجمي :

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتِهَا سِقَاطَ حَدِيدِ ٱلْقَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلا

أي يسقط قرن هذا الثور ضاريات كلاب الصيد لطعنه إياها به شيئاً بعد شيء وأما قراءة طلحة رطباً جنياً فإنه إتبع كسرة الجيم كسرةالنون قال ابن جني شبَّه النون وإن لم يكن من حروف الحلق بهن في نحو الشخير والنخير والرغيف وأما تَرَيْن فهي شاذ لكنه جاء في لغة إثبات النون في الجزم وأنشد أبو الحسن :

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ وَأُسْرَتِهِمْ يَوْمَ ٱلصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالجَارِ(٢)

[ **اللغة** ] القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله ﴿ **فأجاءها** ﴾ أي جاء بها المخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وتارة بهمزة النقل قال زهير :

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً عَلَيْنَا أَجَاءَتْهُ ٱلْمَخَاوِفُ وَٱلرَّجَاءُ

---

(١) نسبه في اللسان إلى الأحول اليشكري . والشث : شجر طيب الريح . والمرخ والشبهان أيضاً : قسمان من الأشجار البرية .

(٢) وفي اللسان « لولا فوارس من نعم وأسرتهم . ا . هـ » وقال ابن المنظور : صليفاء : موضع .

أي جاءت به ويروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما أجاءك إلى هذا وما أمشاك إليه ومن أمثالهم شَرٌّ أجاءك إلى مُخَّة عرقوب[١] وتميم تقول أمشاك والسرِي النهر لأنه يسري بجريانه قال لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ ٱلسَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها[٢]

ويقال قررت به عيناً أقر قروراً فهي لغة قريش وأهل نجد يقولون قررت به بفتح العين أقر قراراً كما يقولون قررت بالمكان بالفتح والجَنيّ بمعنى المجنيّ من جنيت الثمرة وأجنيتها إذا قطعتها وقال ابن أخت جذيمة :

هٰذا جَنايَ وَخِيارُهُ فِيهِ إذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إِلى فِيهِ[٣]

وفي معناه قول الكميت يمدح أهل البيت ( ع )

خِيارُها يَجْتَنُونَ فِيهِ إذ آلـ ـجانُونَ في ذي أَكُفِّهِم أَرِبُوا[٤]

قال أبو مسلم الفري مأخوذ من فري الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج يقال فلان يفري الفري إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه قال الراجز « قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الْفَرِيَا »[٥] .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

[ الإعراب ] عيناً منصوب على التمييز فأما ترين أصله تَرْأَيِنَّ إلا إن الإستعمال بغير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما حركت لإلتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة أرضين زيداً وقوله من كان في المهد صبياً كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير كيف نكلّم من وجد في المهد « صبياً » نصب على الحال من كان ومثل كان

---

(١) المخة : القطعة من المخ مثل يضرب في الحاجة إلى لئيم . لأن المراد من العرقوب عرقوب الرجل ، وأنه لا مخ له .

(٢) البيت من معلقته المشهورة وضمير التثنية من توسطا وصدعا يرجع إلى العير والأتان . والتصديع : التشقيق : ومسجورة أي مملوءة ماءاً . والقلام ضرب من النبت . قال الزوزني : وتحرير المعنى أنهما قد وردا عين ممتلية ماءاً قد خلا فيها من عرض نهرها وقد تجاوز نبتها .

(٣) قائله عمرو بن عدي بن اخت جذيمة وله في هذا البيت قصة ذكره الميداني في مجمع الامثال ج ٢ : ٣٦١ وقد تمثل به أمير المؤمنين ( ع ) حسن امر بكنس بيت المال ورشه وقد قسم بين المسلمين ما فيه من الأموال .

(٤) اربت يده : أي قطعت وافتقر صاحبها .

(٥) ذكره بتمامه في اللسان في مادة « فرى » .

هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الربيع :

إذا كانَ ٱلشِّتاءُ فأدفِئوني ... فإنَّ ٱلشَّيخَ يَهدِمُهُ الشِّتاءُ(١)

ويجوز أن يكون كان هنا مزيدة كما في قول الشاعر :

جِيادُ بَنِي أبِي بَكْرٍ تَسامى ... عَلَى كانَ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلعِرابِ(٢)

فعلى هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الأجود أن يكون مَنْ في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه ويكون صبياً حالاً كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه .

[ المعنى ] ﴿قال كذلك﴾ أي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الأمر كذلك أي كما وصفت لك ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أي احداث الولد من غير زوج للمرأة سهل متأت لا يشق علي ﴿ولنجعله آية للناس﴾ معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالة على براءة أمّه ﴿ورحمة منا﴾ له ولنجعله نعمة منا على الخلق يهتدون بسببه ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ أي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمراً كائناً مفروغاً عنه محتوماً قضى الله سبحانه بأن يكون وحكم به ﴿فحملته﴾ أي فحملت مريم بعيسى فحبلت في الحال قيل ان جبرائيل أخذ ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كمها فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر ( ع ) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر فخرجت من المستحم وهي حامل محج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريا ﴿فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه انفردت به مكاناً بعيداً من قومها حياء من أهلها وخوفاً من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الانتباذ والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً لأنه قال فحملته فانتبذت به فأجاءها والفاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات

---

(١) ادفأه : أسخنه وقائله ربيع بن ضبع الفزاري وهو من المعمرين وهذا البيت من قصيدة قالها بعد ما بلغ من العمر مأتي سنة ذكره الشريف المرتضى ( ر ه ) في الأمالي ج ١ : ٢٥٤ فراجع .

(٢) قوله تسامى أصله تتسامى من السمو بمعنى الرفعة وفي رواية الأشموني « سراة بني أبي بكر » هـ .

وهذا مروي عن ابن أبي عبد الله (ع) وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع اثمانية اشهر غيره **﴿فأجاءها المخاض﴾** أي الجاها الطلق أي وجع الولادة **﴿إلى جذع النخلة﴾** فالتجأت اليها لتستند اليها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أجاءها أي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سعف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للعهد لا للجنس أي النخلة المعروفة فلما ولدت **﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت منسياً منسياً﴾** أي شيئاً حقيراً متروكاً عن ابن عباس وقيل شيئاً لا يذكر ولا يعرف عن قتادة وقيل حيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها **﴿فناداها من تحتها﴾** وكان أسفل منها تحت اكمة **﴿ألا تحزني﴾** وهو قول السدي وقتادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمنّت (ع) الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق (ع) لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء **﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾** أي ناداها جبرائيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تغتمي قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتتطهرين من النفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل الله الماء فيه لمريم واحيى ذلك الجذع حتى أثمر وأورق وقيل ضرب جبرائيل (ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري وهو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبداً سرياً **﴿وهزي اليك بجذع النخلة﴾** معناه اجذبي إليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزّه وهزّ به **﴿تساقط عليك رطباً جنياً﴾** مرَّ معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النفساء بمثل الرطب ان الله أطعمه مريم في نفاسها وقالوا ان الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير أوانه وبخروجه دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نوراً اولاً ثم يصير بلحاً ثم بسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فأورقت وأثمرت وانتثر عليها الرطب جنياً والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برنية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) **﴿فكلي واشربي﴾** أي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء **﴿وقري عيناً﴾** جاء في التفسير وطيبي نفساً وقيل معناه لتقرَّ عينك سروراً بهذا الولد الذي ترين لأن

دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقيل معناه لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحبين ﴿فإما ترين من البشر احداً﴾ فسألك عن ولدك ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً عن ابن عباس والمعنى أوجبت على نفسي لله ان لا أتكلم وقيل صوماً أي امساكاً عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرىء به ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب وقيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي يدل على هذا قوله ﴿فلن أكلم اليوم انسياً﴾ أي إني صائم فلن أكلم اليوم أحداً وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله الصمت وإذا كلمها أحد تومىء بأنها نذرت لله صمتاً لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب عن أبي علي الجبائي ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ أي فأتت مريم بعيسى حاملة له وذلك أنها لفّته في خرقةوحملته إلى قومها ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي أمراً عظيماً بديعاً إذ لم تلد انثى قبلك من غير رجل عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل امراً قبيحاً منكراً من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي ﴿يا أخت هارون﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) ان هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي ﷺ وقيل انه لما مات شيع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون فقولهم يا أخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفاً منك ( وثانيها ) ان هارون كان أخاها لأبيها ليس من أمها وكان معروفاً بحسن الطريقة عن الكلبي ( وثالثها ) ان هارون اخو موسى ( ع ) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا تميم عن السدي ( ورابعها ) انه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه وقيل لها يا شبيهته في قبح فعله عن سعيد بن جبير ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ أي كان أبواك صالحين فمن اين جئت بهذا الولد ﴿فأشارت اليه﴾ أي فأومت إلى عيسى ( ع ) بأن كلّموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ معناه كيف نكلم صبياً في المهد وقيل صبياً في الحجر رضيعاً وكان المهد حجر امه الذي تربيه فيه اذ لم تكن هيأت له مهداً عن قتادة وقيل انهم غضبوا عند اشارتها إليه وقالوا لسخريتها بنا اشدُّ علينا من زناها فلما تكلم عيسى ( ع ) قالوا ان هذا الأمر عظيم عن السدي ﴿قال﴾ عيسى ( ع ) ﴿إني عبد الله﴾ قدم اقراره بالعبودية ليبطل به قول من يدعي له الربوبية وكأن الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ أي حكم لي باتيان الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صغره وأرسله إلى عباده وكان نبياً مبعوثاً إلى الناس في ذلك الوقت مكلفاً عاقلاً ولذلك كانت له

تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن أربعين يوماً عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس وأكثر المفسرين هو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبياً وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها .

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥)

[ القراءة ] قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة أبي مجلز وأبي نهيك وبرأ بوالدتي بكسر الباء .

[ الحجة ] قال أبو علي قول الحق الرفع فيه على أن قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمر ما دلَّ عليه هذا الكلام أي هذا الكلام قول الحق ويجوز أن يضمر هو ويجعله كناية عن عيسى (ع) أي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله وكلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى أن قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على أحق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبرأ بوالدتي فكأنه قال والزمني براً بوالدتي ويكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب « يَذْهَبْنَ فِي نَجْدٍ وَغَوْراً غائراً » أي ويسلكن غوراً وان شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعلني ذا بر وان شئت جعلته اياه على المبالغة كقول الخنساء « فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارٌ »(١) .

[ اللغة ] السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من أسماء الله تعالى وسلام مما يبتدأ به في النكرة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك

(١) وقبله « ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت » وقد مر في صفحة : ٤٣١ .

وأسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول لبيك وخير بين يديك وإن شئت قلت والخير بين يديك الا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يرد ثانية بالألف واللام .

[ المعنى ] ثم بيّن سبحانه تمام كلام عيسى (ع) فقال ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ أي وجعلني معلماً للخير عن مجاهد وقيل نفاعاً حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والمبارك الذي ينتمي الخير به وقيل ثابتاً دائماً على الإيمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة ﴿ما دمت﴾ أي ما بقيت ﴿حياً﴾ مكلفاً ﴿وبراً بوالدتي﴾ أي واجعلني باراً بها أؤدّي شكرها فيما قاسته بسببي ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ أي متجبراً ﴿شقياً﴾ والمعنى اني بلطفه وتوفيقه كنت محسناً إلى والدتي متواضعاً في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الأشقياء ﴿والسلام عليَّ﴾ أي والسلامة عليَّ من الله ﴿يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ أي في هذه الأحوال الثلاث وقد مرّ تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على أنه يجوز ان يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل ولما كلّمهم عيسى (ع) بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى (ع) فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ معناه ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من انه ابن الله وأنه إله ﴿قول الحق﴾ مرّ معناه في الحجة ﴿الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كذاب وزعمت النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل وهو افتراء النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذّبهم الله تعالى فقال ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ معناه ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد أي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فنابت اللام عن الفعل وذلك ان من اتخذ ولداً فإنما يتخذه من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولداً وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على نفي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر ثم نزّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال ﴿ سبحانه ﴾ ثم بيّن السبب في كون عيسى من غير أب فقال ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ وقد مرّ تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتعذر عليه ايجاء شيء على الوجه الذي أراده .

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ
فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ
يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا
يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾

[ **القراءة** ] قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهمزة والباقون بالفتح .

[ **الحجة** ] قال أبو علي حجة من كسر انه جعله مستأنفاً كما ان المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح انه حمله على قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم .

[ **الإعراب والمعنى** ] قوله ﴿**وإن الله ربي وربكم**﴾ من فتح الهمزة ففيه أربعة أوجه ( أحدها ) ان المعنى وقضى ان الله ربي وربكم عن أبي عمرو بن العلاء ( والثاني ) انه معطوف على كلام عيسى أي وأوصاني بأن الله ربي وربكم ( والثالث ) ذلك عيسى بن مريم وذلك ان الله ربي وربكم عن الفراء ( والرابع ) ان العامل فيه فاعبدوه والتقدير ولأن الله ربي وربكم ﴿**فاعبدوه**﴾ فحذف الجار ومن كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفاً على قوله ﴿**قال إني عبد الله**﴾ أي وقال إن الله ربي وربكم وجاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله ان يقول ذاك وقوله ﴿**هذا صراط مستقيم**﴾ معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ﴿**فاختلف الاحزاب من بينهم**﴾ الاختلاف في المذهب ان يعتقد كل قوم خلاف ما يعتقده الآخرون والاحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره ﴿**وتحزبوا**﴾ أي صاروا أحزاباً فالمعنى ان الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى ( ع ) فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله عن قتادة ومجاهد وإنما قال من بينهم لأن منهم

من ثبت على الحق وقيل ان من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم ﴿**فويل**﴾ أي فشدة عذاب وهي كلمة وعيد ﴿**للذين كفروا**﴾ بالله بقولهم في المسيح ﴿**من مشهد يوم عظيم**﴾ المشهد بمعنى الشهود والحضور أي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيماً لعظم أهواله وقيل ويل لهم من مجمع يوم اي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ ﴿**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا**﴾ قيل فيه وجهان ( أحدهما ) ان التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامةوان كانوا في الدنيا صمّاً وبكماً عن الحق عن الحسن ومعناه الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ يعني ان الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال ابو مسلم وهذا يدل على أن قوله سبحانه صم بكم عمي ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو انهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى أنه جعل قوله ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين ( والثاني ) ان معناه اسمعهم وأبصرهم أي بصرهم وبيّن لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والأظهر في الآية الوجه الأول ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمعنى خوّف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش املح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال وذلك قوله ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ الآية ورواه اصحابنا عن أبي جعفر ( ع ) وأبي عبد الله ( ع ) ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لماتوا فرحاً ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً لماتوا ﴿**إذا قضي الأمر**﴾ أي فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه

انقضى أمر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الفائت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود ﴿وهم في غفلة﴾ في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن أحوال الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدّقون بذلك ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها من العقلاء لأنّا نميتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف ﴿وإلينا يُرجعون﴾ أي إلينا يردُّون بعد الموت أي إلى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ
أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾
قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن
رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

[ القراءة ] قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف ( ع ) .

[ اللغة ] الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علماً فيه والرغبة عن الشيء نقيض الرغبة فيه والترغيب الدعاء إلى الرغبة في الشيء والانتهاء الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاه عن الأمر فانتهى وأصله النهاية والنهى زجر عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرُّجْم والرُّجام وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا مُلْوة ومَلْوة ومِلْوة ومُلاوة ومِلاوة وكله من طول المقام والحفي المستقصي في السؤال والخفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أي بالغت في اكرامه وحفوته من كل خير بالغت في منعه واحفيت شاربي بالغت في اخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال بالغت وكل شيء استوصل فقد احتفى وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمّه قال عامر بن الحرث

إنِّي أَتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرُّ بِها ... مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سُخُرُ
جاءتْ مُرَجَّمَةً قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُها ... لَوْ كانَ يَنْفَعُني الإشْفاقُ وَالْحَذَرُ

[ الإعراب ] قال الزجاج العرب تقول في النداء يا أبت ويا أمت ولا يقال قال ابتي كذا وقالت أمتي كذا وزعم الخليل وسيبويه أنهما بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالة وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل ربعة وغلام يفعة وان الهاء عوض من ياء الاضافة في يا أبي ويا أمي وقوله ملياً منصوب على الظرف وكلا مفعول جعلنا .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه قصة إبراهيم ( ع ) فقال ﴿واذكر﴾ يا محمد ﴿في الكتاب﴾ أي القرآن ﴿إبراهيم إنه كان صديقاً﴾ أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن أبي مسلم ﴿نبياً﴾ أي علياً رفيع الشأن برسالة الله تعالى ﴿إذ قال لأبيه﴾ آزر ﴿يا أبت﴾ أي يا أبي ودخلت التاء للمبالغة في تحقيق الاضافة ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ دعاء من يدعوه ﴿ولا يبصر﴾ من يتقرب إليه ويعبده ﴿ولا يغني عنك شيئاً﴾ من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئاً فلا ينفعك ولا يضرُّك ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني﴾ على ذلك واقتد بي فيه ﴿اهدك صراطاً سوياً﴾ أي أوضح لك طريقاً مستقيماً معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي لا تطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده ﴿إن الشيطان كان للرحمن

**عصياً﴾** أي عاصياً **﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾** أي يصبك عذاب من جهة الله سبحانه لاصرارك على الكفر **﴿فتكون للشيطان ولياً﴾** أي فتكون موكولاً الى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئاً عن الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقاً بالشيطان باللعن والخذلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي يليه سواء عن أبي مسلم وقيل فتكون له قريناً في النار وقيل معناه فيكون الشيطان وليّ نصرتك ولم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه أبلغ في الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاة الشيطان لا تحقيق النصرة يعني إذا لم يكن لك الا نصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بيَّنا فيما مضى ان الذي يقوله أصحابنا ان هذا الخطاب من ابراهيم(ع) إنما توجَّه إلى من سمّاه الله أباً له لأنه كان جدّاً لابراهيم(ع) لامه وان أباه الذي ولَّده كان اسمه تارخ لاجماع الطائفة على أن آباء نبينا ﷺ إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحّدون ولما روي عنه ﷺ انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى **﴿إنما المشركون نجس قال﴾** آزر مجيباً لإبراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان **﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾** أي أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام **﴿يا إبراهيم﴾** وتارك لها وزاهد فيها **﴿لئن لم تنته﴾** أي لئن لم تمتنع عن هذا **﴿لأرجمنك﴾** بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرمينك بالذنب والعيب واشتمنك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأقتلنك **﴿واهجرني ملياً﴾** أي فارقني دهراً طويلاً عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل ملياً سوياً سليماً عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملاً فيه مضطلعاً به **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿سلام عليك﴾** سلام توديع وهجر على ألطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي وأبي مسلم وقيل هذا سلام إكرام وبرّ فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق **﴿سأستغفر لك ربي﴾** قيل فيه أقوال (أحدها) انه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقرّ قبح الاستغفار للمشركين (وثانيها) انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من تركك عبادة الأوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي (وثالثها) ان معناه سأدعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم **﴿إنه كان بي حفياً﴾** أي باراً لطيفاً رحيماً عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عوَّدني احسانه وكان لي مكرماً وقيل كان عالماً بي وبما ابتغيه من مجالدتك لعله يهديك **﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾** أي واتنحى منكم جانباً وأعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام **﴿وادعوا﴾** أي واعبد **﴿ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾** كما شقيتم بدعاء الاصنام وإنما ذكر عسى على وجه

الخضـوع وقيل معنـاه لعله يقبل طـاعتي وعبادتي ولا أشقى بـالرد فـإن المؤمن بين الرجـاء والخـوف ﴿فلما اعتـزلهم ومـا يعبـدون من دون الله﴾ أي فـارقهم وهـاجـرهم الى الأرض المقدسة ﴿وهبنا له إسحاق﴾ ولداً ﴿ويعقوب﴾ ولد ولد ﴿وكلا جعلنا نبياً﴾ أي انسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبياً يقتدى به في الدين ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي نعمتنا سوى الأولاد والنبوة من نعم الـدين والدنيـا ﴿وجعلنا لهم لسـان صدق عليا﴾ أي ثناء حسناً في الناس علياً مرتفعاً سائراً في الناس وكل أهل الأديان يتولون ابراهيم وذريته ويثنون عليهم ويدعون أنهم على دينهم وقيل معناه وأعلينا ذكرهم بأن محمداً ﷺ وأمته يذكرونهم بالجميل إلى قيام القيامة وقيل هو ما يتلى في التشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ
مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ
نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ
رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ
رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

[ القراءة ] قرأ أهل الكوفة مخلَصاً بفتح اللام والباقون مخلِصاً بكسرها .

[ الحجة ] من كسـر الـلام فحجّتـه واخلصـوا دينهم لله ومن فتحهـا فحجتـه انـا أخلصناهم .

[ اللغة ] يقال ناجاه ينـاجيه إذا اختصّـه بكلام ألقـاه إليه وأصـل النجاة الارتفـاع من الأرض ومنه النجاة أيضاً وهو الأرتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لأنه ارتفاع في السير ومنـه المناجاة لأنه ارتفاع الحديث إلى المحدث والنجي بمعنى المناجي كالجليس والضجيع وقيل نجي مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعنـاه ويجوز أن يكـون التقديـر وقربنـاه مكانـاً رفيعاً .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه حديث مـوسى ( ع ) فقال ﴿ واذكـر ﴾ يا محمـد ﴿ في

**الكتاب** ﴾ الذي هو القرآن ﴿ **موسى أنه كـان مخلصاً** ﴾ أخلص العبـادة لله تعالى وأخلص نفسه لاداء الرسالة وبفتـح اللام يكـون معناه أخلصـه الله بالنبـوة واختاره للرسـالة ﴿ **وكـان رسولاً** ﴾ إلى فرعون وقومه ﴿ **نبيـاً** ﴾ رفيع الشأن عـالي القدر ﴿ **وتـاديناه من جـانب الطور الأيمن** ﴾ الطور جبل بالشام نـاداه الله تعالى من جـانبه اليمين وهي يمين مـوسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله ﴿ **يا موسى إني أنا الله رب العالمين** ﴾ ﴿ **وقربناه نجياً** ﴾ أي مناجياً كليماً قال ابن عباس قرَّبه الله وكلَّمه ومعنى هذا التقريب أنه أسمعه كلامه وقيل قرَّبه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قرَّبناه أي ورفعنا منزلته وأعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قربه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة وادناء إذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول في مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب أو يكون أحد أقرب إليـه من غيره ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيـاً** ﴾ أي أنعمنا عليـه بأخيـه هارون حيث قـال واجعل لي وزيراً من أهلي هارون وجعلناه نبياً أشركناه في أمره وشددنا به ازره ﴿ **واذكر في الكتاب** ﴾ الذي هو القرآن ﴿ **اسماعيل** ﴾ بن إبراهيم أيضاً ﴿ **أنه كان صـادق الوعـد** ﴾ إذا وعد بشيء وفى به ولم يخلف ﴿ **وكان** ﴾ مع ذلك ﴿ **رسولاً نبيـاً** ﴾ إلى جرهم وقـد مضى معناه قال ابن عباس أنه واعد رجلاً أن ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة حتى أتاه الرجل وذلك مروي عن أبي عبد الله ( ع ) وقيل أقام ينتظره ثلاثة أيـام عن مقاتـل وقيل أن اسماعيل بن إبراهيم ( ع ) مات قبل أبيه إبراهيم ( ع ) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فخيَّره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوَّض أمرهم إلى الله تعالى في عفوه وعقابه ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله ( ع ) ثم قال في آخره أتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين ( ع ) أسوة ﴿ **وكان يأمر أهله** ﴾ أي قومه وعترتـه وعشيرته وقيل أمته عن الحسن ﴿ **بالصلاة والزكاة** ﴾ وقيل أنه كـان يأمـر أهله بصلاة الليـل وصدقة النهار ﴿ **وكان** ﴾ مع ذلك ﴿ **عند ربه مرضياً** ﴾ قد رضي أعماله لأنها كلها طاعات لـم تكن فيها قبائح وقيل مرضياً معناه صالحاً زكياً رضياً فحصل له عنده المنزلة العظيمة .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾
إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا
يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾

[ اللغة ] العلي العظيم العلو والعلي العظيم فيما يقدر به على الأمور ومنه يوصف الله تعالى بأنه علي والفرق بين العلي والرفيع أن العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بأنه رفيع وأما رفيع الدرجات فإنه وصف للدرجات بالرفعة وبكي وزنه فعول وهو جمع باك ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى البكاء والخلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد في الآخر قال لبيد :

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

[ الإعراب ] سجداً وبكياً نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لأن الإنسان في حال خروره لا يكون ساجداً إلا من تاب في موضع نصب أي فسوف يلقون العذاب إلا التائبين فيكون الاستثناء متصلاً ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً من غير الأول ويكون المعنى لكن من تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة .

[ المعنى ] ثم ذكر سبحانه حديث إدريس فقال ﴿ واذكر ﴾ يا محمد ﴿ في الكتاب ﴾ الذي هو القرآن ﴿ إدريس ﴾ وهو جد أب نوح ( ع ) واسمه في التوراة أخنوخ وقيل أنه سمي

(١) هذا بيت من قصيدة مشهورة قالها في رثاء أخيه من أمه أربد بن قيس وقد خرج مع عامر بن الطفيل ليغدرا برسول الله ﷺ فدعا عليهما في قصة مشهورة فماتا من رجوعهما وقد مر البيت في ج ٢ بمعناه فراجع . .

إدريس لكثرة درسِه الكتب وهو أول من خط بالقلم وكان خياطاً وأول من خاط الثياب وقيل أن الله تعالى علَّمه النجوم والحساب وعلم الهيأة وكان ذلك معجزة له ﴿ انه كان صديقاً نبياً ﴾ مرَّ معناه ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أي عالياً رفيعاً وقيل أنه رفع إلى السماء الرابعة عن أنس وأبي سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل إلى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع إدريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حيٌ لم يمت وقال آخرون أنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن أبي جعفر وقيل أن معناه ورفعنا محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والجبائي وأبي مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصّه جمعهم في المدح والثناء فقال ﴿ أولئك ﴾ تقدَّم ذكرهم ﴿ الذين أنعم الله عليهم ﴾ بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية ﴿ من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ﴾ إنما فرَّق سبحانه ذكر نسبهم مع أن كلهم كانوا من ذرية آدم (ع) لتبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لإدريس شرف القرب لآدم لأنه جد نوح (ع) وكان إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾ قيل انه تمَّ الكلام عند قوله إسرائيل ثم ابتدأ فقال وممن هدينا واجتبينا من الأمم قوم إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجداً وبكياً فحذف لدلالة الكلام عليه عن أبي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) أنه قال نحن عنينا بها وقيل بل المراد به الأنبياء الذين تقدَّم ذكرهم من ذرية آدم وممن هديناهم واجتبيناهم أي هديناهم إلى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال ﴿ إذا تتلى عليهم ﴾ أي تقرأ عليهم ﴿ آيات الرحمن ﴾ وهو القرآن عن ابن عباس ﴿ خرُّوا سجداً ﴾ أي ساجدين لله ﴿ وبكياً ﴾ أي باكين متضرعين إليه بيَّن الله سبحانه أنهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع إحاطة السيئات بهم ثم أخبر سبحانه فقال ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ والخلف البدل السيىء معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد إسرائيل وقيل هم من هذه الأمة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ تركوها عن محمد بن كعب وقيل أضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير أن تركوها أصلاً عن ابن مسعود وإبراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ أي انفذوا الشهوات فيما حرَّم الله عليهم فقال وهب فخلف من بعدهم خلف

شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للّذات تاركون للجمعات مضيّعون للصلوات ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ أي يلقون مجازاة الغي عن الزجاج وهذا كقوله ﴿ومن يفعل ذلك يلق إثاماً﴾أي مجازاةالآثام وقيل يلقون غياً أي شراً وخيبةعن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يغو لا يعدم على الغي لائما » أي يخب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطاء وكعب ﴿ إلا من تاب ﴾ أي ندم على ما سلف ﴿ وآمن ﴾ في مستقبل عمره ﴿ وعمل صالحاً ﴾ من الواجبات والمندوبات ﴿ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ ومن قرأ يدخلون بضم الياء وفتح الخاء أراد أن الله سبحانه يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ﴿ ولا يظلمون ﴾ ومن قرأ يدخلون أراد أنهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفيه الله إليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على أن الله لا يمنع أحداً ثواب عمله ولا يبطله لأنه سبحانه سمى ذلك ظلماً .

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

[ القراءة ] قرأ رويس عن يعقوب نُوَرِّث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن أبي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء والأكثر الإظهار .

[ الحجة ] يقال أورثه وورثه بمعنى قال أبو علي يرى سيبويه أن إدغام اللام في التاء والدال والطاء والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن وهي حروف

طرف اللسان وأنشد لمزاحم العقيلي :

فَـذَرْ ذا وَلٰـكِـنْ هَـتُّـعِـيـنُ مُـتَـيَّـمـاً عَلىٰ ضَـوْءِ بَـرْقٍ آخِـرَ اللَّيْلِ نـاصِبِ[1]

**[ الإعراب ]** جنات عدن بالنصب على البدل من قوله ﴿ **الجنة** ﴾ وقوله ﴿ **بالغيب** ﴾ في موضع الحال أي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاماً استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاماً يؤلمهم ولكن يسمعون سلاماً وما نتنزل إلا بأمر ربك تقديره قل ما نتنزل فاضمر القول . ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذٰلك** ﴾ قال أبو علي هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين أيدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك ﴿ **وما كان ربك نسيا رب السماوات والأرض** ﴾ بدل من اسم كان وإن شئت كان خبر مبتدأ محذوف وإن شئت كان مبتدأ وقوله ﴿ **فاعبده** ﴾ خبره وهذا على قول الأخفش دون سيبويه .

**[ النزول ]** قيل أن العاص بن وائل السهمي لم يعط أجرة أجير استعمله وقال لو كان ما يقوله محمد حقاً فنحن أولى بالجنة ونعيمها فحينئذ أوفره أجره فنزل ﴿ **تلك الجنة التي نورث** ﴾ الآية وقيل احتبس الوحي أياماً لما سئل النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فشقّ ذلك عليه فلما أتاه جبرائيل استبطأه فنزلت ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ الآية عن عكرمة والضحاك وقتادة والكلبي ومقاتل .

**[ المعنى ]** ثم وصف سبحانه الجنة فقال ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي جنات إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به ووحّد في الآية المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظماء ﴿ **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** ﴾ المراد بالعباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل أنه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت عن ابن عباس والمعنى أنه وعدهم أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدّقوه وهو غائب عنهم ﴿ **انه كان وعده** ﴾ أي موعوده ﴿ **مأتيا** ﴾ أي آتيا لا محالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيته فقد أتاك وما أتاك فقد أتيته يقال أتيت على خمسين سنة وأتت عليّ خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً** ﴾ أي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو وقيل قد

(١) أصله هل تعين ادغم اللام في التاء .

يكون اللغو الهزل وما يلغي من الكلام مثل الفحش والأباطيل ﴿ إلا سلاماً ﴾ أي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام إسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة أي يسمعون ما يسلمهم ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشياً والمراد أنهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء والعشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء لعجبت به وكانت تكره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشياً على قدر ذلك الوقت وليس ثَمَّ ليل وإنما هو ضوء ونور عن قتادة وقيل أنهم يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ومقدار النهار يرفع الحجب وفتح الأبواب ﴿ تلك الجنة التي ﴾ هي مذكورة في قوله ﴿ فأولئك يدخلون الجنة ﴾ التي ﴿ نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ أي إنما نملك تلك الجنة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات وإنما قال نورث مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم لأنه شبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى أورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو أطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرائيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ الآية أي إذا أمرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وقيل أنه قول أهل الجنة إنا لا نتنزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن أبي مسلم ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا أي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين عن ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع قال مقاتل وما بين النفختين أربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا ما بقي من أمر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا أي هو المدبر لنا في الأوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين أيدينا أي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها وما بين ذلك السماء والأرض ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تمَّ الكلام قبله ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه أنه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالماً لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وإن أخَّر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسياً لأحد حتى لا يبعثه يوم القيامة عن أبي مسلم ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ أي خالقهما ومدبّرهما ﴿ وما بينهما ﴾ من الخلائق والأشياء ﴿ فاعبده ﴾ وحده لا شريك له ﴿ واصطبر لعبادته ﴾

أي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ أي مثلاً وشبيهاً عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم أحداً يستحق أن يسمى إلّهاً إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم أحداً يسمى إلّهاً خالقاً رازقاً محيياً مميتاً قادراً على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي أي لا تعلم من يسمى بلفظة الله .

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

[ القراءة ] قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل أولا يذكر خفيفاً والباقون أولا يُذَكِّر بالتشديد .

[ الحجة ] قال أبو علي التذكر يراد به التدبر والتفكر وليس تذكراً عن نسيان والثقيلة كأنه في هذا المعنى أكثر فمن ذلك قوله ﴿ أولم نعمركم ﴾ ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنما يتذكر أولو الألباب فأضافته إلى أولي الألباب يدل على أن المراد به النظر والتفكر والخفيفة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وزعموا أنه في حرف أبي أولا يتذكر وأما قوله ولم يك شيئاً فمعناه لم يك شيئاً موجوداً وليس يراد أنه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وقد قال أن زلزلة الساعة شيء عظيم .

[ اللغة ] الجثي جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه وأصله جثو فعول من جثى يجثو وقد تقدم القول فيه في أوائل السورة والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور ومنه تشايع القوم إذا تعاونوا والصليّ مصدر صَلي يصلي صَلْيًا مثل لَقِي يلقي لَقْيًا وصَلىَ يَصلِي صُلِيًّا مثل مَضى يمضي مُضِيًّا .

[ الإعراب ] العامل في قوله ﴿ أإذا ما متُّ ﴾ مضمرٌ دلَّ عليه قوله ﴿ سوف أخرج حيا ﴾ والتقدير أإذا ما متُّ بعثت ولا يجوز أن يعمل فيه أخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله كما أن ما بعد أن كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك في مواضع والشياطين يحتمل أن يكون منصوباً بأنه مفعول به أي ونحشر الشياطين ويحتمل أن يكون مفعولاً معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمييز وكذلك صليا فأما الرفع في أيُّهم أشدّ قال الزجاج فيه ثلاثة أقوال ( أحدها ) قال سيبويه عن يونس أن لننزعن معلقة لم تعمل شيئاً فكان قول يونس ثم لننزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم ( والثاني ) حكى سيبويه عن الخليل أنه بمعنى الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر :

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لا حَرِجٌ وَلا مَحْرُومُ

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم ( والثالث ) قال سيبويه أن أيهم مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها بأن استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو ولا يحسن أضرب من أفضل حتى تقول من هو أفضل ولا يحسن كل ما أطيب حتى تقول كل ما هو أطيب قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه أيضاً خذ الذي أفضل حتى تقول خذ الذي هو أفضل فلما خالفت الإختلاف بنيت على الضم في الإضافة والنصب حسن وإن كنت قد حذفت هو لأن هو قد يجوز حذفها وقد قرىء تماماً على الذي أحسن على معنى الذي هو أحسن قال أبو علي ينبغي أن يكون مراد يونس بقوله أن الفعل معلق أنه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به أنه غير معمل في شيء البتة بل يريد أنه معمل في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق إنما يستعمل فيما يعمل في الموضع دون اللفظ ولو أراد أنه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملغى ولم يقل معلق كما تقول في زيد ظننت منطلق أنه ملغى وإذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال أن قوله ﴿ لننزعن من كل شيعة ﴾ كقولك أكلت من طعام فإن كان كذلك كان أيهم منقطعاً من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب أن الصلة تبين الموصول وتوضحه كما أن المضاف إليه يبين المضاف ويخصصّه فكما أن المضاف إليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة إلى الموصول هنا بني فإن قال ما ينكر أن لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض

حذف المضاف إليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل أن حذف العائد هنا نظير حذف المضاف إليه هناك ألا ترى أن الذي يبين به الموصول ويتضح إنما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبيّن وإذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف إليه من المضاف .

[ النزول ] نزل قوله ﴿ ويقول الإنسان ﴾ الآية في أبيّ بن خلف الجمحي وذلك أنه أخذ عظماً بالياً فجعل يَفُتّه بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمدﷺ أن الله يبعثنا بعد أن نموت ونكون عظاماً مثل هذا إنَّ هذا شيء لا يكون أبداً عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطاء عن ابن عباس .

[ المعنى ] لمّا تقدَّم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيبه قول منكري البعث وردَّ عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان فقال ﴿ ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً ﴾ هذا استفهام المراد به الإنكار والاستهزاء أي أإذا ما متُّ أعادني الله حياً فقال سبحانه مجيباً لهذا الكافر ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ﴾ أي أولا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة وقيل أن الإنسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث ﴿ ولم يك شيئاً ﴾ معناه ولم يك شيئاً كائناً أو مذكوراً ( سؤال » قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على أفعاله كالحركات والسكنات والأصوات وغيرها ولا يقدر على إعادتها « والجواب » من وجوه ( أحدها ) أنه سبحانه خلق الأجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب أن يقدر على إعادتها بخلاف أفعالنا فإنها لا تبقى وَلا يصح الإعادة عليها ( والثاني ) أن الابتداء أصعب من الإعادة فإذا كان قادراً على الابتداء فلأن يكون قادراً على الإعادة أولى ( والثالث ) أنه سبحانه استدل بخلق الأجسام على أنه قادر لذاته إذ القادر بقدرة لا يصح منه فعل الأجسام وإذا كان قادراً لذاته ويقدر على إيجاد ما يصح وجوده وقتين قدر على إعادته ثم حقق سبحانه أمر الإعادة فقال ﴿ فوربك ﴾ يا محمد ﴿ لنحشرنهم والشياطين ﴾ أي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين أيضاً ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ﴾ أي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويتبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثياً أي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمراً وهو جمع جثوة وجثوة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياماً على الركب وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم أن

يجلسوا عن السدي ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ أي لنستخرجن من كل جماعة ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم قال قتادة لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر والعتي هاهنا مصدر كالعتو وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرماً فالأكثر عن مجاهد وأبي الأحوص ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بشدة العذاب وأحق بعظيم العقاب وأجدر بلزوم النار .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾

[ القراءة ] قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم نُنْجي بالتخفيف والباقون نُنَجّي بالتشديد وقرأ ابن كثير مُقاماً بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ أهل المدينة غير ورش وابن عامر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر وريّا بغير همز مشددة الياء والباقون ورئياً مهموزة في الشواذ قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همز وقراءة سعيد بن جبير وزيا بالزاي .

[ الحجة ] أنجاه ينجيه ونجاه ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعُل يجيء على مفعَل فالمقام بفتح الميم يصلح أن يكون مصدراً من قام يقوم ويصلح أن يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من أقام يقيم فأما قول زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ[1]

(١) أندية جمع الندي بمعنى العطاء. وينتابها أي يقصدها .

فإنما هو على حذف المضاف أي أهل مقامات ومشاهد وروي عن الأصمعي أنه قال المجلس القوم وأنشد « واستبَّ بعدك يا كليب المجلس »[١] قال أبو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على أهل المجلس كما أن المعنى على أهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاماً من ضمَّ الميم جعله اسماً للمثوى ومن فتح كان كذلك أيضاً ألا ترى أن الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ ويدل على ذلك قوله ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا** ﴾ فإنه لا يراد به الحدث إنما يراد به حسن الشارة والهيئة والمنظر وهذا إنما يكون في الأماكن وأما قوله ورئيا قال أبو علي رؤي فعل من رأيت فكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر وإنما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين فالرأي الفعل والرِئي المرئي كالطَحْن والطِحْن والسَقْي والسِقْي والرَعْي والرِعي ومن خفف الهمزة من ورئيا لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبئر فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله فلا بدَّ من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز إظهار الواو في نحو رؤيا ورؤية يعني إذا خففت الهمزة فيها لأن الياء في ريا قبل مثل ووقعت في رؤيا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جني من قرأ وريّا مشددة فإنه فعل أما من رأيت وأما من رويت وأصله وهو من الهمزة وريا كرعيا فخففت الهمزة وأبدلت ياء وادغمت الياء الثانية ويجوز أن يكون من رويت لأن للريان نضارة وحسناً فيتفق معناه ومعنى وزيا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء وأما ريا مخففة فيحتمل أن يكون مقلوبة من فعل إلى فلع فصار في التقدير رئيا ثم حذفت الهمزة وألقيت حركتها على الياء قبلها فصارت ريا ويحتمل أن يكون ريا من رويت ثم خففت بحذف إحدى الياءين فصارت ريا وأما الزاي بالزاي ففعل من زويت أي جمعت ذلك وذلك أنه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته له زي حتى يكثر آلته المستحسنة وأنشد ابن دريد :

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا    بِذِي الزِّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ

[ **اللغة** ] الحتم القطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمعنى والندي والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمناً به وقد ندوت القوم أندوهم إذا جمعتهم في مجلس وأصل الندى أنه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال حاتم :

---

(١) استب أي سب كل واحد منهم الآخر.

وَدُعِيتُ فِي أُوْلَى النَّدِيِّ وَلَمْ يُنْظَرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرِ[١]

والأثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدها أثاثة وقيل لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبح اسم للمذبوح .

[ **الإعراب** ] وإن منكم إلا واردها تقديره وما أحد ثابت منكم فأحد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجثياً منصوب على الحال. مقاماً ونديّاً منصوبان على التمييز « كم أهلكنا » كم نصب بأهلكنا والتقدير كم قرناً أهلكنا من جملة القرون فحذف المميز بدلالة الكلام عليه فليمدد له الرحمن مداً لفظه لفظ الأمر ومعناه خبر والتقدير فمدَّ له الرحمن مدّاً وباب الأمر والخبر يتداخلان فكما أن قوله ﴿ **والمطلقات يتربصن** ﴾ تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ﴿ **ما يوعدون** ﴾ مفعول رأوا وأما العذاب وأما الساعة بدل من ما يوعدون وقوله من هو شرٌّ مكاناً تعليق فعلى هذا يكون هو فصلاً والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالأولى أن يكون من هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسيعلمون وهو شرٌّ مبتدأ وخبر والجملة صلة من .

[ **المعنى** ] ثم بيَّن سبحانه أحوالهم يوم الحشر فقال ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ أي ما منكم أحد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورود على قولين ( أحدهما ) أن ورودها هو الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره أبو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وبأنك تقول وردت بلد كذا وماء كذا أي أشرفت عليه دخلته أولم تدخله وفي أمثال العرب « إِنْ تَرِدِ الْمَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ »[٢] وقال زهير :

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ[٣]

أراد فلما بلغن الماء أقمن عليه قال الزجاج والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها** ﴾ فهذا يدل

---

(١) الأخزر: الذي ينظر بمؤخر عينيه يقال قوم خزر .

(٢) يعني أن ترد الماء ومعك ماء أقرب إلى الحزم والكياسة من التفريط في حمله أي لا تقصر في حمل الماء ولو كنت وارداً على الماء.

(٣) يضرب في الأخذ بالحزم والاحتياط في الأمور ووضع العصى كناية عن الإقامة لأن المسافرين إذا قاموا وضعوا عصيهم والتخيم: ابتناء الخيمة .

على أن أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ ثم يدخل النار من هو أهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجمع كل برّ وفاجر ( والآخر ) أن ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى ﴿ فأوردهم النار ﴾ وقوله ﴿ وأنتم لها واردون ﴾ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر وأكثر المفسرين ويدل عليه قوله ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك للشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء أي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس أنه قرأ وإن منهم وقال الأكثرون أنه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى برّ ولا فاجر إلا ويدخلها فيكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمينة قال اختلفا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بإصبعيه إلى أذنيه وقال صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردها ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ وروي مرفوعاً عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جُزْيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك وذري أصحابي. قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها وروي عن الحسن أنه رأى رجلاً يضحك فقال هل علمت أنك وارد النار قال نعم قال وهل علمت أنك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكاً قط حتى مات وقيل أن الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه واحسانه إليه فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحمّى

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حمَّ من المؤمنين فقد وردها وقد ورد في الخبر أن الحمى من فيح جهنم وروي أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً فقال أبشر أن الله عز وجل يقول الحمى هي ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله ﴿ **كان على ربك حتماً مقضياً** ﴾ أي كائناً واقعاً لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على أنه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافاً لم يذهب إليه أهل الجبر ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا** ﴾ الشرك وصدقوا عن ابن عباس ﴿ **ونذر الظالمين** ﴾ أي ونقرُّ المشركين والكفار على حالهم ﴿ **فيها** ﴾ أي في جهنم ﴿ **جثياً** ﴾ أي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مرَّ تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات** ﴾ ومعناه وإذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والأدلة يمكن تفهم معانيها ﴿ **قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُّ الفريقين خير مقاماً** ﴾ أي قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذّبوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار أيُّ الفريقين أي أنحن أم أنتم خير منزلاً ومسكناً أي موضع إقامة ﴿ **وأحسن ندياً** ﴾ أي مجلساً وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبّسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نبّههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءيا** ﴾ قال ابن عباس الأثاث المتاع وزينة الدنيا والرءي المنظر والهيئة والمعنى أن الله تعالى قد أهلك قبلهم أمماً وجماعات كانوا أكثر أموالاً وأحسن منظراً منهم فأهلك أموالهم وأفسد عليهم صورهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا جمالهم كذلك لا يغني عن هؤلاء وقيل أن المعني بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهيآتهم على أصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **من كان في الضلالة** ﴾ عن الحق والعدول عن اتباعه ﴿ **فليمدد له الرحمن مداً** ﴾ هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يمدَّ له بأن يتركه فيها كما قال ﴿ **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر فكان المتكلم يقول افعل ذلك وأمر نفسي به فالمعنى فليعش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا أي فليعش ما شاء الله من السنين والأعوام فإنه لا ينفعه طول عمره ﴿ **حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب** ﴾ أي عذاب الاستئصال عن الأصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف ﴿ **وإما الساعة** ﴾ أي القيامة وعذاب النار ﴿ **فسيعلمون** ﴾ حين يرون العذاب ﴿ **من هو شر مكاناً** ﴾ أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان

المؤمنين الجنة ﴿ وأضعف جنداً ﴾ أي ويعلمون أجندهم أضعف أم جند النبي ﷺ والمسلمين وهذا ردٌ لقولهم أيُّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟
هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ
مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ
وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ
عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

[ القراءة ] قرأ حمزة والكسائي وُلْدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة أربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن وُلدو في نوح ووُلده فهذه ستة مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في سورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن .

[ الحجة ] قال الفراء من أمثال بني أسد « وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عِقَبَيْكِ »[١] قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في المثل وأنشد

فَلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ ... وَلَيْتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمارِ

قال أبو علي يجوز أن يكون جمعاً كأسد وأُسْد ويجوز أن يكون واحداً فيكون وَلَد ووُلْد كحَزَن وحُزْن وعَرَب وعُرْب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعاً وما أنشده الفراء من قوله « وليت فلاناً كان ولد حمار » يدل على أنه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذي يكون

(١) الخطاب لامرأة من بني القين اي من نفست به فأدمى النفاس عقبيك فهو ابنك لا هذا الذي اتخذته ولداً بقولك ابني ابني .

مرة جمعاً ومرة واحداً .

[ الإعراب ] أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى ﴿أطلع الغيب﴾ الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبيه أي هذا مما يرتدع به وينبّه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا ورب الكعبة وقال أبو حاتم جاءت في القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبيه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين ويدل على ذلك أنها قد تكون مبتداة مثل قوله علَّم الانسان ما لم يعلم ثم ابتدأ كلا إن الإنسان ليطغى قال الاعشى

كَـلا زَعَـمْـتُـمْ بِـأَنَّـا لا نُـقَـاتِـلُـكُـمْ  إِنَّـا لأَمْـثَـالِـكُـمْ يَـا قَـوْمَـنَـا قُـتُـلُ

وقال أبو العباس لا يوقف على كلا لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلا وقد قسمه القرآن على أربعة أقسام ( أحدها ) ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به ( والثاني ) يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به ( والثالث ) يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه ( والرابع ) لا يحسن الوقف عليه ولا الابتدا به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به فعشرة مواضع قوله ام اتخذوا عند الرحمن عهداً كلا وقوله ليكونوا لهم عزاً كلا وقوله تعالى ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾ كلا وقوله الذين الحقتم به شركاء كلا وقوله ثم ينجيه كلا وقوله ان يدخل جنة نعيم كلا وقوله ان أزيد كلا وقوله صحفاً منشرة كلا وقوله ربي اهانن كلا وقوله ان ماله اخلده كلا فمن جعل كلا في هذه المواضيع رداً للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى إلا التي للتنبيه او بمعنى حقاً ابتدأ به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع ( وأما الثاني ) وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف أن يقتلون قال كلا وقوله إنا لمدركون قال كلا ( وأما الثالث ) وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعاً قوله كلا انها تذكرة كلا والقمر كلا إنه تذكرة كلا لما يقض ما أمره كلا بل تكذبون بالدين كلا إذا بلغت التراقي كلا لا وزر كلا بل يحبون العاجلة كلا سيعلمون كلا بل ران على قلوبهم كلا إن كتاب الفجار كلا ان كتاب الأبرار كلا إنهم عن ربهم كلا إذا دكت الأرض دكاً كلا ان الانسان ليطغى كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون. يحسن الابتداء بكلا في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه

ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى انتبه الا في موضع واحد وهو قوله كلا والقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وربي وأما ( الرابع ) فموضعان ثم كلا سيعلمون ثم كلا سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلا لأن الفائدة فيما بعد هذين الحرفين .

[ النزول ] روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً غنياً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت لن اكفر به حتى تموت وتبعث قال فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا .

[ المعنى ] ثم بيّن سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ قيل معناه ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعاته والتوفيق لابتغاء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من الألطاف المقربة من الحسنات ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾ قد مرّ تفسيره في سورة الكهف وجملته أن الأعمال الصالحة التي تبقى ببقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثواباً من مقامات الكفارات التي يفتخرون بها كل الافتخار ﴿وخير مردا﴾ أي خير عاقبة ومنفعة يقال هذا الشيء أرد عليك أي أنفع وأعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقده له فيرده الله تعالى عليه برد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ أفرأيت كلمة تعجيب ومعناه أرأيت هذا الكافر الذي كفر بأدلتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن أبي مسلم ﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ استهزاء أي لأعطين مالاً وولداً في الجنة عن الكلبي وقيل اعطي في الدنيا أي ان أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي اعطيت مالاً وولداً ﴿اطلع الغيب﴾ هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه أنظر في اللوح المحفوظ عن الكلبي وتأويله أشرف على علم الغيب حتى علم أنه سنؤتيه مالاً وولداً وانه ان بعث رزق مالاً وولداً ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أي اتخذ عند الله عهداً بعمل صالح قدّمه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله إليه انه يدخل الجنة عن الكلبي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر على ما قال من انه يؤتى المال والولد ويجوز أن يكون المعنى كلا انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً

﴿سنكتب ما يقول﴾ أي سنأمر الحفظة باثباته عليه لنجازيه به في الآخرة ونوافقه عليه ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ أي نصل له بعض العذاب بالبعض ونزيده عذاباً فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبداً وأكّد الفعل بالمصدر كما يؤكّد بالتكرير ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وابطال ملكه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ﴿ويأتينا فرداً﴾ أي يأتي الآخرة وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفتهم اتخذوا آلهة أي أصناماً عبدوها ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ أي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن الفراء وهذا معنى قول ابن عباس ليمنعوهم مني وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أي سيجحدون بأن يكونوا عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عاقبة أمرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه ان المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون عن الجبائي ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعاً كالرسول والعدو ومعناه ويكونون عوناً عليهم واعداء لهم يخاصمونهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن قتادة وقيل ويكونون اعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا
تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى
الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا
اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

[ القراءة ] في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي للمتقين إذاً وقراءة السلمي شيئاً إذا بفتح الهمزة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء وفتح الطاء مشددة وفي عسق ومثله وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن في السورتين وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وهبيرة عن حفص ويعقوب تكاد بالتاء يتفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف هاهنا تكاد بالتاء ينفطرن بالنون مثل أبي عمرو وفي عسق تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء أيضاً .

[ الحجة ] حجة من قرأ يحشر ويساق قوله تعالى ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ والأدُّ بالفتح القوة قال « نَضَوْتَ عَنِّي شِرَّةً وَادّاً »[1] فعلى هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً أدٍ أي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر كقولهم رجل عدل وضيف والانفطار مطاوعة الفطر يقال فطره فانفطر والتفطر مطاوعة التفطير يقال فطرته فتفطر وكأنه أليق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب أبو الحسن في معنى قوله تكاد السماوات إلى أن معنى تكاد تريد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف أي أردنا له وأنشد

كَادَتْ وَكِدْتَ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ ... لَوْ عَادَ مِنْ ذِكْرِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي أريد أخفيها وعلى هذا فسَّر غيره قول الافوه .

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ ... وَسَاكِنٌ بَلَغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

أي أرادوا قال المعنى يردن لا انهن ينفطرن ولا يدنون من ذلك ولكن من هممن به اعظاماً لقول المشركين ولا يكون على من همَّ بالشيء ان يدنو منه ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يدن من ذلك وقد كانت منه ارادة وقد قال بعض المتاولين في قوله تكاد السماوات يتفطرن منه هدّا مثل كانت العرب إذا سمعت كذباً أو منكراً تعاظمته وعظمته بالمثل الذي عندها عظيماً فقالت كادت الأرض تنشق وأظلم علي ما بين السماء والأرض فلما افتروا على الله الكذب، ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها قال أبو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّناً ... عَلَى ابْنِ لُبَيْنَى الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

---

(١) وفي اللسان « نضون عني شدة وأدا » وبعده « من بعدما كنت صملاً نهداً » .

وقول الآخر

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً ... كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

وقال الآخر

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ ... سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ

[ اللغة ] الأزّ الازعاج إلى الأمر يقال ازّه يازّه أزّاً وازيزاً إذا هزّه بالازعاج إلى أمر من الأمور وازّت القِدر أزيزاً إذا غلت ومنه الحديث أنه كان يصلي وأزيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء وازرت الشيء إلى الشيء ضممته إليه والوفد جمع وافد وقد يجمع وفوداً أيضاً وَفَد يَفِد وفداً وأوفد على الشيء أشرف عليه والسَوْق الحثُّ على السير ساقه يسوقه سوقاً ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لأن القدم يسوقها ومنه السُوق لأنه يساق بها البيع والشرى شيئاً بعد شيء والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد ورداً والادّ الأمر العظيم قال الراجز

قَدْ لَقِيَ الْأَعْدَاءُ مِنِّي نُكْراً ... دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِدّاً إِمْراً

والانفطار الانشقاق والتفطر التشقق والهد الهدم بشدة صوت .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

[ الإعراب ] تؤزهم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعد أعمالهم عداً ويوم نحشر ظرف قوله نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفداً منصوب على الحال من المتقين أي وافدين ووردا كذلك أي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلة في موضع رفع لأنه بدل من الواو في يملكون ويجوز أن يكون في محل النصب لأنه استثناء منقطع فإنّ من اتخذ عند الرحمن عهداً لا يكون من المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تخرُّ وهذا منصوب على المصدر في المعنى تقديره تخرُّ خروراً وتهد هدّاً ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول له والتقدير لأن دعوا أي لأجل ذلك .

[ المعنى ] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ألم تر﴾ يا محمد ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا اليهم ودعوهم إلى الضلال حتى اغووهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء ولا بالمنع وعبّر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره أرسل كلبه عليه عن الجبائي وقيل معناه سلّطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية أيضاً على ما ذكرناه ﴿تؤزهم أزاً﴾ أي

تزعجهم ازعاجاً من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار عن سعيد بن جبير **﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾** معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة فإنا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد نفد وقيل معناه نعدُّ أنفاسهم في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي أجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من أبلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم على ما ذكرناه قبل **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾** أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات عن الأخفش وقيل ركباناً يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس **﴿ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾** أي ونحثّ المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشاً كالابل التي ترد عطاشا مشاة على أرجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسمى العطاش ورداً لأنهم يردون لطلب الماء وقيل الورد النصيب أي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن أبي مسلم **﴿لا يملكون الشفاعة﴾** أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين (أحدهما) أن يشفع للغير (والآخر) ان يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فبيِّن سبحانه ان هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال **﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾** أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا لهؤلاء والعهد هو الإيمان والاقرار بوحدانية الله تعالى وتصديق أنبيائه وقيل هو شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخبار وقال علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن سليمان بن جعفر (ع) عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته قيل يا رسول الله وكيف يوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد إليك في دار الدنيا اني اشهد ان لا إلّه إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت بأن القرآن كما أنزلت وانك أنت الله الحق المبين جزى الله محمداً عنا خير

الجزاء وحيا الله محمد وآله بالسلام اللهم باعدني عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي وإلّهي وإلّه آبائي لا تكلني الى نفسي طرفة عين فإنك ان تكلني الى نفسي أقرب من الشر وأبعد من الخير وآنس في القبر وحشتي وأجعل له عهداً يوم القاك منشوراً ثم يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشافعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً فهذا عهد الميت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال أمير المؤمنين علي (ع) علمنيها رسول الله ﷺ وقال علمنيها جبرائيل (ع) ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً**﴾ هذا اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله ﴿**لقد جئتم شيئاً إدّاً**﴾ هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم بشيء منكر عظيم شنيع فظيع فلما حذف الباء وصل الفعل اليه فنصبه ﴿**تكاد السماوات يتفطرن منه**﴾ أي أرادت السماوات ان تنشق لعظم فريتهم اعظاماً لقولهم ومعناه لو انشقت السماوات بشيء عظيم لكانت تنشق من هذا ﴿**وتنشق الأرض**﴾ أي وكادت الأرض تنشق ﴿**وتخر الجبال**﴾ أي كادت الجبال تسقط ﴿**هداً**﴾ أي كسراً شديداً عن ابن عباس وقيل هدماً عن عطاء ﴿**ان دعوا للرحمن ولداً**﴾ أي لأن دعوا للرحمن ولداً أو من دعوا للرحمن ولداً أي بسبب دعوتهم أو مسميتهم له ولداً﴿**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً**﴾ أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوثه وخروجه من صفة الإلّهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس .

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

[ اللغة ] اللدد شدة الخصومة وفي التنزيل ألدُّ الخصام أي أشدُّ الخصام خصومة وجمع الألد لدّ قال الشاعر

إنَّ تَحْتَ الأَشْجارِ حزماً وَعَزْماً وَخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ

أي شديد الخصومة والركز الصوت الخفي وأصل الركز الحسن ومنه الركاز لأنه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزاً مِنْ سَنابِكِها أو كانَ صَاحِبَ أرْضٍ أوْ بِهِ المُومُ

الأرض الرعدة والموم البرسام وأصل الاحساس الإدراك بالحاسة .

[ الإعراب ] كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته وآتي الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف الى المفعول ووحد كلا على اللفظ وعبداً في موضع الحال من الضمير من اتى، وهل تحس منهم من أحد من الأولى يتعلق بتحس والثانية مزيدة ويجوز ان يكون تقديره هل تحس احداً منهم ويكون منهم في موضع الصفة لأحد فلما قدم على الموصوف انتصب على الحال

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

[ المعنى ] ثم قال سبحانه ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبداً مملوكاً خاضعاً ذليلاً ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم وربّاهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزيراً والملائكة من جملة العبيد وفي هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الانسان ابنه عتق عليه ﴿لقد أحصاهم وعدَّهم عدّاً﴾ أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عدُّهم إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فرداً وحيداً مفرداً ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولاً بنفسه لا يهمُّه همّ غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾ قيل فيه أقوال ( أحدها ) انها خاصة في علي بن أبي طالب ( ع ) فما من مؤمن إلا وفي قلبة محبة لعلي ( ع ) عن ابن عباس وفي تفسير ابي حمزة الثمالي حدثني أبو جعفر الباقر ( ع ) قال قال رسول الله ﷺ لعلي ( ع ) قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين وُدّاً فقالهما علي ( ع ) فنزلت هذه الآية وروي

نحوه عن جابر بن عبد الله الأنصاري ( والثاني ) انها عامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والإلفة والمقة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودُتهم ورحمتهم ومحبتهم وقال الربيع بن انس إن الله إذا أحب مؤمناً قال لجبرائيل إني أحببت فلاناً فأحبّه فيحبّه جبرائيل ثم ينادي في السماء إلا ان الله احب فلاناً فأحبُوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبُهم الله ويحبّبهم إلى الناس ( والثالث ) ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفيهم ليدخلوا في دينهم ويعتزوا بهم ( الرابع ) يجعل بعضهم يحب بعضاً فيكون كل واحد منهم عضداً لأخيه المؤمن ويكونون يداً واحدة على من خالفهم ( والخامس ) ان معناه سيجعل لهم ودّاً في الآخرة فيحبّ بعضهم بعضاً كمحبة الوالد لولده وفي ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ماصحّ عن أمير المؤمنين (ع ) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني وذلك انه قضى فانقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي يسرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن أبي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكّناك من قراءته عن الجبائي ﴿لتبشر به المتقين﴾ أي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرُهم مما اعدُه الله لهم ﴿وتنذر به قوماً لداً﴾ أي شداداً في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشاً وقيل قوماً ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم أنذرهم سبحانه وخفّوهم بقوله ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا يهمنك كفرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع إليهم وقد أهلكنا قبلهم من كان مثلهم ﴿هل تحس منهم من احد﴾ أي هل تبصر منهم أحداً ﴿أو تسمع له ركزاً﴾ أي صوتاً عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالاً وأعظم أجساماً وأشد خصاماً من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا اهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين ولا أثر والحمد لله رب العالمين .

تمّ الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# فهرس المجلد الثالث
# من مجمع البيان في تفسير القرآن

## وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

## وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل والإسراء والكهف ومريم

### ﴿ سورة التوبة ﴾

صفحة


٤ بـراءة من الله ورسولـه إلى قولـه وان الله مخزي الكافرين
٧ وأذان من الله ورسـوله إلى قـولـه إن الله يحب المتقين
١٠ فإذا انسلخ الأشهر الحرم إلى قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون
١٣ كيف يكون للمشركين عهد عند الله إلى قوله وأكثرهم فاسقون
١٥ اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً إلى قوله إن كنتم مؤمنين
١٨ قاتلوهم يعذبهم الله إلى قوله والله عليم حكيم
١٩ أم حسبتم أن تتركوا
٢٠ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله إلى قوله أن يكونوا من المهتدين
٢٢ أجعلتم سقـاية الحـاج إلى قولـه إن الله عنده أجر عظيم


صفحة


٢٤ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
٢٦ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
٢٦ثم أنزل الله سكينته إلى قوله والله غفور رحيم
٣٢ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس
٣٣ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
٣٤ وقـالت اليهود عـزير ابن الله إلى قـولـه سبحانه عما يشركون
٣٧ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم إلى قوله ولو كره المشركون
٣٨ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان إلى قوله ما كنتم تكنزون
٤١ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
٤٤ إنما النسيء زيادة في الكفر
٤٦ يا أيها الذين آمنوا مـالكم إذا قيل لكم إلى قوله والله على كل شيء قدير
٤٨ إلا تنصروه فقد نصره الله


مركز تحقيقات كامپيوتري علوم إسلامي

صفحة

٥٠ انفروا خفافا وثقالا إلى قوله وتعلم الكاذبين
٥٢ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى قوله وهم كارهون
٥٦ ومنهم من يقول إئذن لي إلى قوله إنا معكم متربصون
٥٨ قل انفقوا طوعاً أو كرها
٥٨ فلا تعجبك أموالهم
٦٠ ويحلفون بالله إنهم لمنكم إلى قوله وهم يجمحون
٦٢ ومنهم من يلمزك في الصدقات إلى قوله إلى الله راغبون
٦٤ إنما الصدقات للفقراء والمساكين
٦٦ ومنهم الذين يؤذون النبي إلى قوله ذلك الخزي العظيم
٦٩ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم إلى قوله كانوا مجرمين
٧٢ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض إلى قوله أنفسهم يظلمون
٧٥ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض إلى قوله وبئس المصير
٧٧ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
٨٠ ومنهم من عاهد الله إلى قوله علام الغيوب
٨٣ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين إلى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين

صفحة

٨٤ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله إلى قوله فاقعدوا مع الخالفين
٨٦ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً إلى قوله وهم كافرون
٨٨ وإذا أنزلت سورة إلى قوله ذلك الفوز العظيم
٨٩ وجاء المعذرون من الأعراب ليس على الضعفاء ولا على المرضى إلى قوله فهم لا يعلمون
٩٢ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم
٩٢ سيحلفون بالله لكم إلى قوله عن القوم الفاسقين
٩٤ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً إلى قوله إن الله غفور رحيم
٩٦ والسابقون الأولون من المهاجرين
٩٩ وممن حولكم من الأعراب إلى قوله إن الله غفور رحيم
١٠١ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون
١٠٤ وآخرون مرجون لأمر الله
١٠٥ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً إلى قوله والله عليم حكيم
١١٢ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم إلى قوله وبشر المؤمنين
١١٥ ما كان للنبي والذين آمنوا إلى قوله إن إبراهيم لأواه حليم

صفحة

١١٦ وما كان الله ليضل قوماً إلى قوله من ولي ولا نصير

١١٨ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله إن الله هو التواب الرحيم

١٢٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

١٢٢ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم إلى قوله ما كانوا يعملون

١٢٤ وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى قوله وهم كافرون

١٢٨ أولا يرون أنهم يفتنون إلى قوله رؤوف رحيم

١٢٨ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو

﴿ يونس ﴾

١٣١ بسم الله الرحمن الرحيم آلر إلى قوله ان هذا لساحر مبين

١٣٤ ان ربكم الذي خلق السماوات والأرض إلى قوله بما كانوا يكفرون

١٣٨ هو الذي جعل الشمس ضياء إلى قوله لآيات لقوم يتقون

١٣٩ ان الذين لا يرجون لقاءنا إلى قوله أن الحمد لله رب العالمين

١٤١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم إلى قوله ما كانوا يعملون

١٤٤ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم إلى قوله لننظر كيف تعملون

صفحة

١٤٥ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات إلى قوله انه لا يفلح المجرمون

١٤٧ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم إلى قوله إني معكم من المنتظرين

١٥٠ وإذا أذقنا الناس رحمة إلى قوله لنكونن من الشاكرين

١٥٠ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق

١٥٤ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى قوله صراط مستقيم

١٥٦ للذين أحسنوا الحسنى إلى قوله أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

١٥٨ ويوم نحشرهم جميعاً

١٥٨ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت

١٦١ قل من يرزقكم من السماء والأرض إلى قوله انهم لا يؤمنون

١٦٣ قل هل من شركائكم إلى قوله عليم بما يفعلون

١٦٦ وما كان هذا القرآن أن يفترى إلى قوله وربك أعلم بالمفسدين

١٦٨ وان كذبوك فقل لي عملي إلى قوله أنفسهم يظلمون

١٧٠ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلى قوله وهم لا يظلمون

١٧٢ ويقولون متى هذا الوعد إلى قوله بما كنتم تكسبون


مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

صفحة

١٧٤ ويستنبئونك أحق هو إلى قوله هو يحيي ويميت وإليه ترجعون
١٧٦ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم إلى قوله خير مما يجمعون
١٧٨ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم
١٧٨ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
١٨٠ ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم إلى قوله هو السميع العليم
١٨٣ ألا ان لله من في السماوات ومن في الأرض إلى قوله بما كانوا يكفرون
١٨٥ واتل عليهم نبأ نوح إلى قوله كيف كان عاقبة المنذرين
١٨٨ ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قوله وما نحن لكما بمؤمنين
١٨٩ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم إلى قوله ولو كره المجرمون
١٩١ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه
١٩١ وقال موسى يا قوم ان كنتم إلى قوله من القوم الكافرين
١٩٣ وأوحينا إلى موسى وأخيه إلى قوله الذين لا يعلمون
١٩٦ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر إلى قوله عن آياتنا لغافلون
١٩٩ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق إلى قوله حتى يروا العذاب الأليم
٢٠٢ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها

صفحة

٢٠٥ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض إلى قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
٢٠٧ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض إلى قوله ننج المؤمنين
٢٠٩ قل يا أيها الناس إلى قوله وهو الغفور الرحيم
٢١١ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم

﴿ سورة هود ﴾

٢١٣ الر كتاب أحكمت آياته إلى قوله وهو على كل شيء قدير
٢١٥ ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
٢١٦ وما من دابة في الأرض إلى قوله ما كانوا به يستهزئون
٢١٩ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة إلى قوله أولئك لهم مغفرة وأجر كبير
٢٢٠ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إلى قوله فهل أنتم مسلمون
٢٢٣ من كان يريد الحياة الدنيا
٢٢٣ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
٢٢٤ أفمن كان على بينة من ربه إلى قوله هم الأخسرون
٢٢٩ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى

صفحة

قوله وأنتم لها كارهون
٢٣٥ ويا قوم لا أسئلكم عليه مالاً إلى قوله إني إذاً لمن الظالمين
٢٣٧ قالوا يا نوح قد جادلتنا إلى قوله وأنا بريء مما تجرمون
٢٣٩ وأوحي إلى نوح إلى قوله ويحل عليه عذاب مقيم
٢٤٢ حتى إذا جاء أمرنا إلى قوله فكان من المغرقين
٢٤٩ وقيل يا أرض ابلعي ماءك
٢٥١ ونادى نوح ربه إلى قوله ان العاقبة للمتقين
٢٥٥ وإلى عاد أخاهم هودا إلى قوله ونجيناهم من عذاب غليظ
٢٥٦ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
٢٦٠ وإلى ثمود أخاهم صالحاً إلى قوله ألا بعداً لثمود
٢٦٦ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم إلى قوله عذاب غير مردود
٢٧٥ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم إلى قوله وما هي من الظالمين ببعيد
٢٨٢ وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى قوله وما أنا عليكم بحفيظ
٢٨٣ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي إلى قوله كما بعدت ثمود
٢٨٩ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى قوله وما أمر فرعون برشيد

صفحة

٢٨٩ واتبعوا في هذه لعنة إلى قوله وذلك يوم مشهود
٢٩٢ وما نؤخره إلا لأجل معدود إلى قوله لهم فيها زفير وشهيق
٢٩٢ خالدين فيها ما دامت السماوات إلى قوله عطاء غير مجذوذ
٣٠٠ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء إلى قوله انه بما تعملون بصير
٣٠٤ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا إلى قوله وأهلها مصلحون
٣٠٩ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة إلى قوله بغافل عما تعملون

﴿سورة يوسف﴾

٣١٥ آلر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لمن الغافلين
٣١٧ إذ قال يوسف لأبيه إلى قوله ان ربك حكيم عليم
٣٢١ لقد كان في يوسف واخوته إلى قوله ان كنتم فاعلين
٣٢٥ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف إلى قوله وانا له لحافظون
٣٢٨ قال إنه ليحزنني أن تذهبوا به إلى قوله والله المستعان على ما تصفون
٣٣٤ فجاءت سيارة فأرسلوا واردهم إلى قوله وكانوا فيه من الزاهدين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صفحة

٣٣٧ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه
٣٣٧ ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً
٣٣٩ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
٣٤١ ولقد همَّت به وهمَّ بها
٣٤٥ واستبقا الباب وقدت قمصه من دبر إلى قوله إنك كنت من الخاطئين
٣٤٨ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه
٣٤٨ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه إلى قوله حتى حين
٣٥٥ ودخل معه السجن فتيان إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون
٣٥٧ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
٣٥٨ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها إلى قوله فلبث في السجن بضع سنين
٣٦٠ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان إلى قوله إلا قليلاً مما تأكلون
٣٦١ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد إلى قوله وفيه يعصرون
٣٦٥ وقال الملك ائتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم
٣٦٨ وقال الملك إئتوني به إلى قوله للذين آمنوا وكانوا يتقون
٣٧٣ وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه

صفحة

فعرفهم إلى قوله وأنا خير المنزلين
٣٧٤ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لعلهم يرجعون
٣٧٦ فلما رجعوا إلى أبيهم إلى قوله قال الله على ما نقول وكيل
٣٧٩ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
٣٨١ ولما دخلوا على يوسف إلى قوله وفوق كل ذي علم عليم
٣٨٧ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل إلى قوله وهو خير الحاكمين
٣٩١ ارجعوا إلى أبيكم
٣٩١ وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
٣٩٥ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر إلى قوله إذ أنتم جاهلون
٣٩٦ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا إلى قوله وأتوني بأهلكم أجمعين
٤٠١ ولما فصلت العير قال أبوهم إلى قوله إنه هو الغفور الرحيم
٤٠٣ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه إلى قوله وهم يمكرون
٤٠٨ وما أكثر الناس إلى قوله وهم لا يشعرون
٤١٠ قل هذه سبيلي إلى قوله أفلا تعقلون

صفحة

٤١٢ حتى إذا استيأس الرسل إلى قوله لقوم يؤمنون

الجزء السادس

﴿ سورة الرعد ﴾

٤١٩ سورة الرعد آلمر تلك آيات الكتاب إلى قوله بلقاء ربكم توقنون
٤٢١ وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً
٤٢١ وفي الأرض قطع متجاورات
٤٢٤ وإن تعجب فعجب قولهم إلى قوله ولكل قوم هاد
٤٢٨ الله يعلم ما تحمل كل انثى إلى قوله وماهم من دونه من وال
٤٣٢ هو الذي يريكم البرق إلى قوله بالغدو والآصال
٤٣٧ قل من رب السماوات والأرض إلى قوله وهو الواحد القهار
٤٣٩ أنزل من السماء ماء
٤٣٩ للذين استجابوا لربهم
٤٤٢ أفمن يعلم أنما أنزل إليك إلى قوله فنعم عقبى الدار
٤٤٥ والذين ينقضون عهد الله إلى قوله طوبى لهم وحسن مآب
٤٤٨ كذلك أرسلناك في أمة إلى قوله ان الله لا يخلف الميعاد

صفحة

٤٥٢ ولقد استهزىء برسل من قبلك إلى قوله وماهم من الله من واق
٤٥٤ مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله إليه ادعوا وإليه مآب
٤٥٤ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً
٤٥٦ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى قوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
٤٥٩ أولم يروا أنا نأتي الأرض إلى قوله ومن عنده علم الكتاب

﴿ سورة إبراهيم ﴾

٤٦٣ آلر كتاب أنزلناه إليك إلى قوله أولئك في ضلال بعيد
٤٦٥ وما أرسلنا من رسول إلى قوله بلاء من ربكم عظيم
٤٦٧ وإذ تأذن ربكم إلى قوله فأتونا بسلطان مبين
٤٧١ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم إلى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
٤٧١ وقال الذين كفروا لرسلهم إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد
٤٧٥ ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله ما لنا من محيص
٤٧٧ وقال الشيطان لما قضي الأمر إلى قوله إن الظالمين لهم عذاب أليم

صفحة

٤٧٩ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله وفرعها في السماء
٤٧٩ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض
٤٨١ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت إلى قوله فإن مصيركم إلى النار
٤٨٤ قل لعبادي الذين آمنوا إلى قوله إن الإنسان لظلوم كفار
٤٨٧ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً إلى قوله يوم يقوم الحساب
٤٩١ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إلى قوله وضربنا لكم الأمثال
٤٩٤ وقد مكروا مكرهم إلى قوله وليذكر أولوا الألباب

﴿ سورة الحجر ﴾

٥٠١ آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين إلى قوله وما يستأخرون
٥٠٥ وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر انك لمجنون إلى قوله فأتبعه شهاب مبين
٥١٠ والأرض مددناها إلى قوله أنه حكيم عليم
٥١٤ ولقد خلقنا الانسان من صلصال إلى قوله مع الساجدين

صفحة

٥١٤ وقال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين
٥١٧ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون إلى قوله جزء مقسوم
٥٢٠ ان المتقين في جنات وعيون إلى قوله وإن عذابي هو العذاب الأليم
٥٢١ ونبّئهم عن ضيف إبراهيم إلى قوله انها لمن الغابرين
٥٢٤ فلما جاء آل لوط المرسلين إلى قوله لفي سكرتهم يعمهون
٥٢٦ فأخذتهم الصيحة مشرقين إلى قوله ما كانوا يكسبون
٥٢٩ وما خلقنا السماوات والأرض إلى قوله الذين جعلوا القرآن عضين
٥٣٢ فوربك لنسألنهم أجمعين إلى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

﴿ سورة النحل ﴾

٥٣٥ أتى أمر الله فلا تستعجلوه إلى قوله لا إله إلا أنا فاتقون
٥٣٨ خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله إن ربكم لرؤوف رحيم
٥٤٠ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة إلى قوله ومنه شجر فيه تسيمون
٥٤٠ وسخّر لكم الليل والنهار إلى قوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون

صفحة

٥٤٣ وهو الذي سخّر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً إلى قوله إن الله لغفور رحيم
٥٤٦ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون إلى قوله إنه لا يحب المستكبرين
٥٤٧ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم إلى قوله فلبئس مثوى المتكبرين
٥٥٠ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم إلى قوله ما كانوا به يستهزئون
٥٥٢ وقال الذين اشركوا إلى قوله وما لهم من ناصرين
٥٥٤ وأقسموا بالله جهل إيمانهم إلى قوله كن فيكون
٥٥٦ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا إلى قوله ولعلهم يتفكرون
٥٥٨ أفأمن الذين مكروا السيئات إلى قوله ويفعلون ما يؤمرون
٥٦٢ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إلى قوله فسوف تعلمون
٥٦٤ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم إلى قوله وهو العزيز الحكيم
٥٦٧ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
٥٦٩ ويجعلون لله ما يكرهون إلى قوله لقوم يسمعون
٥٧٤ وإن لكم في الانعام لعبرة إلى قوله ان الله عليم قدير
٥٧٤ والله فضّل بعضكم على بعض في

صفحة

الرزق إلى قوله وأنتم لا تعلمون
٥٧٧ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً إلى قوله ان الله على كل شيء قدير
٥٧٩ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً
٥٧٩ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء إلى قوله ومتاعاً إلى حين
٥٨٢ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً إلى قوله ولا هم ينظرون
٥٨٤ وإذا رءا الذين أشركوا شركاءهم إلى قوله لعلكم تذكرون
٥٨٨ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم إلى قوله ولكم عذاب عظيم
٥٩١ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله والذين هم به مشركون

﴿ سورة بني إسرائيل ﴾

٦٠٧ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً إلى قوله انه كان عبداً شكورا
٦١٢ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب إلى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٦١٧ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم إلى قوله وكل شيء فصلناه تفصيلا
٦٢٠ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه إلى قوله حتى نبعث رسولا
٦٢٣ وإذا أردنا أن نهلك قرية إلى قوله

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

صفحة

فتقعد مذموماً مخذولا
٦٢٨ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه إلى قوله فإنه كان للأوابين غفورا
٦٣٢ وآت ذا القربى حقه والمسكين إلى قوله إنه كان بعباده خبيراً بصيرا
٦٣٥ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق إلى قوله ذلك خير وأحسن تأويلا
٦٣٩ ولا تقف ما ليس لك به علم إلى قوله لتقولون قولاً عظيما
٦٤٢ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا إلى قوله انه كان حليماً غفورا
٦٤٤ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك إلى قوله فلا يستطيعون سبيلا
٦٤٧ وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً إلى قوله ان لبثتم إلا قليلا
٦٤٩ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إلى قوله وآتينا داود زبورا
٦٤٩ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى قوله ان عذاب ربك كان محذورا
٦٥٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها إلى قوله فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا
٦٥٥ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلى قوله جزاء موفورا
٦٥٥ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
٦٥٨ ربكم الذي يزجي لكم الفلك إلى قوله لكم علينا به تبيعا
٦٦٠ ولقد كرمنا بني آدم إلى قوله وأضل سبيلا

صفحة

٦٦٤ وان كادوا ليفتنونك إلى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا
٦٦٦ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض إلى قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا
٦٦٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى قوله ان الباطل كان زهوقا
٦٧٢ وننزل من القرآن ما هو شفاء إلى قوله فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا
٦٧٣ ويسألونك عن الروح إلى قوله إلا كفورا
٦٧٦ وقالوا لن نؤمن لك إلى قوله من السماء ملكاً رسولا
٦٨٠ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إلى قوله وكان الإنسان قتورا
٦٨٣ ولقد آتينا موسى إلى قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا
٦٨٤ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
٦٨٦ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إلى قوله وكبره تكبيراً

﴿سورة الكهف﴾

٦٩١ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إلى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا
٦٩٤ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها إلى قوله أحصى لما لبثوا أمدا
٦٩٩ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إلى

صفحة

قوله ويهيىء لكم من أمركم مرفقا
٧٠١ وترى الشمس إذا طلعت إلى قوله ولملئت منهم رعبا
٧٠٤ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم إلى قوله ولن تفلحوا إذا أبدا
٧٠٦ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا إلى قوله منهم أحدا
٧٠٧ ولا تقولن لشيء إلى قوله لأقرب من هذا رشدا
٧١٣ ولبثوا في كهفهم إلى قوله ولن تجد من دونه ملتحدا
٧١٦ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم إلى قوله بئس الشراب وساءت مرتفقا
٧١٩ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله وحسنت مرتفقا
٧٢١ واضرب لهم مثلاً رجلين إلى قوله لأجدن خيراً منها منقلبا
٧٢٤ قال له صاحبه وهو يحاوره إلى قوله هو خير ثواباً وخير عقباً
٧٢٩ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا إلى قوله ولا يظلم ربك أحدا
٧٣٢ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
٧٣٣ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض إلى قوله وجعلنا بينهم موبقا
٧٣٦ ورآ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها إلى قوله وما أنذروا هزوا
٧٣٧ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

صفحة

٧٣٨ وربك الغفور ذو الرحمة إلى قوله وجعلنا لمهلكهم موعدا
٧٣٩ وإذ قال موسى لفتاه إلى قوله فارتدا على آثارهما قصصا
٧٤٤ فوجدا عبدا من عبادنا إلى قوله لن تستطيع معي صبرا
٧٤٨ قال ان سألتك عن شيء بعدها إلى قوله تسطع عليه صبرا
٧٥٤ ويسألونك عن ذي القرنين إلى قوله فأتبع سببا
٧٥٤ حتى إذا بلغ مغرب الشمس إلى قوله فيعذبه عذابا نكرا
٧٥٧ وأما من آمن وعمل صالحاً إلى قوله وكان وعد ربي حقا
٧٦٤ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض إلى قوله ورسلي هزوا
٧٦٧ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله ولا يشرك بعبادة وبه أحدا

﴿ سورة مريم ﴾

٧٧٢ كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إلى قوله واجعله رب رضيا
٧٧٧ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى إلى قوله ان سبحوه بكرة وعشيا
٧٨٠ يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله يوم يبعث حيا

صفحة

٧٨٢ واذكر في الكتاب مريم

٧٨٢ فاتخذت من دونهم حجاباً إلى قوله ولم أك بغيا

٧٨٤ قال كذلك قال ربك هو علي هين إلى قوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا

٧٩٢ وجعلني مباركا أين ما كنت إلى قوله فإنما يقول له كن فيكون

٧٩٣ وان الله ربي وربكم فاعبدوه إلى قوله وإلينا يرجعون

٧٩٦ واذكر في الكتاب إبراهيم إلى قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا

٧٩٩ واذكر في الكتاب موسى إلى قوله عند ربه مرضيا

٨٠١ واذكر في الكتاب ادريس إلى قوله ولا يظلمون شيئاً

صفحة

٨٠٣ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده إلى قوله هل تعلم له سميّا

٨٠٦ ويقول الإنسان أإذا ما مت

٨٠٦ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه إلى قوله هم أولى بها صليا

٨٠٩ وإن منكم إلا واردها إلى قوله وأضعف جندا

٨١٤ أفرأيت الذي كفر بآياتنا إلى قوله ويكونون عليهم ضدا

٨١٧ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين إلى قوله أن يتخذ ولدا

٨٢١ ان كل من في السماوات والأرض إلى قوله أو تسمع لهم ركزا

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي